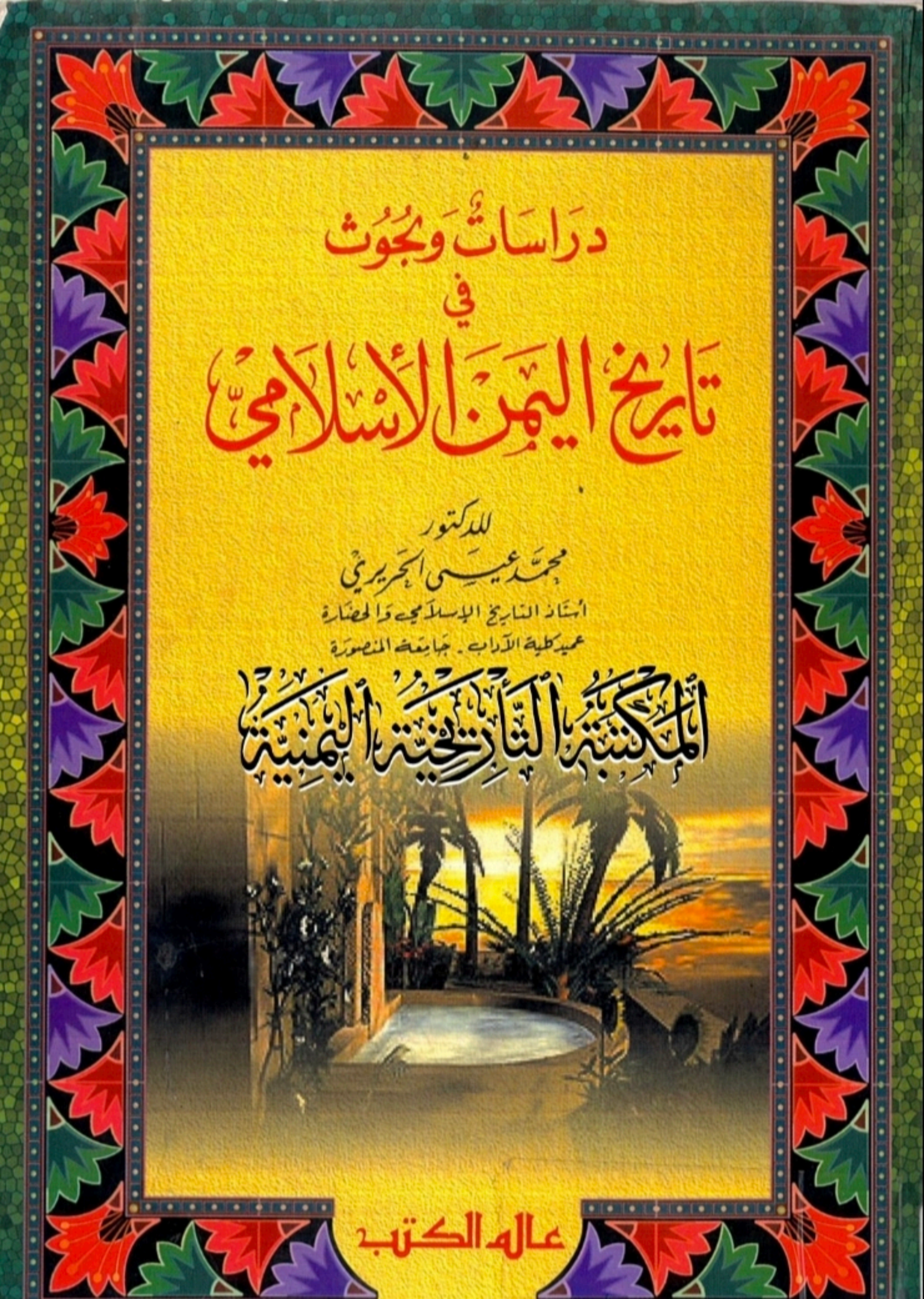
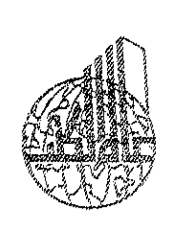


دراسات وبحوث
في
تاريخ اليمن الإسلامي
للدكتور
محمد عيسى الحريري
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة
عميد كلية الآداب - جامعة المنصورة
المكتبة التاريخية اليمنية
عالم الكتب



مختار محمد الضبيبي

دراسات وبحوث
في
تاريخ اليمن الإسلامي



عالم الكتب
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ـ لبنان

ص.ب: ٨٧٢٣ ـ ١١، برقياً: نابعلبكي
هاتف: ٨١٩٦٨٤-٣١٥١٤٢-٦٠٣٢٠٣(٠١)
خليوي: ٣٨١٨٣١(٠٣)
فاكس: ٦٠٣٢٠٣-١ (٩٦١)

WORLD OF BOOKS
FOR PRINTING, PUBLISHING & DISTRIBUTION
BEIRUT - LEBANON

P.O.BOX : 11- 8723, CABLE : NABAALBAKI
TEL.: 01- 819684 / 315142 / 603203
CELL. 03 - 381831 FAX : 961 - 1 603203

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م

دراسات وبحوث
في
تاريخ اليمن الإسلامي

للدكتور
محمد عيسى الحريري
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة
عميد كلية الآداب - جامعة المنصورة

عالم الكتب


بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لِلَّهِ

فَاتِحَةُ كُلِّ خَيْرٍ

وَتَمَامُ كُلِّ نِعْمَةٍ


المكتبة التاريخية اليمنية

فهرست الموضوعات

المقدمة ١١

١ ـ دراسة تاريخية على سكة أموية باليمن من عهد الوليد بن عبد الملك

ورؤية جديدة حول تعريب العملة في العصر الأُموي ١٣

٢ ـ تطور المذهب الزيدي في اليمن

قطعة منتزعة من كتاب شفاء صدور الناس لأحمد بن محمد

ابن صلاح الشرَفي ٥٣

٣ ـ دار ضرب زيدية في اليمن من عهد الإمام

عبد الله بن حمزة (٥٨٣هـ/ ٦١٤هـ) ٩٥

٤ ـ فتح الملك المعبود في ذكر إجلاء اليهود

لصالح بن داود الآنسي ١٣٧

٥ ـ دولة بني نجاح في اليمن وعلاقاتهم بالصليحيين

(٤١٢هـ/ ١٠٢١م) ـ (٥٥٤هـ ـ ١٥٥٩م) ١٧٩



الإهـداء

إلى

أمي...

رفيقة عمري...

وحبيبة قلبي...



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين. وبعد:

يقف اليمن الإسلامي بآفاقه السياسية والحضارية مجالاً خصباً للباحثين والدارسين في ميدان التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، خاصة بعد التطور السياسي والاجتماعي الكبير الذي يشهده اليمن الآن، حيث يحاول اليمن الحديث أن يستمد من تاريخه وحضارته الإسلامية التالدة ملامح أمجاده الحاضرة.

وعلى الرغم من وجود كثير من العقبات أمام الباحثين والدارسين، فالأمل معقود على أن تتجه الأجهزة العلمية والثقافية، وفي مقدمتها جامعة صنعاء إلى تذليل هذه العقبات لتفتح الآفاق واسعة أمام الباحثين والدارسين لاستخراج كنوز اليمن العلمية والثقافية التي اختزنتها الأجيال السابقة وحافظت عليها حتى وصلت إلينا.

وهذه مجموعة من الدراسات والبحوث التاريخية عن اليمن قمت بها في أثناء عملي أستاذاً للتاريخ الإسلامي في كلية الآداب بجامعة صنعاء، وهي تدل ولا شك على ثراء اليمن الثقافي والفكري والعلمي، وتبرز دوره في آفاق الحضارة الإسلامية العالمية.

والحقيقة أنني وجدت من أهل اليمن الأحبة كل عون لي على مواصلة هذه الدراسات والتقدم فيها، فلكل من ساعدني وقدم لي عوناً جزيل الشكر وأطيب التمنيات، وأخص بالذكر منهم زملائي في قسم التاريخ والآثار الأساتذة الدكاترة يوسف عبد اللّه، أحمد الصائدي، عبد اللّه الشيبة، عبد الرحمٰن الشجاع، السيد مصطفى سالم، وشكري الجزيل لمعالي الشيخ علي بن علي السمان وزير الأوقاف ومدير مكتبه الأخ سلطان غالب، والأستاذ عبد العزيز الجنداري وسمير مقبل وكيلا مُتحف صنعاء، وفضيلة الشيخ محمد علي زبارة والشيخ عبد الرحمٰن الطير أمينا المكتبة الغربية بالجامع الكبير بمدينة صنعاء.

وأسأل الله تعالى أن يحفظ اليمن ويرعاها وهي تسلك طريقها في مدارج الرقي والتقدم إنه نعم المولى ونعم النصير.

د. محمد عيسى الحريري

القاهرة - المهندسين

في ٢٩ من ربيع الأول ١٤١٧هـ

١٤ أغسطس ١٩٩٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسة تاريخية على سكة أموية باليمن من عهد الوليد بن عبد الملك ورؤية جديدة حول تعريب العملة في العصر الأموي

السكة الإسلامية إحدى الوثائق التاريخية الهامة التي تعين الباحثين في الوصول إلى كثير من حقائق الأحداث التاريخية والسياسية، فهي تخلد أسماء مدن كانت تضم دوراً لضرب النقود، وتشهد بما كان لهذه المدن من شأن إداري كبير، وأثر في حركة النقد المتداول إذ ذاك في العالم الإسلامي.

ولذلك فإن دراسة السكة الإسلامية من الموضوعات التي يفيد منها التاريخ الإسلامي فائدة كبرى ولا سيما في التاريخ السياسي والاقتصادي، فالكتابات المنقوشة على السكة تشتمل على ألقاب الخلفاء والأمراء والحكام، وتاريخ الضرب، كما أنها تفيد في تحديد مدى تبعية الولاة والعمال للخلافة من حيث الاستقلال أو شبهه، فالسكة على هذا النحو لها أهمية كبرى لأنها وثائق قديمة علاوة على أنها رسمية وصحيحة، وليس من السهل الطعن فيها. ثم إن العثور على كميات من السكة الإسلامية يشير في كثير من الأحيان إلى الآفاق البعيدة التي امتدت إليها أسواق التجارة الإسلامية ومناطق النفوذ كما يشير في الوقت نفسه إلى مدى الإقبال على هذا النوع من السكة والتعامل بها[(١)].

وقد عثرت في أثناء وجودي باليمن على عدة دراهم أموية ضمن مجموعة ضخمة من العملة الإسلامية المحفوظة بالمتحف الوطني في مدينة صنعاء باليمن، اخترت من بينها درهمين، أحدهما ضرب في مدينة دربجرد سنة (٩٣هـ/ ٧١١م) والآخر ضرب في مدينة واسط سنة (٩٤هـ/ ٧١٢م)[(٢)]. وكلاهما ضرب زمن الخليفة الأموي الوليد بن عبد

---

(١) د. سيدة الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي، طبعة الأنجلو المصرية ١٩٦٠، ص ٩٩، ص ١٠٠.

(٢) انتهز هذه الفرصة لأشكر الأستاذ عبد العزيز الجنداري وكيل متحف صنعاء الوطني، والأستاذ سمير مقبل وكيل المتحف على كل ما قدموه من عون ومساعدة للإطلاع على العملة وتصويرها، كما أشكر الزميل الدكتور سمير عبد الحليم أستاذ مساعد الترميم بجامعة صنعاء على تفضله مشكوراً بتنظيف العملة ومعالجتها حتى أصبحت صالحة للتصوير والدراسة.

الملك (٨٦هـ/ ٧٠٥م ـ ٩٦هـ / ٧١٤م)[١]، وكانت اليمن في عصره إحدى الولايات التابعة للدولة الأموية المتسعة الجوانب المترامية الأطراف.

وقد عرفت اليمن قبل الإسلام كثيراً من أنواع المسكوكات[٢]، التي اعتمدت عليها في اقتصادها النقدي، وتعاملت بها في أسواقها ومراكزها التجارية، ومن هذه المسكوكات الدراهم الساسانية، وهذه على ما يبدو استعملت بكثرة نظراً لارتباط اليمن بالإمبراطورية الفارسية التي كانت تنظر إلى اليمن، وكأنها إحدى أقاليم امبراطوريتها الواسعة[٣]. ومن هذه المسكوكات أيضاً الدنانير البيزنطية، وهي من الذهب، والفلوس البيزنطية وهي من النحاس أو البرونز[٤]، كما كان لليمن عملتها المحلية الخاصة، التي كانت تخرج في بعض الأحيان عن نطاقها المحلي الداخلي إلى أسواق الحجاز، ولكن كان ذلك بكميات وأعداد قليلة، وهذه العملة هي السكة الحميرية[٥] التي اعتمدت أسلوباً وشكلاً وخطاً على

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، طبعة دار صادر ببيروت ١٩٧٩، ج ٤، ص ٥١٧، ج ٥، ص ٨.

(٢) المسكوكات: مفردها سكة، والسكة كما يعرفها ابن خلدون هي: «الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صوراً أو كلمات مقلوبة، ويضرب بها على الدينار، أو الدرهم، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى، وبعد تقدير أشخاص الدراهم، والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه، فيكون التعامل بها عدداً، وإن لم تُقدّر أشخاصها يكون التعامل بها وزناً». ويرى ابن خلدون أيضاً أن السكة: «وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود والمعاملات، ويتقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المضروبة»، انظر ابن خلدون: العبر، الطبعة الثالثة، دار الكتاب اللبناني، ج ١، ص ٢٦٤.

(٣) أصبحت اليمن ولاية تابعة لفارس منذ أن قاد (وهرز) الفارسي حملة لمعاونة سيف بن ذي يزن، لطرد الأحباش من اليمن سنة (٥٧٥م)، وبعد نجاح هذه الحملة في مهمتها فقدت اليمن استقلالها السياسي، الذي كانت تتطلع إليه، وفرض كسرى على سيف بن ذي يزن جزية سنوية يدفعها لفارس،

(٤) انظر الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، الطبعة الأولى ١٩٦٠، ص ٦٣، ٦٤، د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين ببيروت، ج ٣، ص ٥٢٢، ٥٢٣، د. عصام الدين عبد الرؤوف: اليمن في ظل الإسلام، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٢، ص ١٣، ١٤.

(٥) د. أبو الفرج العش: المسكوكات في الحضارة العربية الإسلامية، بحث مقدم لمؤتمر الآثار التاسع الذي عقد في صنعاء (فبراير ١٩٨٠م)، نسخة وزارة الإعلام القطرية ص ٣.

(٦) د. عبد الرحمٰن فهمي: فجر السكة العربية، طبعة دار الكتب ١٩٦٥، ص٢٩، د. عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، طبعة الأنجلو المصرية ١٩٧٨، ص ٤٢، (والمعروف أنه كانت لقريش رحلتان إحداهما في الصيف إلى الشام، والأخرى في الشتاء إلى اليمن، انظر، سورة قريش الآية (١)، (٢).

كثير من مقومات الحضارة العربية الجنوبية في ذلك الوقت، فكانت الكتابات عليها بالخط المسند ـ خط الحضارة اليمنية القديمة ـ، ومن الصور التي رسمت عليها، صورة الخنجر، والبوم، أو رأس الملك بوضع جانبي محاط بغصن شجر[١]. ويروي ابن خلدون في إشارة له أن وزن الدرهم اليمني الوافد إلى أسواق مكة قبل سنة (١٨هـ/ ٦٣٠م) كان دانقاً واحداً[٢].

ولم يكن لانتشار الإسلام في اليمن أثر على البناء النقدي فيها، إذ أقر النبي، ﷺ، حرية التعامل بأنواع السكة المختلفة على ما كانت عليه قبل الإسلام، وظهر ذلك من خلال بعض تصرفات النبي، ﷺ، فروي عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أنه قال: «زوجني رسول الله ﷺ فاطمة، عليها السلام، على أربعمائة وثمانين درهماً، وزن ستة دوانيق»[٣]، كما أن هرقل ـ قيصر الروم ـ أرسل إلى الرسول، ﷺ، دنانير بيزنطية وهو

---

(١) س. أ. ق. حسيني: الإدارة العربية، ترجمة: د. إبراهيم العدوي، سلسلة الألف كتاب (٨٩)، ص ١٧١ ويحتفظ متحف قسم الآثار بكلية الآداب بجامعة صنعاء بكميات كبيرة من الدراهم الحميرية، وقطع أخرى فضية أصغر من الدرهم، ويظهر من هذه الدراهم أن ملوك الحميريين كانوا يحلقون لحاهم وشواربهم، ومن بين أسباب ذيوع السكة الحميرية، وفرة خام الفضة المجلوبة من مناجم الفضة باليمن، عن هذه المناجم انظر البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر، طبعة: عالم الكتب ببيروت، ص ٢٦٨، ٢٦٩، وانظر، د. ناهض عبد الرزاق: تاريخ المسكوكات ودورها الوثائقي في العصر العباسي، بحث نشر في مجلة المسكوكات العراقية: العدد (٨)، (٩) / ٧٧/ ١٩٧٨ بغداد، ص ١٢٨، د. جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ ٢، ص ١١٨، وعن هذه العملة الحميرية انظر ملحق،رقم (٣)، وتعليق الأستاذ الدكتور يوسف عبد الله المتخصص في التاريخ اليمني القديم.

(٢) الكرملي: النقود العربية، طبعة بيروت؛ ص ١٠٥، (الدانق: كان يزن اثنين ونصف من القراريط زمن عبد الملك بن مروان. وكلمة دانق أصلها فارسي وكان وزنه يساوي عشرين حبة من الشعير، انظر، حسيني: الإدارة العربية، ص ١٧٧، انظر د. أحمد الشرباصي: المعجم الاقتصادي الإسلامي، طبعة دار الجيل، . بيروت ١٩٨١، ص ١٤٩، (وقمت بوزن الدرهم الحميري المشار إليه في الملحق رقم (٣) فاتضح أن وزنة ١,٠٥٠ جرام، وقطره ١,٥ سم).

(٣) الكرملي: النقود العربية، ص ٣٠، د. عبد الرحمٰن فهمي: فجر السكة، ص ٢٩، وكان وزن الدراهم والدنانير في الجاهلية، مثل وزنها في الإسلام مرتين، ويسمى المثقال من الفضة (درهماً)، ومن الذهب ديناراً، ولم يكن شيء من ذلك يتعامل به أهل مكة في الجاهلية، وكانوا يتبايعون بأوزان اصطلحوا عليها فيما بينهم وهو (الرطل)، الذي هو اثنتا عشرة أوقية، و(الأوقية) هي أربعون درهماً، فيكون الرطل ثمانين وأربعمائة درهم» وهذا يعني أن علياً، رضي الله عنه، تزوج فاطمة برطل من دراهم الفضة، انظر الكرملي: النقود العربية، ص ٢٥، ٢٦، ص ١٠٤.

بتبوك فقسمها بين أصحابه، ورأى البعض أن القسمة كانت على أنها غنيمة، والبعض الآخر رأى أن رسول الله، ﷺ، وزعها فيئاً[١]، كما ثبت في بعض المصادر والمراجع أنه، ﷺ، جمع أموال الزكاة من المسلمين بهذه السكة السائدة، فجعل «في كل خمس أواق من الفضة الخالصة التي لم تغش خمسة دراهم وهي (النواة)، وفرض في كل عشرين ديناراً نصف دينار»[٢] وجرى عمال النبي، ﷺ ،في اليمن على نفس القواعد في جمع الزكاة من الأغنياء وتوجيهها إلى الفقراء[٣].

ومضى أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، (١١هـ/ ٦٣٢م - ١٣هـ/ ٦٣٤م) يتبع نفس سياسة الرسول، ﷺ، في التعامل بالنقود الساسانية والبيزنطية[٤]، وكان الدرهم الساساني في هذه الفترة عبارة عن نقد مستدير من الفضة للملك الساساني (الحاكم آنذاك) بملابسه الرسمية التي يظهر منها في الصورة التاج بشكل واضح، أما الوجه الآخر، فقد رسم عليه ما يرمز لمعبد النار، وهو عبارة عن قاعدة تعلوها شعلة نار، ويقف على جانبي القاعدة والشعلة حارسان مدججان بالسلاح، ويحيط بهذه الرسوم على الوجه والظهر كتابات فهلوية، تذكر اسم الملك وألقابه والسنة التي ضربت فيها[٥].

وفي عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، (١٣هـ/ ٦٣٤م - ٢٣هـ/ ٦٤٣م) اتسعت الدولة الإسلامية، حتى احتوت العراق، ودولة الفرس بأكملها، كما ضمت أغنى أقاليم الدولة البيزنطية مصر والشام، ونتيجة لذلك تدفقت على بيت المال جميع أنواع المسكوكات التي كان بعضها مزيفاً[٦]. ويبدو أن عمر بن الخطاب رأى أنه لا بد من

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة، ابن سلام: كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهرية، انظر الحديث رقم (٦٢٥)، ص ٣٦٤، والغنيمة: ما أصاب المسلمون من أعدائهم (أهل الحرب) وأوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب، وفي الغنائم الخمس لله تعالى، والفيء: ما صالح عليه المسلمون بغير قتال، وليس فيه خمس فهو لمن سمى الله ورسوله، د. أحمد الشرباصي: المعجم الاقتصادي الإسلامي، ص ٣٢٨، ص ٣٤٨.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة، الكرملي: النقود العربية، ص ٣٠، وعن (النواة) وهي خمس دراهم، انظر الكرملي، ص ١١، د. أحمد الشرباصي: المعجم الاقتصادي الإسلامي، ص ٤٧٠.

(٣) الجرافي: المقتطف في تاريخ اليمن، طبعة ثانية بيروت ١٩٨٤، ص ٥٤.

(٤) عبد القادر المعاضيدي: واسط في العصر الأموي، طبعة أولى، بغداد ١٩٧٦، ص ٣٦٦.

(٥) د. ناهض عبد الرزاق: تاريخ المسكوكات، ص ١٢٨.

(٦) حسيني: الإدارة العربية، ص ١٧٢.

اتخاذ خطوات جادة في سبيل حماية المعاملات النقدية الإسلامية، لما قد تتعرض له العملة من التزييف، كما رأى أنه ينبغي أن تحمل العملة المتداولة في ذلك الوقت بعضاً من مظاهر سيادة الدولة الإسلامية على مسكوكاتها. واتضح أن الخطوات التي اتخذها عمر بن الخطاب في ذلك الوقت سنة (١٨هـ/ ٦٣٩م)[١]، سارت في اتجاهين:

الاتجاه الأول: وهو توحيد وزن العملة[٢]، لأنه، رضي الله عنه، عندما تفحص الدراهم رأى أن هناك ثلاثة أنواع منها مختلفة الوزن فبعضها يزن (٢٠) قيراطاً، وبعضها (١٢) قيراطاً، والبعض الآخر عشرة قراريط. ومجموع ذلك (٤٢) قيراطاً، فضرب الدراهم على وزن الثلث من مجموع ذلك وهو (١٤) قيراطاً[٣]، أي ما يعادل سبعة أعشار المثقال، وهذا يعني أن كل (١٤٠) قيراطاً تساوي وزن سبعة مثاقيل بنسبة ٧: ١٠، ويساوي ذلك ٩٧ر ٢ من الجرامات[٤]. ويروي المقريزي أن عمر في آخر أيامه أجرى تخفيضاً على وزن العملة، فأصبح وزن كل عشرة دراهم ستة مثاقيل أي ستة دنانير[٥].

وفي الاتجاه الثاني: رأى عمر أن تتميز الدراهم المضروبة في المدن الإسلامية على الطراز الساساني بنقوش عربية مما تقتضيه سيادة الدولة الإسلامية على نقدها[٦]. فنقش على الدراهم بالخط العربي: (الحمد لله) و: (بسم الله ربي)[٧]، وفي بعضها: (محمد رسول الله)، وفي بعضها: (لا إله إلا الله وحده)[٨].

على كل حال كانت هذه هي أولى المحاولات التي بذلها المسلمون من جانبهم

---

(١) الكرملي: النقود العربية، ص ٣١.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (درهم) (E. V. Zambaur).

(٣) الكرملي: النقود العربية، ص ٩٠.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة، دائرة المعارف الإسلامية مادة (درهم)، (E. V. Zambaur)، (ومعرفة وزن الدراهم هو تعييرها لمعرفة أوزانها، وعير الدنانير تعييراً: وزنها واحداً بعد واحد، وأرباب الدراهم والدنانير يريدون بالعيار ما جعل فيها من الفضة الخالصة أو الذهب الخالص، وتختلف الدول في تحديد ذلك القدر أو ذلك العيار في سكتها، انظر د. أحمد الشرباصي: المعجم الاقتصادي الإسلامي، ص ٣٠٨).

(٥) الكرملي: النقود العربية، ص ٣٢.

(٦) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية، ص ٣٩٢.

(٧) د. ناهض عبد الرزاق: تاريخ المسكوكات، ص ١٣٠.

(٨) الكرملي: النقود العربية، ص ٣٢.

للاستقلال النقدي تدريجياً عن النقد الساساني، وواضح من هذه المحاولة، والمحاولات التي تلتها ـ خلال عصر الخلفاء الراشدين ـ أن التعديلات شملت الدرهم الساساني حيث كان المسلمون قد نجحوا في القضاء على الإمبراطورية الساسانية، أما التعديل في الدينار البيزنطي، فسوف يتأخر إلى بداية قيام الدولة الأموية، لأن الإمبراطورية البيزنطية ما زالت موجودة، وتتمتع سكتها الذهبية بالحماية المطلقة في الأسواق العالمية من جانب البيزنطيين، والمسلمون من جانبهم كانت لديهم رغبة أكيدة في المحافظة على الاستقرار الاقتصادي في أقاليم دولتهم المترامية الأطراف.

وفي زمن عثمان بن عفان (٢٣هـ/ ٦٤٣م ـ ٣٥هـ/ ٦٥٥)، سُكت دراهم إسلامية على الطراز الساساني أيضاً، إلا أنه زيدت في عباراتها المثبتة عليها كلمات جديدة مثل (لله) و(محمد) و(بركة) و(بسم الله الملك) و(الله أكبر)[١]. وسك علي بن أبي طالب ـ رابع الخلفاء الراشدين (٣٥هـ/ ٦٥٥م ـ ٤٠هـ/ ٦٦٠م) الدراهم الإسلامية على نفس الطراز الساساني السابق، إلا أنه أضاف عبارة جديدة عليها، وهي عبارة (ولي الله)[٢].

وإذا كانت بعض الولايات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، قد اتبعت في معاملاتها المالية بصفة أساسية قاعدة الذهب كمصر على سبيل المثال[٣]. فإن اليمن في هذه الفترة ـ في صدر الإسلام ـ قد اتبعت أيضاً قاعدة الذهب، يتضح ذلك من مجمل روايات المؤرخين عن المعاملات والمبادلات، وقيم الأعمال والمبيعات، والعلاقة المالية بين اليمن الولاية وعاصمة الخلافة في المدينة المنورة أو الكوفة، وفي المصادر روايات هي قرائن تاريخية تؤكد هذه الحقيقة، فقد كان يعلى بن أمية والياً على صنعاء وأعمالها، في زمن الرسول، ﷺ، وكذلك في عهد أبي بكر رضي الله عنه، فلما تولى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أقر يعلى على عمله في اليمن، وظل على عمله في اليمن إلى أن قُتل عثمان، فلما تولى علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، الخلافة، عزل يعلى بن أمية عن اليمن، فيمن عُزل من الولاة الأمويين، فانضم يعلى إلى طلحة والزبير وعائشة في أثناء ثورتهم على عليّ، وحمل معه من اليمن ما كان لديه من أموال في بيت المال

(١) الكرملي: النقود العربية ص ٣٢، د. ناهض عبد الرزاق: تاريخ المسكوكات، ص ١٣٠.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) الكرملي: النقود العربية، ص ٥٢، د. عبد الرحمٰن فهمي: فجر السكة، ص ٣١.

بصنعاء، وزود به الثوار في موقعة الجمل، وبلغ ما قدمه يعلى بن أمية للثورة في ذلك الوقت ستمائة ألف دينار ذهباً، وستمائة بعير[١]. وهذا يعني أن الذهب كان أساساً للنظام النقدي في اليمن إبان صدر الإسلام.

وهناك حادثة أخرى تدعم ما ذكرناه في هذا الشأن أيضاً، ففي سنة (٦٧هـ) ظهر الخوارج في عُمان، واتجهت جماعات منهم إلى صنعاء باليمن، فجمع وهب بن مُنَبِّه أهل صنعاء وحرضهم على قتال الخوارج، فقالوا «ليس لنا طاقة بقتالهم، وإنا لنخشى أن يستحلون سبي أولادنا، ثم صالحوهم على مائة ألف دينار، واستعانوا بأهل المخاليف على تسليم المال فأعانوهم»[٢]. وهذا كما ذكرنا يعني أن الذهب كان قاعدة وأساساً للنظام النقدي في اليمن إبان صدر الإسلام وبعد ذلك، ولا يخفى أن ارتباط حركة التجارة في اليمن قبل الإسلام كان بأسواق التجارة العالمية في الشام ومصر ودول حوض البحر المتوسط، وأسواق التجارة في مكة، وهذه دول كانت قاعدة التعامل فيها تقوم على الدينار البيزنطي، وربما كانت الإمبراطورية الفارسية تعتبر اليمن في ذلك الوقت إحدى مصادرها لجلب العملة الذهبية[٣].

وبقيام الدولة الأموية سنة (٤١هـ/ ٦٦١م)، واستقرار الأوضاع فيها لمعاوية بن أبي سفيان، تعددت اتجاهات معاوية في مجال ضرب السكة الإسلامية، فتراه يضرب السكة بنفس الطريقة التي كانت سائدة في زمن الخلفاء الراشدين[٤]. وفي نفس الوقت استجاب لطلب زياد بن أبيه ـ الذي كان والياً لمعاوية على الكوفة والبصرة ـ عندما قال له: «يا أمير المؤمنين إن العبد الصالح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه صَغَّر الدرهم... فلو جعلت عياراً دون ذلك ازدادت الرعية به مرفقاً، ومضت لك السنة الصالحة[٥]». فأمره معاوية بضرب الدراهم التي عرفت بالدراهم السود الناقصة، وكانت من ستة

---

(١) عبد الباقي اليماني: بهجة الزمن، تحقيق: مصطفى حجازي، طبعة ثانية ١٩٨٥، ص ٢٠، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، تحقيق: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، طبعة: ١٩٦٨، جـ ١، ص ٩٤، الجرافي: المقتطف، ص ٥٣، ابن كثير: البداية والنهاية، طبعة أولى بيروت ١٩٨٥، جـ ٧، ص ٧٥، ص ٢٤٢.

(٢) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٠٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، طبعة بيروت، جـ ٣، ص ٤٠٤ـ ٤٠٦.

(٤) د. ناهض عبد الرزاق: تاريخ المسكوكات، ص ١٣٠.

(٥) الكرملي: النقود العربية، ص ٣٢.

دوانيق، وهي كما ذكر المقريزي: «خمسة عشر قيراطاً تنقص حبة أو حبتين[١] فكانت تجرى مجرى الدرهم»[٢].

وإلى جانب ذلك ضربت في أيام معاوية دراهم كتب عليها بالحروف البهلوية «معاوية أمير ورد شنكان»، ومعناها «معاوية أمير المؤمنين»، وكان سك هذا النوع من الدراهم بمدينة داربجرد سنة (٤١هـ/ ٦٦١م)[٣].

إلا أن الظاهرة الكبرى التي تلفت النظر هي ما قام به معاوية بن أبي سفيان من سك دينار إسلامي على الطراز البيزنطي، فيروي المقريزي «وضرب معاوية أيضاً دنانير عليها تمثال، متقلداً سيفاً»[٤]. ويبدو أن هذا الدينار كان رديئاً لأنه وجد اعتراضاً عليه من بعض شيوخ الجند العاملين في الدولة الأموية في ذلك الوقت[٥]. وهذا الدينار لا يزال مجهولاً حتى اليوم[٦].

وشهدت الفترة التي تلت وفاة معاوية بن أبي سفيان فوضى شاملة في ضرب السكة الإسلامية، حيث واجهت الدولة الأموية كثيراً من حركات المعارضة متمثلة في ثورة الحسين بن علي، رضي الله عنه، في الكوفة سنة (٦٠هـ/ ٦٧٩م)[٧]. وثورة عبد الله بن الزبير بالحجاز سنة (٦١هـ/ ٦٨٠م)[٨]. وثورات الخوارج[٩] فقد عزز كل طرف من هذه الأطراف الثائرة وجوده في الأقاليم التي سيطر عليها، بمظهر من مظاهر السيادة المؤثرة في الجماهير المنضوية تحت لوائهم، وهي السكة، فضرب كل طرف سكته الخاصة به.

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٣.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) د. ناهض عبد الرزاق: تاريخ المسكوكات، ص ١٣٠.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة، (لم يعثر على هذا الدينار حتى الآن، وربما كان إصلاح الخليفة عبد الملك بن مروان للسكة الإسلامية وتعريبها سبباً في عدم وصول هذا النوع من الدنانير إلينا، حيث جمعت هذه الدنانير وأعيد سكها مرة ثانية، فربما اختفت لهذا السبب، انظر، المرجع السابق، نفس الصفحة).

(٥) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٦) د. عبد الرحمٰن فهمي: فجر السكة العربية، ص ٣٧.

(٧) ابن الأثير؛ الكامل، جـ٤، ص ٢٠ وما بعدها.

(٨) المصدر السابق، جـ ٤، ص ٩٨.

(٩) المصدر السابق، جـ ٤، ص ١٦٥ وما بعدها.

فعبد الله بن الزبير عندما أعلن ثورته على الأمويين بمكة، ضرب دراهم مدورة تحدث عنها المقريزي، فذكر أن ابن الزبير: «أول من ضرب الدراهم المستديرة، وكان ما ضرب منها قبل ذلك ممسوحاً، غليظاً قصيراً، فدورها عبد اللّه ونقش على أحد وجهي الدرهم: (محمد رسول الله)، وعلى الآخر: (أمر الله بالوفاء والعدل)[1]. كذلك سمح عبد اللّه بن الزبير لأخيه مصعب بن الزبير الذي كان والياً من قِبَله على العراق بضرب الدراهم بالعراق، وجعل كل عشرة منها سبعة ثاقيل، وصرفت هذه الدراهم للجند في عطائهم[2].

وكان لثوار الخوارج أيضاً سكتهم، وقد ناهضوا بها بني أمية ونازعوهم في السيادة والسلطان على مناطق كثيرة من العراق، فقطري بن الفجاءة تمادى في نشاطه المعادي للأمويين، فسك في سنة (٧٥هـ/ ٦٩٤م) عملة باسمه تداولها الناس في المناطق التي وصل إليها نفوذه في العراق[3].

ومن المؤكد أن تلك العملة التي ضربها عبد اللّه بن الزبير في أثناء ثورته بالحجاز قد وصلت إلى اليمن، وتداولها الناس في بلدانه المختلفة، حيث كانت اليمن إحدى الأقاليم التي بايعت لعبد الله بن الزبير حين قام بالثورة، واستقبلت عماله عليها، وظلت تدين بالولاء له حتى مقتله سنة (٧٣هـ/ ٦٩٢م)[4].

---

(١) الكرملي: النقود العربية، ص ٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٣، ٣٤، المرجع السابق، ص ١٠ - Walker, J., A Catalogue of the Arab - Sassanian Coins, (London, 1941), P. 102.

(٣) د. إبراهيم العدوى: التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية، طبعة أولى، الأنجلو المصرية، ص ٢٨٨.

(٤) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٠٩، «ظهر عبد اللّه بن الزبير بمكة فأطاعه أهل اليمن إلا القليل منهم، فاستعمل ابن الزبير الضحاك بن فيروز، فمكث سنة، ثم عزله بعبد الله بن عبد الرحمٰن بن خالد بن الوليد، فولي سنة، ثم عزله بعبد اللهبن أبي وداعة السَّهْمِي، فمكث سنة وثمانية أشهر، ثم عزله بأخيه عبيدة بن الزبير، فمكث خمسة أشهر، وعزله وولى قيس بن يزيد السعدي أخو بني تميم، فمكث عشرة أشهر، ثم عزله، واستعمل ولاة كان الرجل منهم يلي أربعة أشهر وخمسة أشهر ويعزله، حتى قتل عبد اللّه بن الزبير» انظر، عبد الباقي اليماني: بهجة الزمن، ص ٢١، ٢٢، انظر النص أيضاً بخلاف في اللفظ في يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ١، ص ١٠٤، ١٠٥.

ولم يقف الأمر في هذه الفترة المضطربة ـ من حياة الدولة الأموية ـ عند هذا الحد، حيث تعرضت السكة الأموية نفسها للغش والتزييف، فيروي ابن الأثير عن المغيرة: أن عبيد الله بن زياد، الذي كان والياً على البصرة والكوفة من قبل بني أمية، كان: «أول من ضرب الزيوف في الإسلام»(١). ويعزي ابن خلدون هذا الاضطراب الذي طرأ على السكة الإسلامية ـ بالغش والتزييف ـ إلى غفلة الدولة الأموية، وانشغالها بمشاكلها السياسية، وفي هذا يقول: «تفاحش الغش في الدنانير والدراهم لغفلة الدولة عن ذلك»(٢).

وكانت هذه السكة الزائفة المغشوشة تفد إلى اليمن مع ما يفد إليها من كميات النقد والعملة المتداولة في أسواق الدولة الأموية، باعتبار أن اليمن إحدى الولايات الهامة فيها، وقد أثر على سمعة الأسواق التجارية اليمنية باعتبار أن اليمن كانت ما تزال مركزاً من المراكز التجارية الهامة في جنوب الجزيرة العربية، وكانت أسواقها مضطرة للتعامل بهذه الأنواع من السكة التي يدخل بعضها الغش والزيف، وكذلك لأنه لم تكن هناك دور لضرب السكة في اليمن في العصر الأموي(٣).

ولقد كرس الأمويون جهودهم ـ بعد القضاء على حركة عبد اللّه بن الزبير سنة (٧٣هـ/ ٦٩٢م)، وهي أخطر حركات المعارضة التي واجهت النظام السياسي الأموي ـ لتحويل كل شيء في جهاز الدولة الأموية إلى العربية، وتعرف هذه السياسة الأموية الجديدة باسم (التعريب)، وهي من أهم الحركات التي شهدها العصر الأموي وبدأت هذه الحركة على يد عبد الملك بن مروان، ثم سار بها ابنه الخليفة الوليد خطوات واسعة إلى الأمام، حيث تركزت حركة التعريب في ذلك الوقت المبكر على ميدانين هامين، أحدهما تعريب دواوين الدولة، والآخر تعريب العملة المتداولة بين أبناء هذه الدولة الشاسعة(٤).

---

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ ٤، ص ٢٦٥.

(٢) الكرملي: النقود العربية، ص ١٠٤.

(٣) د. محمد أبو الفرج العش: المسكوكات في الحضارة العربية الإسلامية، بحث لمؤتمر الآثار التاسع المنعقد في صنعاء، فبراير ١٩٨٠، ص ٢٠.

(٤) د. إبراهيم العدوي: التاريخ السياسي، ص ٢٤١، د. عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ص ٤٣ Lewis, B. Islam from the Prophet Muhammad to the Capture of Constantinople (U. S. A. 1974), vol. 1, P. XXV.

ولدى المؤرخين روايات عن الأسباب المباشرة التي عجلت بأن يقود عبد الملك بن مروان حركة التعريب للعملة الإسلامية، فابن الأثير يروي أن عبد الملك بن مروان: «كتب في صدور الكتب إلى الروم»: **(قل هو الله أحد)**، وذكر النبي، ﷺ، مع التاريخ، فكتب إليه ملك الروم: إنكم قد أحدثتم كذا وكذا فاتركوه وإلا أتاكم في دنانيرنا من ذكر نبيكم ما تكرهون، فعظم ذلك عليه (عبد الملك)، فأحضر خالد بن يزيد بن معاوية فاستشاره فيه، فقال: حرم دنانيرهم واضرب للناس سكة فيها ذكر الله تعالى، فضرب الدنانير والدراهم»[١].

ولابن تغري بردي رواية مشابهة لرواية ابن الأثير والمقريزي السابقة، يقول فيها: «وعبد الملك أول من أحدث ضربها في الإسلام (الدنانير والدراهم)، فانتفع الناس بذلك، وكان سبب ضربها أنه (عبد الملك) كتب في صدر كتاب إلى ملك الروم **(قل هو الله أحد)**، وذكر النبي، ﷺ، مع التاريخ، فكتب إليه ملك الروم: إنكم أحدثتم كذا وكذا فاتركوه، وإلا أتاكم في دنانيرنا من ذكر نبيكم ما تكرهون، فعظم ذلك عليه (عبد الملك)، فأحضر خالد بن يزيد بن معاوية، فاستشاره فيه فقال: حرم دنانيرهم واضرب للناس سكة، وفيها ذكر الله تعالى، ثم استشار أخاه عبد العزيز فأشار عليه أيضاً بذلك فضرب الدنانير والدراهم»[٢]، وهذه الرواية تضيف إلى الرواية السابقة أن عبد الملك استشار أخاه عبد العزيز بن مروان، الذي كان يحكم إذ ذاك مصر أقوى ولايات الدولة الأموية ومصدر صناعة الطوامير التي كانت تُصدَّر إلى الروم البيزنطيين في ذلك الوقت.

ولدى السيوطي رواية أكثر وضوحاً في هذا الشأن من الروايتين السابقتين، فتذكر هذه الرواية أن عبد الملك «أول من كتب في صدور الطوامير[٣] **(قل هو الله أحد)** وذكر النبي، ﷺ، مع التاريخ، فكتب ملك الروم: إنكم قد أحدثتم في طواميركم شيئاً من ذكر

---

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ ٤، ص ٤١٦، ٤١٧، ونفس الرواية عند الكرملي: النقود العربية، ص ٣٥، مع خلاف في اللفظ.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر، جـ ١، ص ١٧٦، ١٧٧، (لايستبعد مثل هذه العبارات عن الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني الذي اشتهر بتعصبه للمسيحية، فمن النقوش التي كان يحملها نقده عبارة (عبد المسيح)، كما أنه أول امبراطور بيزنطي رسم على وجه نقده صورة للمسيح، انظر، د. العريني: الدولة البيزنطية، طبعة دار النهضة العربية، ص ١٤٥، ١٤٦).

(٣) الطوامير: هي لفائف البردي التي كان يكتب عليها، د. عبد الرحمٰن فهمي: فجر السكة. ص ٣٩.

نبيكم، فاتركوه، وإلا أتاكم من دنانيرنا ذكر ما تكرهون، فعظم ذلك على عبد الملك، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية، فشاوره، فقال: حرم دنانيرهم، واضرب للناس سكاكاً فيها ذكر الله، وذكر رسوله، ولا تعفهم مما يكرهون في الطوامير، فضرب الدنانير للناس سنة خمس وسبعين»[١].

وعندما نمضي مع المؤرخين نتابع رواياتهم حول الأسباب التي دفعت إلى تعريب العملة الإسلامية، نعثر على رواية عند البيهقي في كتابه (المحاسن والمساوئ)[٢]، وهي رواية لا بد منها لتوضيح ما جاء في الروايات السابقة ولا يخفى أهميتها في هذا الموضع، فالكسائي يقول في هذه الرواية التي نقلها البيهقي: «دخلت على الرشيد ذات يوم - وهو في إيوانه وبين يديه مال كثير... وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتأمله - وكان كثيراً ما يحدثني، فقال: هل علمت من أول من سن هذه الكتابة في الذهب والفضة!؟ قلت يا سيدي: هذا عبد الملك بن مروان. قال: فما كان السبب في ذلك؟ قلت: لا علم لي غير أنه أول من أحدث هذه الكتابة. فقال (الرشيد): سأخبرك، كانت القراطيس للروم، وكان أكثر من بمصر نصرانياً على دين الملك، ملك الروم، وكانت تطرز بالرومية، وكان طرازها أباً وابناً وروحاً قديساً[٣]».

وتمضي الرواية فتذكر أنه تصادف أن رأى عبد الملك أحد هذه الطوامير، فأنكرها ولم تكن هذه العبارات تكتب على الطوامير فقط بل كانت تكتب أيضاً على سائر المنتجات المصرية الأخرى المصدرة إلى البيزنطيين مثل الأواني والثياب والستور[٤]. فكتب عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز بن مروان: «بإبطال ذلك الطراز... وأن يأخذ صناع القراطيس بتطريزها بصورة التوحيد، وشهد الله أنه لا إله إلا هو... وكتب (عبد الملك) إلى عمال الآفاق جميعاً بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم، ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهي شيء منها بالضرب الوجيع والحبس الطويل[٥]».

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ص ٢١٨.

(٢) هذه الرواية موجودة بخلاف طفيف في اللفظ عند الدميري في كتابه حياة الحيوان، انظر الدميري: حياة الحيوان، طبعة بيروت مكتبة البيان، جـ ١، ص ٥٨- ٦٠.

(٣) البيهقي: المحاسن والمساوئ، طبعة بيروت ١٩٦٠، ص ٤٦٧.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) المصدر السابق، نفس الصفحة.

فلما وصلت المنتجات الإسلامية المطرزة بطراز التوحيد إلى بيزنطة، استشاط الإمبراطور البيزنطي غضباً، وكتب إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يقول: «أنا أحلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز إلى ما كان عليه أو لآمرن بنقش الدنانير والدراهم، فإنك تعلم أنه لا ينقش شيء منها إلا ما ينقش في بلادي - ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت في الإسلام - فينقش عليها من شتم نبيك ما إذا قرأته ارفض جبينك له عرقاً... فلما قرأ عبد الملك الكتاب... جمع أهل الإسلام واستشارهم.. فقال له.. (محمد بن علي بن الحسين): تدعو في هذه الساعة بصناع يضربون بين يديك سككاً للدراهم والدنانير، وتجعل النقش عليها سورة التوحيد، وذكر رسول الله، ﷺ، أحدهما في وجه الدرهم والدينار، والآخر في الوجه الثاني، وتجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه والسنة التي تُضرب فيها تلك الدراهم والدنانير، وتعمد إلى وزن ثلاثين درهماً عدداً من الثلاثة الأصناف التي العشرة منها عشرة مثاقيل، وعشرة منها وزن ستة مثاقيل، وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل، فتكون أوزانها جميعاً واحداً وعشرين مثقالاً، فتجزئها من الثلاثين فتصير العدة من الجميع، وزن سبعة مثاقيل، وتصب سنجات من قوارير، لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان، فتضرب الدراهم على وزن عشرة، والدنانير على وزن سبعة مثاقيل... وأمره محمد بن علي بن الحسين أن يكتب السكك[1] في جميع بلدان الإسلام وأن يتقدم إلى الناس في التعامل بها، وأن يتهددوا بقتل من يتعامل بغير هذه السكك من الدراهم والدنانير وغيرها، وأن تبطل وترد إلى مواضع العمل حتى تعاد على السكك الإسلامية، ففعل عبد الملك ذلك»[2].

ويعتبر هذا النص وغيره من النصوص - التي ذكرناه - أوفى النصوص التاريخية وأكملها حول حادث تعريب العملة في الدولة الإسلامية، وإن كان البعض يرى أن هذه النصوص السابقة التي ساقتها المصادر العربية لا تقدم إلا مساعدات محدودة في تفسير أسباب الإصلاح

(١) السكك: مفردها سكة، وهي الحديدة التي يطبع عليها الدرهم والدينار، أو هي قوالب سك العملة، كانت تصنع في دمشق، وتوزع من هناك على دور الضرب في الأمصار، انظر، الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، طبعة ثالثة ١٩٧٣، ص ١٥٥.

(٢) البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص ٤٦٨، ص ٤٦٩، ٤٧٠، وانظر النص عند لافوا La Voix, H.: Catalogue des Monnaies, Musulmanes de la Bibliotheque Nationale, Paris (1887 - 1896). Vol, I, P. XXIV.

المالي بتعريب العملة الذي قام به عبد الملك بن مروان، ويرى هؤلاء أن السبب المباشر في تعريب العملة يرجع إلى أن معاهدة عقدت بين عبد الملك بن مروان، والإمبراطور البيزنطي سنة (٧٠هـ/ ٦٨٩م)، اتفق الطرفان بمقتضاها على نقل الجنود غير النظاميين من الجراجمة من حدود الدولة الإسلامية إلى داخل الأراضي البيزنطية، نظير دفع عبد الملك بن مروان لإتاوة سنوية إلى الإمبراطور البيزنطي وقدرها ألف قطعة من الذهب في الجمعة[1]. ويمضي أصحاب هذا الرأي فيقولون بأن عبد الملك ضرب طرازاً من الدنانير عليه صورته، بدلاً من صورة الإمبراطور البيزنطي، وأن ذلك كان مثاراً للنزاع بين الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني، وبين الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، حيث اعتبر الإمبراطور البيزنطي هذا الطراز من العملة الإسلامية، اعتداء على السيادة البيزنطية. ولذلك فسخ الإمبراطور البيزنطي المعاهدة المبرمة مع العرب، لأن الإتاوة السنوية لم تدفع بسكة عليها صورة الإمبراطور

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٠٦، د. عبد الرحمٰن فهمي: فجر السكة، ص ٤٣، ذكر الدكتور عبد الرحمٰن فهمي، أن الإتاوة السنوية كانت ألف دينار من الذهب، د. عبد الرحمٰن فهمي: النقود العربية ماضيها وحاضرها، المكتبة الثقافية (١٠٣)، ص ٣٨؛ وانظر، La Voix, H., op. cit., Vol. I, P. XXV

(والجراجمة: قوم «من مدينة على جبل اللكام عند معدن الزاج فيما بين بياس وبوقا، يقال لها الجرجومة» وكان الجراجمة كما ذكر البلاذري في فتوح البلدان يستقيمون للولاة المسلمين مرة ويعوجون مرة أخرى ويكاتبون الروم ويمالئونهم، واضطر عبد الملك بن مروان في أثناء فتنة ابن الزبير إلى مصالحتهم على أن يدفع لهم ألف دينار في كل جمعة، وفي نفس الوقت صالح الامبراطور البيزنطي على مال يؤديه، ذكر ابن الأثير أنه أيضاً كان ألف دينار كل جمعة، وهذا الصلح هو المعاهدة المشار إليها آنفاً. ولم تشر المصادر العربية في نصوصها إلى أن نقض هذه المعاهدة كان سبباً في التعريب، وذكر ابن الأثير الصلح مع الجراجمة في أحداث سنة (٦٩هـ)، والصلح مع الإمبراطور البيزنطي بشأن الجراجمة في أحداث سنة (٧٠هـ) وأثبتت الأحداث بعد نظر عبد الملك بن مروان ازاء هذه المعاهدة، إذ ترتب عليها تدمير (السور النحاسي) الذي كان يشكله هؤلاء الجراجمة أو (المردة) كما تسميهم بعض المراجع ـ لحماية آسيا الصغرى من غارات المسلمين، بنقلهم إلى داخل الحدود البيزنطية، وقد فتح هذا الطريق أمام المسلمين، ليتقدموا في آسيا الصغرى بسهولة ويسر، انظر، البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد مكتبة النهضة المصرية، ج ١، ص ١٨٩، ابن الأثير: الكامل جـ ٤، ص ٣٠٤، ٣٠٦، د. حسنين ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، طبعة ١٩٨٣، ص ٩٤، وعن الجراجمة وتدمير السور النحاسي انظر، Vasiliev, A.A., History of the Byzantine Empire, (medison & milwankee 1964), Vol. I, P. 215, after Theophenes, Chronographia, ed. de Boor), p. 364, وقارن، د. العريني: الدولة البيزنطية، ص ١٣٩، ١٤٠).

البيزنطي، وبذلك تجدد العداء التقليدي مرة أخرى بين العرب والبيزنطيين[1].

والحقيقة أن هذه الحادثة ـ حول هذه المعاهدة ـ لا تصلح أن تكون وحدها مبرراً لتعريب العملة في الدولة الإسلامية، ومما يدعم وجهة النظر هذه أن معاوية بن أبي سفيان ضرب ديناراً إسلامياً وعليه صورة تمثال يتقلد سيفا يمثل الخليفة[2]، ولم يحرك البيزنطيون ساكناً، ولم يعترضوا على هذا المسلك من أول خلفاء بني أمية، معاوية بن أبي سفيان، كما أن المصادر العربية أثبتت هذه المعاهدة ضمن رواياتها ولكنها لم تذكر أنها كانت سبباً في تعريب العملة، وضربها على الطراز الإسلامي[3].

وإنما الواضح من خلال الملابسات التاريخية التي ذكرناها، أن تعريب العملة الإسلامية تعريباً كاملاً جاء متزامناً مع حركة التعريب الكبرى التي شملت جميع المنتجات في الدولة الأموية من الطرز والطوامير والقُرُشْ والأوانى ـ التي كانت تنتج في مصر وتصدر إلى بيزنطة ـ وإلغاء عبارات التثليث المسيحية التي كانت تكتب عليها، وكتابة عبارة «شهد الله أنه لا إله إلا هو». وكانت تهديدات الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني بضرب دينار ذهبي عليه عبارات تسيئ إلى النبي ﷺ كثمن لهذه المنتجات، سبباً في أن يسارع عبد الملك بن مروان إلى ضرب الدنانير على الطراز الإسلامي الخالص، والتدرج في تطوير ضرب هذه السكة حتى جاءت في النهاية معربة تعريباً كاملاً. ولم يملك الإمبراطور البيزنطي إزاء هذه الأحداث أكثر من فسخ المعاهدة المبرمة بينه وبين عبد الملك بن مروان بخصوص الجراجمة. إذ المعروف أن الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني تولى عرش الإمبراطورية البيزنطية سنة (٦٦هـ/ ٦٨٥م) وهو بعد لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره، وكان كما ذكر بعض المؤرخين مجرداً مما يتصف به السياسي الماهر، من سداد الرأي والرزانة، وأدى به طموحه الشديد إلى الشهرة إلى القيام بأعمال لطخت سمعته في نظر معاصريه، فتعرض في سنة (٧٦هـ/ ٦٩٥م) لثورة داخلية، أطاحت به، ونفى على أثرها إلى شبه جزيرة القرم بعد أن جدع الثوار أنفه[4]، ولذلك مضت حركة

---

(١) د. عبد الرحمٰن فهمي: فجر السكة، ص ٤٧، وانظر La Voix, H., op. cit, Vol. l, p. XXVII.
(٢) الكرملي: النقود العربية، ص ٣٣.
(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ ٤، ص ٣٠٦، البلاذري: فتوح البلدان، جـ ١، ص ١٨٩.
(٤) جدع الثوار أنفه وقطعوا بعض لسانه، وسمي مجدوع الأنف، ولقبه باليونانية (Rhinstmetus)، انظر، Vasiliev, A.A, op. cit., Vol. l, p. 193
وقارن، د. العريني: الدولة البيزنطية، ص ١٣٩ وما بعدها.

التعريب للعملة الإسلامية بعد هذا التاريخ دون أي اعتراض من جانب الإمبراطورية البيزنطية.

على كل حال فإن الروايات التي جاءت في المصادر العربية ـ والتي ذكرناها آنفاً وأجمع عليها معظم المؤرخين المسلمين[١] ـ شديدة الوضوح في الإشارة إلى الأحداث المباشرة التي دفعت إلى التعريب وهي أسباب قوية، ساندتها أوضاع نقدية متردية للعملة في الدولة الأموية، هي أسباب أخرى أساسية لتعريب السكة، حيث كانت ولايات الدولة الأموية ومن بينها اليمن تعاني من متاعب كثيرة نتيجة احتكار الروم (البيزنطيين) للدينار وتحكمها في سعره[٢]، كما زاد اضطراب العملة الفارسية الفضية المستخدمة في الولايات الشرقية بالعراق وفارس وخراسان، وكذلك اليمن، نتيجة لسوء وزن الفضة فيها وكثرة المغشوش منها أيضاً[٣] وقد أشار الماوردي في الأحكام السلطانية إلى ذلك بقوله: «وقد كان الفرس عند فساد أمورهم فسدت نقودهم، فجاء الإسلام ونقودهم من العين الورق غير خالصة، إلا أنها كانت تقوم في المعاملات مقام الخالصة»[٤]. ودأب الناس على أداء الخراج بالعملات ذت القيمة المنخفضة، والاحتفاظ بالعملات العالية القيمة، مما أضر بالخراج وأساء إلى العدالة في جبايتها، وشرح الماوردي أيضاً هذه الظاهرة قائلاً: «ثم فسد الناس، فصار أرباب الخراج يؤدون الطبرية التي هي أربعة دوانق، وتمسكوا بالوافي الذي وزنه وزن المثقال فلما ولي زياد العراق طالب بأداء الوافي وألزمهم الكسور، وجار فيه عمال بني أمية»[٥].

واجهت هذه الأوضاع النقدية السيئة الخليفة عبد الملك بن مروان، بعد انتهائه من القضاء على ثورة عبد الله بن الزبير، ولا شك أن الأمويين خرجوا بعد القضاء على

---

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٤١٦، ٤١٧، الكرملي: النقود العربية ص ٣٥، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ١، ص ١٧٦، ١٧٧، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢١٨، الدميري: حياة الحيوان، جـ١، ص ٥٨ـ ٦٠، البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص ٤٦٧.

(٢) د. إبراهيم العدوي: التاريخ الإسلامي، ص ٢٤٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٤٣.

(٤) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ١٥٤،(العين: بفتح فسكون ـ يطلق على النقد نحاساً كان أم فضة أم ذهباً، أما الورق: بكسر الراء، فهي الفضة، لقوله تعالى: **﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة﴾** سورة الكهف: الآية (١٩)، د. أحمد الشرباصي: المعجم الاقتصادي الإسلامي، ص ٣٠٨، ٤٧٦.

(٥) المرجع السابق، نفس الصفحة، نقلاً عن الماوردي.

حركاتَ المعارضة أشد قوة ومراساً، وكانوا على استعداد لبدء حركة إصلاح مالي ونقدي واسعة تشمل الدولة الإسلامية كلها[١]، وأقبل عبد الملك على سك دنانير إسلامية جديدة عليها آيات من القرآن الكريم، وعرفت هذه الدنانير باسم الدمشقية[٢]، وظهرت هذه السكة الجديدة ابتداء من سنة (٧٤هـ/ ٦٩٣م)[٣]، ولم يكن ظهور هذا الطراز من السكة مناورة سياسية لجس نبض الدولة البيزنطية[٤]، وإنما كان بداية لظهور طراز جديد من السكة الإسلامية، بناء على سياسة نقدية جديدة تبنتها الخلافة الأموية، ولكن ظهور هذا الطراز صادف اعتراضاً من بعض الصحابة لوجود صورة عبد الملك بن مروان عليه، وأمام هذه الاعتراضات، عَدَّل عبد الملك في طراز السكة الإسلامية[٥]، وجاءت السكة بعد ذلك خالية من التصوير، وكتب عبد الملك على الدنانير كما يروي السيوطي: «(**قل هو الله أحد**)، وفي الوجه الآخر (**لا إله إلا الله**)، وطوقه بطوق فضة وكتب فيه ضرب بمدينة كذا وكتب خارج الطوق (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق)»[٦].

وفي نفس الوقت الذي سكت فيه الدنانير الدمشقية، أصدر عبد الملك بن مروان أوامره إلى واليه على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي بضرب الدراهم الإسلامية، بدلاً من الدراهم الفارسية، وفي هذا الشأن يروي المقريزي أن عبد الملك بعث «بالسكة إلى الحجاج فسيرها الحجاج إلى الآفاق لتضرب بها، وتقدم إلى الأمصار كلها أن يكتب إليه

---

(١) Lewis, B., op. cit.,Vol, p. XXV.

(٢) د. العدوي: التاريخ الإسلامي، ص ٢٤٤.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ٩، ص ١٦، (ويروي ابن كثير عن أبي الزناد أن السكة الجديدة نقشت في سنة (٧٤هـ)، وعن المدائني أنها نقشت في سنة (٧٥هـ) وضربت في أنحاء الدولة الأموية سنة (٧٦هـ). ويذكر ابن خلدون أن ضرب الدراهم بدأ في سنة (٧٤هـ)، ويروي أيضاً عن المدائني أنها كانت في سنة (٧٥هـ)، ثم أمر بضربها في النواحي سنة (٧٦هـ) أما ابن الأثير فيروي أن سنة (٧٦هـ) هي بداية ضرب الدراهم الجديدة، انظر ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ٩، ص ١٦، ١٧، ابن خلدون: العبر، جـ ١، ص ٤٦٣، ابن الأثير: الكامل، جـ ٤، ص ٤١٦ـ ٤١٨، وانظر، Walker, op. cit., p. CXII.

(٤) د. عبد الرحمن فهمي: فجر السكة، ص ٤٨.

(٥) الكرملي: النقود العربية، ص ٣٤.

(٦) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢١٧.

منها في كل شهر بما يجتمع قبلهم من المال، كي يحصيه عندهم، وأن تضرب الدراهم في الآفاق على السكة الإسلامية، وتحمل إليه أولاً فأولاً، وقدر في كل مائة درهم درهماً عن ثمن الحطب وأجر الضراب»[١].

وجاءت الصورة التي نقش عليها الدرهم المعرب إسلامية خالصة، حيث نقش «على أحد وجهي الدرهم: «**قل هو الله أحد**» وعلى الآخر: «**لا إله إلا الله**» وطوق الدرهم على وجهيه بطوق، وكتب في الطوق الواحد «ضرب هذا الدرهم بمدينة كذا» وفي الطوق الآخر: «محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»[٢].

وتحقق في هذه الدراهم الأموية المعربة ثلاث ميزات هامة[٣]: الأولى: أن كل سبعة مثاقيل تزن عشرة دراهم. والثانية: أن عبد الملك عدل بين صغارها وكبارها حتى اعتدلت وصار الدرهم ستة دوانيق. والثالثة: أن ضرب الدرهم على هذه الحالة موافق لما سنه رسول الله، ﷺ، في فريضة الزكاة بغير وكس واشتطاط وكما قضت السنة وأجمعت عليها الأمة».

وروى ابن خلدون وصف المعاصرين لهذه العملة الإسلامية الجديدة المعربة قائلاً: «وقد طلعت عملة عبد الملك مطابقة لهذه الأوزان، واستقر الإجماع أيضاً على أنها هي النقود الشرعية، وأطبق الكل على العمل بها، ووافق الفقهاء عليها ـ قاطبة ـ وعلى أنها هي التي تؤخذ بها الزكاة وتؤدى بها الحقوق التي أوجبها الشرع، أو ندبها وسار العمل بهذه الأوزان في العصور الإسلامية[٤].

---

(١) الكرملي: النقود العربية، ص ٣٦.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٧، (ويذكر المقريزي «إنما جعلت العشرة من الدراهم الفضة، بوزن سبعة مثاقيل من الذهب، لأن الذهب أوزن من الفضة، وأثقل وزناً، فأخذت حبة فضة، وحبة ذهب ووزنتا، فرجحت حبة الذهب على حبة الفضة ثلاث أسباع فجعل من أجل ذلك كل عشرة دراهم زنة سبعة مثاقيل» المرجع السابق، ص ٤٢).

(٤) د. العدوي: التاريخ الإسلامي، ص ٢٤٤.

(٥) بويع الوليد بن عبد الملك بالخلافة يوم الخميس منتصف شوال سنة (٨٦هـ)، وتوفي في منتصف جمادى الآخرة سنة (٩٦هـ) انظر ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٩، ص ٧٥، ص ١٧١، وانظر الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ـ الدولة الأموية، جـ ٢، ص ١٦٥، ١٧٧.

وجاء عصر الوليد بن عبد الملك (٨٦هـ/ ٧٠٥م - ٩٦هـ/ ٧١٤م)(١) بعد ذلك يحمل طابع الاستقرر النقدي في الدولة الأموية، ولا شك أن ذلك الاستقرار انعكس على سائر ولايات الدولة ومن بينها اليمن، التي كان واليها إذ ذاك من قبل الوليد بن عبد الملك أيوب بن يحيى الثقفي(٢).

وفي عهد هذا الوالي تمت كثير من الاصلاحات الداخلية في اليمن، من بينها الزيادة التي أمر بها الوليد بن عبد الملك في الجامع الكبير بصنعاء(٣). وقد جرت العادة أن يرسل الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك الأموال من بيت المال للإنفاق على هذه الإصلاحات الداخلية، وكانت هذه الكميات من الأموال تنفق على العمال والموظفين، والقائمين بالإصلاحات، وتسبب هذه الأموال - بصفة عامة - انتعاشاً ورخاء اقتصادياً واسعاً، وهي حالة عامة شملت ولايات الدولة الأموية في عهد الوليد ومن بينها اليمن(٤). وفي هذا الشأن يروي ابن الأثير أن الوليد بن عبد الملك كتب في سنة (٨٨هـ/ ٧٠٦م) إلى جميع ولاته على البدان من بينها اليمن «بإصلاح الطرق، وعمل الآبار، ومنع المجذومين من الخروج على الناس، وأجرى لهم الأرزاق»(٥) ولعل هذا يفسر توفر قطع من العملة الأموية من عصر الوليد بن عبد الملك في اليمن، إضافة إلى أن اليمن كولاية أموية تعاملت بالعملة الرومية للدولة، وهي الدينار والدرهم المحربان، فكان القاضي في اليمن يتقاضى راتباً شهرياً يقدر بثلثمائة درهم، عدداً لا وزناً، ويتقاضى مساعدوه - وهم عشرة أفراد - خمسين درهماً في كل شهر(٦)، ويبدو أن وفرة

---

(١) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ج ١، ص ١١٣. الكبسي: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، طبعة ١٩٨٣، ص ٥ . ابن الديبع: قرة العيون بأخبار اليمن الميمون تحقيق محمد بن علي الأكوع، طبعة ١٣٧٤، ص ١٠٢ .

(٢) المصدر السابق: نفس الصفحة، الكبسي: اللطائف السنية، ص ٥، ابن الديبع: الفضل المزيد على بغية المستفيد، تحقيق: د. يوسف شلحد، دار العودة بيروت، ص ٤٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ ٤، ص ٥٣٣، الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية - الدولة الأموية - جـ ٢، ص ١٦٧، ١٦٨.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) محمد بن علي الأكوع: الوثائق السياسية اليمنية، الطبعة الأولى ١٩٧٦، ص ٢٠٠، (ونص الوثيقة «وقد أجرى عليك أمير المؤمنين من الرزق في كل شهر ثلثمائة درهم، وعلى عشرة نفر ممن أحببت من أهل بيتك واستعنت به على عملك خمسين درهماً في كل شهر»، المرجع السابق، نفس الصفحة.

هذه الكميات في أيدي الناس أتاح الفرصة إلى بقاء بعض قطع منها يتناقلها الناس خالفاً عن سالف حتى وصلت إلينا أخيراً[1].

درهم دربجرد: اللوحة (١)

الوزن ٢,٠٠٠ جرام — القطر ٢٢ مم

الوجه: المركز:
لا إله إلا
الله وحده
لا شريك له

الهامش: بسم الله ضرب هذا الدرهم بدربجرد في سنة ثلاث وتسعين

الظهر: المركز:
الله أحد الله
الصمد لم يلد و
لم يولد ولم يكن
له كفواً أحد

الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

يعود تاريخ هذا الدرهم إلى سنة (٩٣هـ/ ٧١١م) في أثناء خلافة الوليد بن عبد الملك، وهو معرب تعريباً كاملاً، من ضرب مدينة (دربجرد) وهي إحدى المدن الفارسية ذات شهرة تاريخية قديمة ـ منذ العصر الساساني ـ في ضرب النقود وتسمى اليوم داراب (Darab)، وتبعد حوالي ٢٨٠ كم شرق مدينة شيراز بإيران[2]. فتحها سارية بن زنيم سنة ٢٣هـ في عهد عمر بن الخطاب،[3] رضي الله عنه، وتحولت المدينة ـ منذ ذلك

---

(١) هذان الدرهمان ـ موضوع الدراسة ـ كانا ضمن مجموعة خاصة أهداها للمتحف الوطني بصنعاء فضيلة القاضي عبد الله فاخر.

(٢) النقشبندي: الدرهم الأموي المعرب، ص ٣٥، ٣٦، (اشتهرت مدينة دربجرد أيضاً بصناعة الثياب بأنواعها والفرش المعروفة باسم (سورزن جرد)، المرجع السابق، ص ٣٦، ياقوت: معجم البلدان، طبعة بيروت، جـ ٢، ص ٤٤٦).

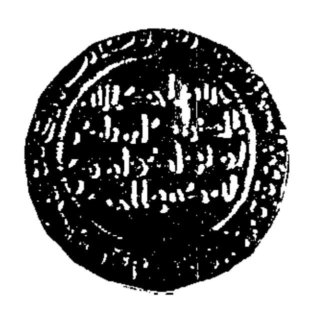
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ٧، ص ١٣٤، (اقترن فتح هذه المدينة بحادثة جليلة، كان عمر بن الخطاب طرفاً فيها، فيروي ابن كثير أن سارية بن زنيم عندما توجه لفتح دربجرد، وجد صعوبة كبيرة، وأصبح هو وجيشه في موقف بالغ الحرج، وكان عمر بن الخطاب في نفس اللحظة في المدينة يخطب=

لوحة رقم ١









درهم دربجرد (٩٣ هـ) ـ المتحف الوطني بصنعاء

العهد ـ بجميع منشآتها ومؤسساتها الانتاجية إلى مدينة إسلامية حافظت خلال العصور المتتابعة ومن بينها العصر الأموي ـ على شهرتها في مجال سك العملة حيث احتفظت بدور الضرب التي كانت بها، واستفاد العرب بخبرة أهلها في هذا الشأن، وقامت هذه المدينة بعد فتحها وحتى بدء حركة التعريب ـ بضرب الدراهم الإسلامية على الطراز الساساني ويظهر في خلال هذه الفترة وضوح التأثيرات الساسانية على طراز العملة الإسلامية، حيث ظهرت صور الملوك الساسانيين والكتابات الفهلوية جنباً إلى جنب مع النقوش العربية[(١)].

وينسب إلى داربجرد عدد من الدراهم المحفوظة في متاحف العالم ومجموعاته الخاصة، والتي يتضح منها تطور المسكوكات الإسلامية، ويتضح منها ورود اسم هذه المدينة على السكة بأشكال مختلفة مثل (دار بجرد، دار أبجرد، ودربجرد)[(٢)] وهذه الصورة الأخيرة هي التي توجد على الدرهم المنشور بهذا المقال، ويحتفظ متحف صنعاء بدرهم آخر ضرب بدربجرد، مؤرخ بعام (٩٦هـ/ ٧١٤م)، واسم المدينة عليه (دربجرد)[(٣)] أيضاً.

وقد وصلت إلينا أعداد من الدراهم المضروبة في داربجرد منذ بداية العصر الإسلامي وحتى مرحلة التعريب ومابعدها، منها درهم مؤرخ بعام (٣٠هـ)، وآخر عام (٤١هـ)، وثالث عام (٥٢هـ)[(٤)]، ودرهمان مؤرخان بسنة (٥٣هـ)، (٦٥هـ)، يعودان إلى أيام ثورة عبد الله بن

= يوم الجمعة فإذا به يقول في خطبته: «يا سارية بن زنيم الجبل»، فلجأ المسلمون إلى الجبل، فلم يقدر العدو عليهم، وتمكنوا من فتح المدينة، المصدر السابق، نفس الصفحة).

(١) المرجع السابق، ص ٣٦، د. أبو الفرج العش: كنز أم حجيرة الفضي، طبعة دمشق ١٩٧٢، ص ٢١، لوحة (٥)، تتجلى هذه التأثيرات في درهم مؤرخ بسنة (٤١هـ) من عصر الخليفة معاوية بن أبي سفيان. يظهر عليه نقش الهلال والنجمة وعبارة «بسم الله»، ودرهم آخر ضمن مجموعة كنز أم حجيرة يظهر عليه نقش الناظران، وموقد النار واسم المدينة بالفهلوية، والنجمة والهلال، وصورة كسرى النصفية المعتاد ظهورها على النقود الساسانية، المرجع السابق، نفس الصفحة، د. مصطفى شيحة: درهمان من العصر الأموي بالمتحف الوطني بصنعاء، اليمن الجديد، ديسمبر ١٩٨٥، ص ١٠٠).

(٢) د. عيسى سلمان: درهمان مهمان للخليفة عبد الملك بن مروان، مجلة المسكوكات العراقية، العدد السادس ١٩٧٥، ص ٨، كذلك أشار ياقوت في معجمة إلى اسم داربجرد بهذه الصيغ الثلاث، انظر ياقوت: معجم البلدان، جـ٢، ص ٤٤٦.

(٣) د. مصطفى شيحة: درهمان من العصر الأموي، اليمن الجديد، ديسمبر ١٩٨٥ ص ٩٨ـ ١٠١.

(٤) Miles, G., Rare Islamic Coins, (New York, 1950), pp. 1 -2, La Voix, H., OP. cit., No. 1, P. 51, 80

وانظر مجموعة الدراهم الأموية التي رصدها لافوا في عصر الوليد بن عبد الملك، La Voix, H., op. cit., Vol. I, p. 79, 80.

الزبير[1]. ويلاحظ أن هذه الدراهم التي ضربها الثوار في دربجرد، كانت تحمل عبارة «لا حكم إلا لله»، وظهر هذا الشعار لأول مرة على نقود زعيم الخوارج وخليفتهم قطري بن الفجاءة في الفترة ما بين سنة (٦٩هـ) وسنة (٧٨هـ)[2].

وبمقارنة درهم دربجرد (٩٣هـ) ـ موضوع الدراسة ـ بثلاثة دراهم أخرى بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة مؤرخين بأعوام (٩١هـ)[3]، (٩٢هـ)[4]، (٩٣هـ)[5]. يلاحظ أن: درهم متحف صنعاء ـ على الرغم من ـ تشابهه من حيث أسلوب الخط الكوفي مع الدراهم الثلاثة المحفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، إلا أن درهم متحف صنعاء يتميز بوجود نقطة في أعلى حرف الدال في كلمة (يولد)، بالسطر الثالث من كتابات مركز الظهر، وهو في هذا يختلف عن درهم متحف الفن الإسلامي بالقاهرة والمؤرخ بنفس العام (٩٣هـ)، خصوصاً في عدم وجود النقطة السابقة فوق حرف الدال في كلمة (يولد).

كما يلاحظ على درهم متحف صنعاء (٩٣هـ) وجود كلمة (في) تسبق كلمة (سنة)[6]. ويلاحظ أيضاً أن وزن درهم متحف الفن الإسلامي بالقاهرة (٩٣هـ) ٢,٣٠٠ جرام، وقطره ٢٤ مم[7]، بينما درهم متحف صنعاء (٩٣هـ) وزنه ٢,٠٠٠ جرام، وقطره ٢٢ مم وهناك درهم ثالث ضرب بدربجرد سنة (٩٣هـ) محفوظ بالمتحف العراقي وزنه ١,٥٠٠ جرام، وقطره ٢٧ مم[8].

---

(١) Miles, G., op. cit., p. 4.

(٢) د. محمد باقر الحسيني: دراسات إحصائية للشعارات على النقود في العصر الإسلامي، مجلة المسكوكات العراقية، العدد السادس ١٩٧٥، ص ١٠٣.

(٣) رقم ٢/ ١٦٧٥٤.

(٤) رقم ٣/ ١٦٧٥٤.

(٥) رقم ٤/ ١٦٧٥٤.

(٦) وانظر، د. عبد الرحمٰن فهمي: فجر السكة، ص ٣٤٦، لوحة رقم ٩ (٥٤٢).

(٧) النقشبدي: الدرهم الأموي المعرب، ص ١٣، (والمعروف أن حرف (في) استعمل في الدراهم منذ ضربها، وتركت بعض مدن الضرب استعماله منذ سنة (٨١هـ) كدمشق وأرمينية، وواضح هنا أن هذا الحرف ظل مستعملاً في الدراهم التي ضربت في دربجرد حتى سنة (٩٣هـ) التي ضرب فيها درهم متحف صنعاء الذي معنا، المرجع السابق، نفس الصفحة).

(٨) د. عبد الرحمٰن فهمي: فجر السكة، ص ٣٤٦.

(٩) رقم ٦٥٨٩ـ مس، لوح ٧، وانظر، النقشبدي: الدرهم الأموي المعرب، ص ٧٢.

درهم واسط: اللوحة(٢)

الوزن ١,٩٠٠ جرام، القطر ٢٢ مم.

الوجه: المركز: لا إله إلا

الله وحده

لا شريك له

الهامش: بسم الله ضرب هذا الدرهم بواسط في سنة أربع وتسعين

الظهر: المركز: الله أحد الله

الصمد لم يلد و

لم يولد ولم يكن

له كفواً أحد

الهامش: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

يرجع تاريخ ضرب هذا الدرهم إلى سنة (٩٤هـ/ ٧١٢م)[١] في زمن خلافة الوليد بن عبد الملك، وهو ينتمي إلى مجموعة الدراهم التي ترجع إلى حركة التعريب الكاملة، ومضروب في مدينة واسط (Wasit)، إحدى المدن العربية الجديدة الهامة، وهي المدينة العربية الثالثة التي أسسها العرب في العراق بعد الكوفة والبصرة، أسسها الحجاج بن يوسف الثقفي سنة (٨١هـ/ ٧٠٠م)[٢].

(١) وجدت هذا الدرهم مكسوراً وبه أثر ترميم، في حالة بدائية، ولعل هذا الكسر تسبب في نقص وزنه.

(٢) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، طبعة مؤسسة الحلبي، ج٢، ص ٣٨، ويروي السيوطي أنها بنيت في سنة(٨٣هـ) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢١٦، (سميت واسطاً لأن موقعها وسط بين البصرة والكوفة والأهواز، فهي تبعد بمقدار خمسين فرسخاً عن كل من المواقع الثلاثة، انظر، ياقوت معجم البلدان، ج ٥ ص ٣٧٧، عبد القادر المعاضيدي: واسط في العصر الأموي، ص ٧٣، ٧٤، النقشبندي: الدرهم الأموي المعرب، ص ٤٣، The Encyclopaedia of Islam, Vol. III, P. 41.

لوحة رقم (٢)






درهم واسط (٩٤) ـ المتحف الوطني بصنعاء

وكان من بين المؤسسات التي أنشئت في المدينة الجديدة دار السكة التي أصبحت بعد قليل مركزاً هاماً لضرب الدراهم الأموية، جمع فيه الحجاج الطباعين والصناع من سائر المراكز الأخرى التي تضرب السكة في العراق، فتقلص دور هذه المراكز بصورة تدريجية[1] بينما احتلت واسط مكان الصدارة في إصدار الدراهم الأموية المعربة حتى نهاية العصر الأموي سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٩م)[2]. ولدى المقريزي رواية تذكر أن هشام بن عبد الملك «أمر خالداً بن عبد الله القسري في سنة ست ومائة من الهجرة، أن يعيد العيار إلى وزنه سبعة، وأن يبطل السكك من كل بلدة إلا واسط فضرب الدرهم بواسط فقط»[3].

واكتسبت واسط أهميتها الاقتصادية لأن أمراءها كانوا شديدي الحرص على الاحتفاظ بسلامة النقود وجودتها، وقد أشار البلاذري إلى ذلك بقوله: «فلما ولي عمر بن هبيرة العراق ليزيد بن عبد الملك خلص الفضة أبلغ من تخليص من قبله، وجوَّد الدرهم، فاشتد في العيار» ثم ولي خالد بن عبد الله البجلى ثم القسري العراق لهشام بن عبد الملك، فاشتد في النقود أكثر من شدة ابن هبيرة، حتى أحكم أمرها أبلغ من إحكامه. ثم ولي يوسف بن عمر بعده، فأفرط في الشدة على الطباعين وأصحاب العيار، وقطع الأيدي وضرب الأبشار، فكانت الهبيرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بني أمية»[4].

وقد امتازت جميع الدراهم التي ضربت في مدينة واسط، بأنها ضربت على الطراز الإسلامي فجاءت خالية من التصاوير والتأثيرات الساسانية، كما أن نصوص هذه الدراهم كانت متشابهة عدا بعض الاختلافات البسيطة طول العهد الأموي، كما لم يطرأ عليها أي تغيير في نظام ضربها[5].

---

(١) المعاضيدي: واسط في العصر الأموي، ص ٣٧٢.

(٢) الكرملي: النقود العربية، ص٤٤، ص ٤٥.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحات. وعن هذا النص انظر، Walker, J., A Catalogue of the Arab Byzantine and Post-Reeform Umaiyad Coins (London, 1956), p. lXIII.

(٤) البلاذري: فتوح البلدان، جـ٢، ص ٥٧٥، ٥٧٦، عن جودة هذه العملة، انظر، د. عبد المنعم ماجد؛ التاريخ السياسي للدولة العربية، الأنجلو المصرية ١٩٧٦، ص ١٦٩.

(٥) المعاضيدي: واسط في العصر الأموي، ص ٣٧٩.

وتضم متاحف العالم ومجموعاته الخاصة أعداداً من الدراهم من ضرب مدينة واسط في العصر الأموي، وكثير من هذه الدراهم نشر من خلال دراسات علمية في كثير من الكتب والمراجع العربية والأجنبية التي تهتم بالسكة الإسلامية[١]، ومن بين المتاحف التي تحتفظ بهذه الدراهم من ضرب واسط، متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، والمتحف العراقي، ومتحف استانبول، والمتحف البريطاني، ومتحف برلين وباريس ولينجراد[٢]. وأخيراً متحف صنعاء[٣].

وبمقارنة درهم البحث (٩٤هـ)، بدرهم آخر من نفس المتحف (متحف صنعاء) مؤرخ بعام (٩٥هـ)[٤] يتضح ما يلي: تشابه أسلوب الخط الكوفي في كليهما، ولا سيما في حرف الياء على إطار هامش الوجه، إذ مد حرف الياء في كلمة (في) إلى الخلف بدرجة ملحوظة إلا أن هذا الدرهم (٩٤هـ) يتميز عن درهم(٩٥هـ)، باحتمال وجود نقطة فوق حرف السين في كلمة (واسط) بإطار هامش الوجه.

وبمقارنة هذا الدرهم أيضاً بمجموعة الدراهم العديدة التي ترجع إلى ما قبل عام (٩٣هـ) - تاريخ ضرب هذا الدرهم الذي معنا - والتي نشرها الدكتور عبد الرحمٰن فهمي في مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة[٥]، يتضح تشابههما إلى درجة كبيرة لا سيما في وجود نقطة فوق حرف الدال في كلمة (يولد) في السطر الثالث بكتابات مركز الظهر. ويظهر كذلك من مقارنة درهم متحف صنعاء (٩٤هـ)، بدرهم آخر مؤرخ بنفس العام

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٠٠، Nicol, D., Nabarawy, R., and Bacharc, Catalog of the Islamic coins, Glass weights, Dies and Medals in the Egyptian National Library, Cairo, p. 275, No. 280 - 285.

وانظر عند (لافوا) مجموعة الدراهم الأموية التي ضربت بواسط في عهد الوليد بن عبد الملك، La Voix, H. op. cit., Vol. l, p. 93, 94.

(٢) المعاضيدي: واسط في العصر الأموي، ص ٥٠٠.

(٣) د. مصطفى شيحة: درهمان من العصر الأموي بالمتحف الوطني بصنعاء، اليمن الجديد، ديسمبر ١٩٨٥، ٩٠-١١٢.

(٤) المرجع السابق، ٩٤.

(٥) انظر دراهم (٨٥هـ) رقم ١/ ١٦٧٥٥، (٨٦هـ) رقم ٣/ ١٦٧٥٥، عام (٨٩هـ) رقم ٥/ ١٦٧٦٧، عام (٩٠هـ) رقم ٦/ ١٦٧٦٧، انظر د. عبد الرحمٰن فهمي: فجر السكة، ص ٣٧٨- ٣٨٠، واللوحة ٩ (٥٤٢).

(٩٤هـ) ـ ومحفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة[١] ـ وجود نقطة فوق حرف الواو في كلمة (ولم) بالسطر الثالث من كتابات مركز الظهر، على درهم متحف الفن الإسلامي، بينما درهم متحف صنعاء توجد به النقطة فوق حرف الدال على كتابات مركز الظهر، وربما يرجع هذا الأمر إلى اختلاف قالب السك نفسه.

وأخيراً فكلا من درهمي البحث درهم دربجرد (٩٣هـ)، ودرهم واسط (٩٤هـ) يتشابهان في وجود ثلاثة دوائر خطية من حبيبات صغيرة متماسة على وجه الدرهم بين كتابات الهامش وإطار الدرهم، بينما نجد على الظهر دائرة واحدة تفصل بين الهامش وكتابات مركز الظهر، وتشابه الدرهمان أيضاً في أسلوب الخط الكوفي البسيط الخالي من التوريق، ويضاف إلى ذلك أن كلا من الدرهمين تشابها في خلوهما من التنقيط الذي جرى استخدامه بأمر الحجاج[٢]، بينما اختلف الدرهمان في سنة الضرب، ومدينة الضرب.

غاية القول ـ بعد أن وصلت الدراسة إلى مداها، فالدرهمان واجهة مشرقة للحضارة العربية الإسلامية في العصر الأموي، إذ هما يعكسان ما تمتعت به دور الضرب العربية الإسلامية ـ زمن بني أمية ـ من دقة بالغة في إصدار عملة الدولة، التي هي عماد بنائها النقدي والاقتصادي. وجاءت هذه العملة على النحو الي رأيناه، تتوافر فيها عناصر التناسق الجمالي، التي لا نراها في كثير من العملات المستخدمة قبل فترة التعريب، مما ينبئ عن خبرة واسعة تمتع بها الفنيون القائمون على ضرب العملة، ويتضح من المظهر العام للدرهمين على اختلاف مكان ضربهما التشابه الذي يكاد يكون متطابقاً، مما يعكس قوة الدولة الأموية زمن الوليد بن عبد الملك، وقدرتها على إصدار عملة صحيحة حازت ثقة الناس ورضاهم. كما أن هذه العملة ضمنت سلامة ميزانية الدولة الأموية التي كانت تتعرض قبل ذلك للنقص لما يدخل في جبايتها من نقود مزيفة أو ناقصة الوزن أو العيار.

ولا شك أن العثور على هذين الدرهمين في اليمن هو بمثابة الوثائق المادية التي تدعم ما جاء في المصادر التاريخية عن تبعية اليمن للدولة الأموية، ويشير بوضوح إلى أن العملة الأموية كانت متداولة في اليمن باعتبارها ولاية من ولايات الدولة الأموية (٤٢هـ/ ١٣٢هـ) كما ظهر أن الوالي الأموي الذي كان يحكم اليمن من قبل الوليد بن عبد الملك

---

(١) انظر درهم رقم ١٠/١٦٧٦٦٧، المرجع السابق ص ٣٨٢، واللوحة ٩(٥٤٢).

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق: د. إحسان عباس، طبعة دار الثقافة بيروت، جـ ٢، ص ٣٢.

هو أيوب بن يحيى الثقفي، وقد قام هذا الوالي بعدة إصلاحات في اليمن، منها الزيادة التي أنشأها بالجامع الكبير بمدينة صنعاء، وظل هذا الوالي يحكم في اليمن حتى وفاة الوليد بن عبد الملك سنة (٩٦هـ/ ٧١٤م).

وقد كشفت هذه الدراسة عن وجود هذين الدرهمين الأمويين من عصر الوليد بن عبد الملك في المتحف الوطني بصنعاء، وهذا يعطي للمتحف قيمته العلمية والعالمية لاحتوائه على هذه القطع الهامة والنادرة من العملات العربية الإسلامية في فترات مبكرة من تاريخها. كما أتاح الكشف عن هذه الدرهمين ضمن قطع العملة التي يقتنيها المتحف الوطني بصنعاء - من خلال هذه الدراسة - فرصة إضافتها إلى مجموعات العملة في المتاحف العالمية ضمن منشوراتها وبحوثها، وإضافتها إلى مجموعاته الخاصة[١].

وتبدو لهذه الدراسة أهمية أخرى حيث أظهرت أن اليمن إبان صدر الإسلام، وعصر بني أمية قد اتبعت في معاملاتها المالية بصفة أساسية قاعدة الذهب، مثلها في ذلك مثل بعض الولايات الكبرى في الدولة العربية الإسلامية كمصر. واتضح ذلك من خلال الروايات التاريخية التي رصدها المؤرخون، وأيضاً من خلال بعض القرائن التاريخية، وكلها أكدت أن الذهب كان أساساً للنظام النقدي في اليمن، وكان ذلك لارتباط اليمن قبل الإسلام وبعده بأسواق التجارة العالمية في الشام ومصر، ودول حوض البحر المتوسط.

وأخيراً فإن الدراسة أوضحت أن تعريب العملة الإسلامية تعريباً كاملاً جاء متزامناً مع حركة التعريب الكبرى، التي شملت جميع المنتجات في الدولة الأموية من الطرز والطوامير والفرش والأواني، وإلغاء عبارات التثليث المسيحية التي كانت تكتب عليها، وكتابة عبارة «شهد الله أنه لا إله إلا هو»، وليست بسبب نقض المعاهدة التي كانت بين عبد الملك والبيزنطيين بسبب الجراجمة، وكانت تهديدات الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني، بضرب دينار ذهبي عليه عبارات تسيئ إلى النبي، ﷺ، كثمن لهذه المنتجات سبباً في أن يسارع عبد الملك بن مروان إلى ضرب الدنانير على الطراز الإسلامي الخالص، وقد بدأ عبد الملك ضرب هذا النوع من السكة باستبعاد نقش صورة الإمبراطور البيزنطي

(١) انظر الملحق رقم (١) ورقم (٢).

من على الدنانير، ونقش صورته هو بدلاً منها. ثم مضى عبد الملك بعد ذلك بالتدريج في تطوير ضرب السكة الذهبية والفضية من الدنانير والدراهم على الطراز الإسلامي حتى جاءت في النهاية معربة تعريباً كاملاً على النحو الذي رأيناه في عصر ابنه الوليد بن عبد الملك، وانتشرت هذه السكة في ولايات الدولة الأموية ومن بينها اليمن.

ملحق رقم (١)

درهم دربجرد (٩٣هـ) في متاحف العالم:

مدينة الضرب الضرب	السنة الهجرية	المتحف العراقي	برلين B	باريس P	البريطاني Lané-pool	موسكو Ties	البريطاني Walker	Guthric	IN	الفن الإسلامي بالقاهرة	دمشق D
دربجرد	٩٣	٦٥٨٩ـ مس	٣٦٧	٢٦٥	٨١	٣٨١	٣٤٢	٦٢	٢١	٥٩٤	٩٧

أسماء المتاحف العالمية ومختصراتها بالجدول:

B., Berlin, Kaiser Friedrich Museum (H. Hutzel, Katalog der Crientalischen Nunzen, i, Berlin 1898.

P., Paris, Bibliotheque Nationale Cabinet des Medailles (Henri), La Voix, Catalogue des Monnaies Musulmanes, 1, Paris 1887.

Lane-Pool, Stanly Lane-Poole, Catalogue of Oriental coins in the British Museum, i, London, 1875.

Ties, W. Tiesenhausen, Moneti vostoschnavo Khalifata (monnaies des Khalifes Orientaux, St. Petesburg, 1873).

Walker, John Walker, Catalogue of the Arab Byzantine and Post-Reform Umaiyad Coins, London, 1956.

Guthric, Collection of Col. C. Seton Guthric Catalogued by Stanly Lane-Poole. Hertford, 1874. The Coins were afterwards bought for the British Museum.

IN, Ibrahim Artuk, Denizbaci defincsi-Ankara, 1966.

D. M. Faraj-al-ush. The Silver Hoard of Demascus, 1972.

متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، د. عبدالرحمن فهمي - فجر السكة العربية سنة ١٩٦٥.

انظر: النقشبندي، الدرهم الأموي المعرب، ص ١٧١، ١٧٢، والجدول رقم (٤).

ملحق رقم (٢)

درهم واسط (٩٤هـ) في متاحف العالم:

السنة الهجرية	المتحف العراقي	متحف الفن الإسلامي في القاهرة	متحف استانبول	المتحف البريطاني	متحف برلين	متحف باريس	متحف لينتجراد
٩٤	٥٣٢٠ ـ مس	١٦٧٦٧/١٠	١٢٢	٣٦٥	٤٣٠	٣٥١	٣٩٥
٩٤	—	٧١٦٦٧/١١	١٢٣	—	٤٣١	—	—
٩٤	—	١٦٧٦٧/١٢	١٢٤	—	—	—	—
٩٤	—	١٧٥٩٣/٧	١٢٥	—	—	—	—
٩٤	—	—	١٢٦	—	—	—	—

انظر، المعاضيدي: واسط في العصر الأموي، ملحق رقم (٨).

الملحق رقم (٣)



متحف قسم الآثار بجامعة صنعاء | درهم حميري

القطر ١،٥ سم | الوزن ١،٠٥٠ جرام

يظهر على الوجه من هذه العملة الفضية الحميرية صورة الملك ومختصر لاسمه، ثم الرمز الديني إلى اليمن، ويمثل إله القمر (شكل مختصر لرأس الثور)، وكلمة (ريدن) وهو اسم الجبل الذي باسمه سميت دولة حمير (ذو ريدان).

وعلى الظهر:

صورة الملك، الكلمة (ريدان).

ملحوظة: استعنت في قراءة هذه القطعة الحميرية بالأستاذ الدكتور يوسف محمد عبد الله أستاذ التاريخ القديم بكلية الآداب بجامعة صنعاء.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

١ ـ إبراهيم العدوي: (دكتور).
التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية الطبعة الأولى ـ الأنجلو المصرية.

٢ ـ ابن الأثير: علي بن أحمد. الكامل في التاريخ ـ الجزء الرابع والخامس طبعة دار صادر ـ بيروت ١٩٧٩.

٣ ـ أحمد الشرباصي: (دكتور)
المعجم الاقتصادي الإسلامي
طبعة دار الجيل ـ بيروت ١٩٨١.

٤ ـ البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر. فتوح البلدان تحقيق: د. صلاح الدين المنجد مكتبة النهضة المصرية.

٥ ـ البيروني: محمد بن أحمد (ت: ٤٣٠).
الجماهر في معرفة الجواهر
طبعة عالم الكتب ـ بيروت.

٦ ـ البيهقي: إبراهيم بن محمد.
المحاسن والمساوئ، طبعة دار صادر ـ بيروت ١٩٦٠.

٧ ـ ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي. بمصر ـ الجزء الأول.

٨ ـ الجرافي: عبد اللّه عبد الكريم.
المقتطف في تاريخ اليمن الطبعة الثانية ـ بيروت ١٩٨٤.
الطبعة الثانية ـ بيروت ١٩٨٤.

٩ ـ جواد علي: (دكتور)
المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام

الطبعة الأولى - دار العلم للملايين - بيروت.

١٠ - حسنين ربيع: (دكتور)
دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية ١٩٨٣.

١١ - حسيني: س. أ. ق.
الإدارة العربية
ترجمة: د. إبراهيم العدوي
سلسلة الألف كتاب (٨٩).

١٢ - الخضري: محمد
محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية
الدولة الأموية - المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة.

١٣ - ابن خلدون: عبد الرحمٰن (ت: ٨٠٨هـ)
العبر وديوان المبتدأ والخبر
الطبعة الثالثة - دار الكتاب اللبناني - بيروت.

١٤ - ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر
وفيات الأعيان
تحقيق: د. إحسان عباس
طبعة دار الثقافة - بيروت.

١٥ ______ : دائرة المعارف الإسلامية مادة (درهم).
(E. V. Zambaur).

١٦ - الدميري: كمال الدين
حياة الحيوان الكبرى - الجزء الأول
طبعة بيروت - مكتبة البيان.

١٧ - الدينوري: أبو حنيفة
الأخبار الطوال
تحقيق: عبد المنعم عامر - الطبعة الأولى ١٩٦٠
وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر.

١٨ ـ ابن الديبع: عبد الرحمٰن بن علي
الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد
تحقيق: الدكتور يوسف شلحد
دار العودة ـ بيروت (مركز الدراسات والبحوث اليمني ـ صنعاء).

ـــــــــ : قرة العيون بأخبار اليمن الميمون
تحقيق: محمد بن علي الأكوع
طبعة ١٣٧٤هـ ـ مطبعة السعادة بالقاهرة.

١٩ ـ ابن سلام: أبي عبيدة القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)
كتاب الأموال ـ الطبعة الأولى ١٩٦٨ـ ١٣٨٨
تحقيق: محمد خليل هراس، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية.

٢٠ ـ السيد الباز العريني: (دكتور)
الإمبراطورية البيزنطية
طبعة دار النهضة العربية بالقاهرة.

٢١ ـ سيدة الكاشف: (دكتورة)
مصادر التاريخ الإسلامي، طبعة الأنجلو المصرية ١٩٦٠.

٢٢ ـ السيد عبد العزيز سالم: (دكتور)
تاريخ الدولة العربية.
مؤسسة شباب الجامعة ـ الاسكندرية.

٢٣ ـ السيوطي: جلال الدين (ت: ٩١١)
تاريخ الخلفاء.
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٢٤ ـ عبد الباقي اليماني: تاج الدين بن عبد المجيد اليماني
بهجة الزمن
تحقيق: مصطفى حجازي
الطبعة الثانية ١٩٨٥.

٢٥ ـ **عبد الرحمٰن فهمي:** (دكتور)
فجر السكة العربية
طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٥.
ـــــــــــــــ : النقود العربية ماضيها وحاضرها
المكتبة الثقافية
وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر ـ فبراير ١٩٦٤.
٢٦ ـ **عبد القادر المعاضيدي:** واسط في العصر الأموي
طبعة أولى ـ بغداد ١٩٧٦.
٢٧ ـ **عبد المنعم ماجد:** (دكتور).
تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى
طبعة الأنجلو المصرية ١٩٧٨.
ـــــــــــــــ : التاريخ السياسي للدولة العربية
الجزء الثاني ـ عصر الخلفاء الأمويين
الأنجلو المصرية ـ الطبعة الخامسة ١٩٧٦.
ـــــــــــــــ : جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها للمستشرق ف. ويستفلد، مكتبة الأنجلو المصرية ـ الطبعة الأولى ١٩٨٠.
٢٨ ـ **عصام الدين عبد الرؤف:** (دكتور)
اليمن في ظل الإسلام
طبعة دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٨٢.
٢٩ ـ **عيسى سلمان:** (دكتور)
درهمان مهمان للخليفة عبد الملك بن مروان
مجلة المسكوكات العراقية ـ العدد السادس ١٩٧٥.
٣٠ ـ **أبو الفرج العش:** (دكتور)
المسكوكات في الحضارة العربية الإسلامية
بحث مقدم لمؤتمر الآثار التاسع الذي عقد في صنعاء في فبراير (١٩٨٠).
ـــــــــــــــ : كنز أم حجرة الفضي (دمشق ١٩٧٢).

٣١ ـ ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة
(٢١٣هـ/ ٢٧٦هـ)
الإمامة والسياسة
تحقيق: د. طه الزيني
الجزء الثاني، طبعة مؤسسة الحلبي
القاهرة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

٣٢ ـ الكبسي: محمد بن إسماعيل
اللطائف السنية في أخبار المالك اليمنية
مطبعة السعادة ـ القاهرة.

٣٣ ـ ابن كثير: أبو الفدا الدمشقي
البداية والنهاية ـ الطبعة الأولى
دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٤ ـ الكرملي: الأب انستاس ماري
النقود العربية وعلم النميات
طبعة بيروت ـ ١٩٣٩.

٣٥ ـ الأكوع: محمد بن علي
الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة ٣٣٢هـ
الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م
دار الحرية ـ بغداد.

٣٦ ـ الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية
الطبعة الثالثة ١٩٧٣.

٣٧ ـ محمد باقر الحسيني: (دكتور)
دراسات إحصائية للشعارات على النقود في العصر الإسلامي
مجلة المسكوكات العراقية ـ العدد السادس ١٩٧٥.

٣٨ ـ مصطفى شيحة: (دكتور)
درهمان من العصر الأموي بالمتحف الوطني بصنعاء
مجلة اليمن الجديد ـ صنعاء ـ ديسمبر ١٩٨٥.

٣٩ ـ ناهض عبد الرزاق: (دكتور)
تاريخ المسكوكات ودورها الوثائقي في العصر العباسي
بحث نشر في مجلة المسكوكات العراقية العدد ٨ ـ ٩
/٧٧ ١٩٧٨ـ بغداد.

٤٠ ـ النقشبندي: ناصر محمود
الدرهم الأموي المعرب
منشورات وزارة الإعلام بالجمهورية العراقية
سلسلة كتب التراث (٣١).

٤١ ـ يحيى بن الحسين: بن القاسم بن محمد بن علي
غاية الأماني في أخبار القطر اليماني
تحقيق: د. سعيد عبد الفتاح عاشور
طبعة القاهرة ١٩٦٨.

٤٢ ـ ياقوت: شهاب الدين عبد الله ياقوت بن عبد الله
معجم البلدان ـ طبعة دار صادر ـ بيروت.

المراجع الأجنبية:

1 - **La Voix, H.,** Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliotheque Nationale (Paris, 1887).

2 - **Lewis, B.,** Islam from the Prophet Muhammed to the Capture of constantinople (U. S. A., 1974).

3 - **Miles, G.,** Rare Islamic Coins, (New York, 1950).

4 - **Nicol, D.,** Nabarawy, R., and Bacharach, J., Catalog of the Islamic, Glass Weights, Dies and Medals in the Egyptian National Library, Cairo.

5 - **Vasiliev, A.A.,** History of the Byzantine Empire (Madison - Milwankee, 1964).

6 - **Walker, J.,** A Catalogue of the Arab - Sassanian Coins, (London, 1941).
A Catalogue of the Arab - Byzantine and Post - Reforms Umaiyad Coins (London, 1956).

7 - The Encyclopaedia of Islam, (Vol. III).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تطور المذهب الزيدي في اليمن
قطعة منتزعة من كتاب شفاء صدور الناس
لأحمد بن محمد بن صلاح الشرفي

تحقيق ودراسة

عثرت على هذه المخطوطة الهامة أثناء اطلاعي على بعض مخطوطات المكتبة الغربية الضخمة العريقة بالجامع الكبير بصنعاء، وتلك المخطوطة تقع ضمن مجموعة من المجاميع الثمينة التي تضمنتها المكتبة، ويحمل هذا المجموع رقم (٨) ويضم عدداً من المخطوطات الصغيرة التي تتعلق بموضوعات مختلفة في التاريخ وعلم الكلام وعقائد المذهب الزيدي وأكثرها للسيد حميدان بن يحيى الذي ينسب إليه هذا المجموع فيطلق عليه مجموع السيد حميدان، وهو مشهور عند الزيدية في اليمن. ولفت نظري هذه القطعة المكتوبة في ثلاث صفحات حجم الصفحة ٢٥× ١٥ سم، وكل صفحة تحتوي على ٢٩ سطراً، وفي كل سطر ما بين عشر كلمات وإحدى عشرة كلمة[١].

والقطعة التي نحن بصددها تتصدر المجموع رقم (٨) وعلى الصفحة الأولى من المجموع كتب عنوانها. . عقائد أهل اليمن أيام الدولة الأموية. . تأليف أحمد بن محمد بن صلاح بن محمد الشَّرَفِي، ونفس العنوان وجدته في فهرس المخطوطات المحفوظة بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، ووجدته أيضاً في الكتب التي أرخت للمصادر اليمنية ككتاب. . مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن لعبد الله الحبشي. .

ومن خلال قراءتي للمادة العلمية للمخطوطة، اتضح لي أن الأسطر الأربعة الأولى منها فقط تتحدث عن أن أهل اليمن كانوا جبرية مثلهم في ذلك مثل الأمويين، ثم تنتقل المخطوطة بعد ذلك إلى العباسيين فتذكر أنهم ـ وذلك فيما لا يزيد على أربعة أسطر أخرى ـ لم يغيروا على الناس عقائدهم. أما بقية المخطوطة إلى آخرها ـ وهذا هو الأهم ـ

(١) عن المجموع رقم (٨) كلام، انظر، فهرس المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، ص ٦٨٤، ٧١٧.

فتتحدث عن تطور المذهب الزيدي في اليمن. مما جعلني أستبعد أن يكون الشَّرَفِي ـ الذي ألف المخطوطة ـ هو الذي أطلق هذا العنوان عليها، خاصة وأن العنوان الموجود على الصفحة الأولى من المجموع بخط مغاير للخط الذي كتبت به المخطوطة نفسها.

وعَنَّ لي أن أسأل فضيلة السيدمحمد عبد الرحمٰن الطير أمين المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء وأبديت له ملاحظتي، فذكر لي أن هذا العنوان كتبه بنفسه عنواناً للمخطوطة، واتفقت عليه اللجنة التي كانت تعمل في فهرسة مخطوطات المكتبة الغربية خلال عامي (٦٧/١٩٦٨).

وتتبعت مؤلفات الشَّرَفِي، فوجدت أن هذا المؤرخ الفقيه وهو أحد علماء الزيدية المحققين الأثبات ـ دأب على لون من التأليف ـ يبدو أنه شاع في عصره، يقوم فيه باختصار مواضيع المؤلفات الكبرى، أو شرحها، في بحوث أخرى أقل حجماً وأسهل تناولاً من الأصول، فله كتاب بعنوان «اللآلي المضية الملتقطة من اللواحق الندية في أخبار الأئمة الزيدية» وله كتاب شفاء صدور الناس، وهو شرح لكتاب «الأساس لعقائد الأكياس» للإمام القاسم بن محمد، وهذا الكتاب «شفاء صدور الناس» لخصه في كتاب آخر أسماه «عدة الأكياس المنتزع من شفاء صدور الناس في شرح معاني الأساس» فهو قد شرح الأساس ثم عاد ولخص الشرح مرة ثانية.

ومن كتاب «شفاء صدور الناس» أيضاً استخرج موضوع هذه المخطوطة التي بين أيدينا، والتي تتعلق أساساً بتطور المذهب الزيدي في اليمن، وإن كان قد بدأها بمقدمة تاريخية من عقائد أهل اليمن أيام الأمويين والعباسيين، وهي مقدمة ـ رآها الشَّرَفِي المؤرخ ـ هامة لسلامة العرض التاريخي الذي يقدمه في المخطوطة.

وهذا النوع من المخطوطات اليمنية يعد من القطع النادرة، لأنها غاية في الأهمية، فهي على صغر حجمها تبرز كثيراً من الحقائق التي قد لا نجدها في كثير من المؤلفات الكبيرة على ضخامتها، وكثرة المعلومات فيها. ويبدو أن هذا اللون من التأليف، كان يعد من قبل علماء اليمن لأغراض تعليمية، حيث يحرص فيها المؤلف على إبراز الأطر التاريخية والفكرية العامة دون خوض في التفاصيل، فهي أشبه ما تكون برسائل تعليمية صغيرة، ولذلك نلاحظ كثرتها وتنوعها وتعدد موضوعاتها في التراث اليمني، وبصفة خاصة المحفوظ منها في المكتبتين الغربية والشرقية بجامع صنعاء الكبير تحت اسم المجاميع.

غاية القول فالمخطوطة قطعة منتزعة من كتاب. . شفاء صدور الناس. . ولا بأس من الالتزام بالمضمون التاريخي الأصلي الذي احتوته المخطوطة، دون اعتبار للاسم الذي أطلق عليها في فهارس المكتبة الغربية، أو في غيرها من الكتب التي أرخت للمصادر اليمنية، والعودة في التسمية إلى الالتزام بأنها «قطعة منتزعة من كتاب شفاء صدور الناس» عن تطور المذهب الزيدي في اليمن.

عاودت البحث مره أخرى لعلي أجد نسخة أخرى من هذه المخطوطة، وتتبعت النسخ المخطوطة الموجودة لكتابي «شفاء صدور الناس»، و «عدة الأكياس» للشَّرَفِي، في المكتبة الغربية والشرقية بنفس الجامع، ومن حسن الحظ أنني وجدت المخطوطة نفسها مكتوبة كذيل لإحدى نسخ كتاب «عدة الأكياس». وهي النسخة التي تحمل رقم (١٢٢) كلام، وهذه النسخة من «عدة الأكياس»، تقع في (٤٠٥) ورقة، والذيل مكتوب في ثلاث صفحات منها في الورقة رقم (٤٠٣) والورقة رقم (٤٠٤). ولاحظت أن الخط الذي كتب به الذيل هو نفس الخط الذي كتب به كتاب «عدة الأكياس»، وإن كان كتاب «عدة الأكياس» قد كتب بمداد من لونين، المداد الأحمر كتب به متن الأساس، والمداد الأسود كتب به شرح الشرفي للأساس، ليميز بين المتن والشرح، أما الذيل فقد كتب كله بالمداد الأسود.

وفي نهاية كتاب عدة الأكياس كتب الناسخ العبارة التالية «تم الكتاب المبارك بإعانة الله تعالى فله الحمد كثيراً بكرة وأصيلاً، ضحى يوم الأربعاء ليلة ثامن من شهر رجب الأصب سنة ثمان وخمسين بعد الألف، والمسؤول من الله ذي الجلال والإكرام أن يعفي لكاتبه وقارئه ولناظره مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات بحق محمد وآله عليه وعلى الله من الله أفضل الصلوات دائمة مستمرة على مرور الدهور والساعات».

وعبارة الناسخ هنا تشير إلى انتهائه من النسخ في سنة (١٠٥٨هـ)، وهذا يعني أن هذه النسخة قريبة العهد بتاريخ وفاة المؤلف الشرفي (ت: ـ ١٠٥٥هـ)، مما يزيد من قيمتها العلمية، إضافة إلى هذا فالناسخ الذي نسخ عدة الأكياس والذيل، ذكر لنا اسمه في نهاية الذيل. يتضح ذلك من قوله «وكتب الفقير إلى الله سبحانه حسين بن أحمد بن داود بن محمد بن فاضل».

من أجل ذلك كله اتخذت هذه النسخة أساساً للتحقيق، ورمزت لها بالرمز (ذ) على

اعتبار أنها ذيل لكتاب «عدة الأكياس». أما النسخة التي عثرت عليها أولاً في المجموع رقم (٨) - وهو المجموع المشهور باسم مجموع حميدان، فرمزت لها بالرمز (م)، وهذه النسخة لم يترك الناسخ فيها ما يشير إلى اسمه أو تاريخ النسخ لها. ولكنني عندما مضيت في قراءة صفحات المجموع رقم (٨) بموضوعاته المختلفة، عثرت على قطعة أخرى عنوانها «تنبيه أولي الألباب على تنزيه ورثة الكتاب» وهي بنفس خط الناسخ للمخطوطة التي معنا، ومنهجه في النسخ، وفي آخر هذه القطعة قال: «فرغ من رقمه بعيد العصر في يوم السبت ليلة ثامن وعشرين من شهر ربيع الأول أحد شهور سنة (١٠٧٨هـ) ثمانية وسبعين وألف سنة، بخط مالكه من فضل الله محمد بن عبد الله بن الحسين، وفقه الله لصالح الأعمال بحق محمد وآله، وذلك في معموره بير العزب من أعمال صنعاء اليمن حرسها الله».

ومن النص يتضح أن اسم الناسخ هو محمد بن عبد الله بن الحسين، وأنه نسخ المخطوطة في سنة (١٠٧٨هـ)، وهو تاريخ يبعد عن تاريخ النسخة (ذ) بعشرين سنة، وهذا ما يجعل لهذه النسخة (م) قيمة طيبة إذ هي أيضاً قريبة العهد بتاريخ وفاة الشَّرَفِي، وهو ما يزكي الترتيب الذي روعي في أهمية النسختين.

المؤلف

مؤلف المخطوطة هو أحمد بن محمد بن صلاح بن محمد الحَرَازِي الشَّرَفِي نسبة إلى حَرَازَة قرية بالبَوْن[(١)]. وهو من أهل هجرة أو قرية القُوَيْعَه بالشَّاهِل من بلاد الشَّرَف الأسفل في الشمال الغربي من صنعاء[(٢)]. ولد في سنة (٩٧٥هـ)، وتوفي في الثلث الأخير من ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة (١٠٥٥هـ) بمَعْمَرة من جبل الأَهْنوم

---

(١) الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ط أولى ١٣٤٨، جـ ١، ص ١١٩، الزركلي: الأعلام، ط ثالثة جـ ١، ص، ٢٢، (البَوْنُ: حقل واسع في بلاد هَمْدَان شمالي صنعاء على مسافة يوم فيه قرى ومزارع، والبون كورتان ذات قرى، البون الأعلى والبون الأسفل، انظر الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق: إسماعيل الأكوع ط أولى ١٩٨٤، جـ ١، ص ١٣٠.

(٢) الزركلي: الأعلام، جـ ١، ص ٢٢٧، (الشَّاهِل: بلد من بلاد حَجُور، وجحور بلد واسع من بلد همدان في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة خمس مراحل، والشرف الأسفل من نفس بلاد حجور، انظر (الحجري: المصدر السابق، جـ١، ص ٢٤٠، ٢٣١).

وقبره هناك مشهور يزار[١].

قضى الشرفي حياته مؤرخاً فقيهاً أديباً عالماً. وواضح من مؤلفاته أنه كان من كبار علماء الزيدية في عصره، فكلها تؤرخ للمذهب الزيدي وعلمائه ورجاله، وتدور في فلكه، وقد اعتمد في معظم مؤلفاته على مؤلفات من سبقوه، فتناولها بالشرح والتلخيص، ويبدو أن ذلك اللون من التأليف كان السمة الغالبة على عصره فمن مؤلفاته:

(١) «اللآلي المضية الملتقطة من اللواحق الندية في أخبار الأئمة الزيدية»، وقد قام المؤلف في هذا الكتاب باختصار شرح البسامة للزُحَيْف (ابن فُنْد)، وزاد الشَّرَفِي فيه الحوادث المتأخرة حتى سنة (١٠٥٣هـ)[٢]. وهذا الكتاب من الكتب الهامة التي أرخت للأئمة الزيدية في اليمن من سنة (٨٥٩هـ) إلى سنة (١٠٥٣هـ)[٣].

(٢) «ذيل البسامة» وهو قصيدة تؤرخ للإمام القاسم بن محمد وابنه المؤيد المتوفى في شَهَارَة سنة (١٠٥٤هـ)[٤].

(٣) «شفاء صدور الناس» وهو شرح لكتاب الأساس لعقائد الأكياس. وقد اشتهر هذا الكتاب بالشرح الكبير لكتاب الأساس للإمام القاسم بن محمد، وهو في جزأين، كتبه الشرفي في سنة (١٠٤١هـ)، وهو من مقتنيات المكتبة الشرقية بالجامع الكبير بصنعاء[٥].

---

(١) الشوكاني: البدر الطالع، جـ ١، ص ١١٩، أيمن فؤاد سيد مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، ط القاهرة ١٩٧٤، ص ٢٣٢. (مَعْمَرة: من قرى الأهْنُوم، والأهْنُوم ناحية معروفة في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة أربع مراحل، فيها قرى كثيرة وجبال شامخة، وحصون منيعة ومدارس علمية ومساجد عامرة هي من بلاد همدان، وترتفع جبال الأهنوم عن سطح البحر حوالي ٢٣٠٠ متراً، الحجري المصدر السابق، جـ ١، ص ٩٥ ـ ٩٨، جـ ٢. ص ٧١٤).

(٢) الحِبْشي: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ط: مركز الدراسات اليمنية في صنعاء، ص ٤٣٧، ٤٥٦، (والبسامة قصيدة للوزير صارم الدين إبراهيم بن محمد بن الوزير. المرجع السابق، ص ٤٢٦. وكتاب اللآلي المضية توجد نسخة منه في باريس، ونسختان في مكتبة الإمبروزيانا، ونسخة مصورة من كلا النسختين في مركز الدراسات اليمنية بعدن، انظر فهرس المخطوطات المحفوظة بمركز الدراسات اليمنية بعدن ص ٣٣٤، ١٨٣، ٥٦).

(٣) أيمن فؤاد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، ص ٢٣٢ ٢٣٣.

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحات.

(٥) الحبشي: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ص ١٢٧.

(٤) «عدة الأكياس» المنتزع من شفاء صدور الناس في شرح معاني الأساس، وعرف هذا الكتاب بالشرح الصغير، قال عنه يحيى بن الحسين (ت: ١١٠٠هـ) صاحب غاية الأماني «وعليه عمدة الزيدية». ونسخه كثيرة في المكتبة الغربية[١].

(٥) ومن كتاب شفاء صدور الناس استخرج الشَّرَفِي موضوع المخطوطة التي بين أيدينا، والتي نعتتها الفهارس وكتب المصادر باسم «عقائد أهل اليمن أيام الدولة الأموية» وهي قطعة منتزعة من كتاب «شفاء صدور الناس» كما ذكرنا[٢].

(٦) وذكر الشوكاني في البدر الطالع، ونقل عنه الزركلي في الأعلام أن له كتاباً آخر اسمه «شرح الأزهار» في فقه الزيدية في أربع مجلدات، وله أشعار وأخبار وجهاد واجتهاد[٣].

وواضح من التراث الذي خلفه الشرفي أنه كرس حياته العلمية للتاريخ لعصر الإمام القاسم بن محمد وابنه الإمام المؤيد، ولذلك فإنَ لمؤلفات الشرفي أهمية كبيرة، خاصة وأنه تلميذ للإمام القاسم بن محمد، فقد أدرجه الشوكاني ضمن شيوخه[٤].

كما أن الشرفي تولى عدة مناصب حكومية للإمام القاسم بن محمد، وأدرك عصر ابنه المؤيد، وكان من المبجلين عنده[٥]. وهذه الصلة القوية بينه وبين الإمام القاسم وابنه المؤيد تعطي لروايات الشرفي أهمية خاصة، لا سيما المعاصرة له، فهو شاهد عيان غير عادي، ارتبط بالسلطة الحاكمة في ذلك الوقت.

والمعروف أن الإمام القاسم بن محمد قام بثورة كبرى في اليمن، أدت إلى خروج العثمانيين من اليمن سنة (١٠٤٥هـ/ ١٦٢٥م)، وكانت هذه الثورة تحمل في طياتها كثيراً

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة، انظر مجموع رقم (٨) بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، ورقة ١، ٢.

(٣) الشوكاني: البدر الطالع، جـ ١، ص ١١٩، الزركلي: الأعلام، جـ ١، ص ٢٢٧، (وقد رأيت على هامش الورقة الأولى من النسخة (ذ) عبارة ذكرها أحد العلماء الذين قرأوا المخطوطة، تفيد أن للشرفي كتاباً اسمه «شرح الأزهار»، الشرفي: عدة الأكياس، مخطوطة بالمكتبة الغربية رقم ١٢٣ كلام، ورقة ٤٠٣).

(٤) الشوكاني: البدر الطالع، جـ ١، ص ١١٩.

(٥) الحبشي: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ص ١٢٧.

من الدلائل المعبرة عن أوضاع اليمن السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية في هذه الفترة، كما أن ثورة الإمام أدت إلى قيام الدولة الزيدية القاسمية. وعلى الرغم من أن العثمانيين لم يخرجوا من اليمن إلا بعد أربعين سنة من إمامة القاسم بن محمد، إلا أن هذه السنوات الطويلة تميزت بصراع طويل مرير بين الطرفين[1].

وتمكن الإمام القاسم بن محمد بفضل اعتماده على مجموعات كبيرة من علماء الزيدية وفقائهم في عصره، ومن بينهم الشرفي - مؤلف المخطوطة - من تجسيم أخطاء العثمانيين في نفوس أبناء اليمن، وكان هؤلاء العلماء والفقهاء - على المستوى الشعبي - يمثلون الزعماء السياسيين والاجتماعيين، ويؤدون دوراً خطيراً في التركيز على أخطاء العثمانيين الاجتماعية وغيرها.

فالجرموزي أحد العلماء المؤرخين المعاصرين لهذه الأحداث يتحدث عن بعض هذه الأخطاء الجسيمة التي كانت تؤذي مشاعر اليمنيين فيقول: «وأمّا النسوان ففي كل مدائنهم لهن حوانيت معروفة مأهولة للفساد، متخذة لهذا المعنى، وكل فاسدة تزين نفسها وبابها، وتعرض لمن مر عليها، وعليهم وال، وعلى كل واحدة إقبال يومية وشهرية»[2].

ويمضي الجرموزي في وصف بعض هذه الأخطاء أيضاً فيقول: «وأما الخمور فظاهرة تدار عليهم في الأسواق كما يدار بالماء، وربما قد يتشدد بعض ولاتهم إذا كثر فيقطعه من السوق، ويجعلون له حانات لذلك تباع فيها، وأما اللهو والطرب فهو عادتهم المعروفة وأخلاقهم المألوفة، وأما المعاملة في الربا فظاهره غالبة، ولا يذكر فيه تحريم ولا تحليل وإنما يسمونه فائدة»[3].

هذه التصرفات قوبلت بالرفض من جانب اليمنيين، وكان للعلماء والفقهاء من الزيدية ـ دعاة الثورة دور كبير في تعميق المضمون الاجتماعي لهذه الثورة، وخلق الشعور العام برفض هذه التصرفات بين اليمينين، ودفعهم إلى الالتفاف حول الإمام القاسم بن

---

(١) د. السيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، طبعة معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٩، ص ٣٣٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٤٧، الجرموزي: سيرة الإمام القاسم بن محمد، مخطوط بدار الكتب المصرية م ١ ، ورقة ٧٦ ب.

(٣) المصدر السابق، ورقة ٧٧ ب، المرجع السابق، ص ٣٤٧، ٣٤٨.

محمد ونجاح الثورة في النهاية وخروج العثمانيين[١].

كان هذا هو العصر الذي عاش فيه الشرفي ـ مؤلف المخطوطة ـ عصر ثورة فكرية وسياسية تزعمها الإمام القاسم بن محمد نفسه، ومن حوله جلة من علماء الزيدية وفقائهم ومن بينهم الشرفي، وكان الهدف من الثورة الفكرية دعم أوتاد الثورة السياسية، حيث كان من بين أهداف الثورة الفكرية، تنشيط المذهب الزيدي، وضمان أكبر قدر ممكن له من الحيوية والانتشار في أرجاء اليمن، ولذلك نجد الشرفي باعتباره أحد أعلام هذه الثورة من العلماء، وأحد رجال الإدارة في الدولة الزيدية القاسمية، يتجه إلى كل من ما من شأنه أن يعزز هذه الثورة الفكرية، وذلك بنقل أفكار الزعماء السياسيين لهذه الثورة ومن بينهم الإمام القاسم بن محمد نفسه ـ وهي أفكار دينية زيدية في مجملها إلى الجماهير اليمنية.

وتركزت جهوده على شرح مؤلفاتهم، في أسلوب سهل ميسر بعيد كل البعد عن التعقيد، ومدعم بروايات تاريخية سليمة، مع التأكيد على أن المذهب الزيدي عاد إلى طبيعته الأولى بعيداً عن تعقيدات الأراء الكلامية التي أصابت المذهب الزيدي بالجمود، وحدّت من انتشاره قروناً طويلة، وأدت إلى انصراف اليمنين عنه، واستطاع الشرفي وغيزه من علماء عصره أن يعيدوا إلى المذهب الزيدي رونقه وشعبيته التي كان عليها في زمن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين.

أوصاف المخطوطة

اللوحة الأولى من المخطوطة (ذ) جاء فيها بعد البسملة والحمد لله والصلاة على سيدنا محمد وآله: «ذكر السيد الإمام المقتصد العالم المجتهد شيخ ال الرسول وسيد ابنا الوصي والبتول أحمد بن محمد صلاح الشَّرفي قدس الله روحه ونور ضريحه ما لفظه فائدة كبيرة مفيدة».

ثم يبدأ المؤلف بعد ذلك في الحديث عما كان عليه أهل اليمن من الاعتقاد زمن الأمويين ثم العباسيين، وينتقل بعد ذلك إلى المذهب الزيدي، فيتابع تطوره حتى عصر المؤلف. والأوصاف المادية للمخطوطة يمكن تحديدها على النحو التالي:

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٣٨.

كتبت المخطوطة بمداد أسود خفيف، وبخط نسخي معتاد قديم، ومعظم حروفها غير منقوطة، ولكن الناسخ أعطى اهتماماً ملحوظاً لشكل بعض الحروف، فرسم علامة شبيهة بالرقم (٧) صغيره فوق بعض الحروف للدلالة على الفتح، وأحياناً للدلالة على السكون، كما رسم سيناً صغيرة (س) كان يضعها في بعض الأحيان تحت حرف السين، كما اهتم الناسخ أيضاً برسم علامة المد (˜) فوق الحروف الممدودة، والشدة فوق الحروف المشددة، كما ميز حرف الدال عن حرف الذال بوضع نقطة تحته.

وتعمد الناسخ كتابه بعض الكلمات أو الحروف منها في أوائل الفقرات وبعض الجمل بالقلم الكبير، كما رسم الناسخ حِلْية على شكل حرف الهاء (ه) للدلالة على انتهاء الجملة أو الفقرة. وبهامش الصفحة الأولى تعليقات لبعض من قرأوا المخطوطة من العلماء، أما هامش الصفحة الثانية فرسمت فيه بعض الحروف والكلمات التي سقطت من الناسخ في أثناء الكتابة.

وفي نهاية المخطوطة وردت هذه العبارة: «انتهى ما نقلناه من خطة (الشرفي)، رحمه الله، اللفظ باللفظ والحمد (لله) رب العالمين وصللهم ه» ويأتي بعد ذلك اسم الناسخ حسين بن أحمد بن داود في عبارة طويلة، رفع فيها نسبه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفي أخرها: «وسند الوصي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الحق ه ه ه».

واللوحة الأولى من المخطوطة (م) جاء فيها بعد البسملة والاستعانة: «قال في المنقول منه، نقل من خط السيد العلامة أحمد بن محمد الشرفي صاحب شرحي الأساس الصغير والكبير واللآلي الدرية ما لفظه».

ثم تمضي المخطوطة بعد ذلك في تتبع نفس الأفكار التي تضمنتها النسخة (ذ)، ولكن يلاحظ أن الناسخ سمح لنفسه بالتقديم والتأخير في بعض عبارات المخطوطة في الصفحة الأخيرة منها، وذلك في الأقوال التي نقلها الشرفي عن طبقات ابن سمرة الجعدي، وعن المؤرخ الذهبي على النحو الذي سنوضحه في التحقيق.

ولم يختلف نمط الكتابة في هذه النسخة (م) عن سابقتها النسخة (ذ)، إلا أن الناسخ اهتم بعض الشيء بالمظهر العام لما يكتبه، فرسم ثلاث نقاط بالمداد الأحمر للفصل بين الجمل، وجوف بعض الحروف في الكلمات الهامة التي تبدأ بها العبارات أو

تنتهي، رسمت فيها خطوط سميكة بالمداد الأحمر، كما أن الكلمات التي بدأت بها العبارات كتبت بقلم أكبر حجماً للتوضيح وبيان الأهمية. وعلى هوامش الصفحات بعض التعليقات لشخصيات قرأت المخطوطة، وعلى هذه الهوامش أيضاً كتب الناسخ بعض الحروف التي سقطت في أثناء الكتابة خارج الإطار بالمداد الأحمر حدد به الصفحة المكتوبة، ويظهر اهتمام الناسخ الشديد بزخرفة المخطوطة لأنها خاصة به.

وفي نهاية المخطوطة تأتي العبارة الآتية: «انتهى من كلام السيد العلامة أحمد بن محمد الشرفي، رحمه الله، منقول مما نقل من خطة انتهى من المنقول منه».

دراسة عن المادة التاريخية بالمخطوطة

المخطوطة على صغر حجمها إلا أنها تفضي إلينا بمعلومات هامة وقيمة، فهي تشير إلى تمذهب أهل المين أيام الأمويين بمذهب الجبرية[1]. الذي يقول بأن الإنسان مجبر على أفعاله، وتعلل المخطوطة ذلك بأن الأمويين فرضوا هذه الفكرة بقوتهم ونفوذهم في بلاد اليمن، حيث كان الأمويون يذيعون في الناس أن وصولهم إلى الحكم إنما كان بقضاء من الله وقدره، ولا حيلة للناس في دفعه، وادعى معاوية أنه احتكم هو وعلي إلى الله فنصره الله على علي، وادعى خلفاؤه وولاتهم أن من قتلوهم من الأئمة والمعارضين ـ وبخاصة من أطلق عليهم مصطلح القدرية لقولهم بحرية إرادة الإنسان ـ إنما قتلهم الله!!، ومن ثم كان من الطبيعي أن يتبنى معارضوا الأمويين، وعلى رأسهم الإمام زيد بن علي زين العابدين ـ الذي ينسب إليه المذهب الزيدي ـ مبدأ حرية إرادة الإنسان في أفعاله[2].

أما العباسيون فقد نالت فكرة الجبر تأييداً كبيراً من بعض خلفائهم وزعماء دعوتهم، كأبي العباس السفاح وداود بن علي، وكان ذلك بعد قيام دولتهم، وظهر ذلك في خطبهم، حيث اعتبر بعضهم أن الخلافة قد سارت إليهم بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى أولاها لهم وابتلاهم بها وزعموا أنهم مفروضون على الأمة، ومطهرون من الرجس، وأنهم باقون في الحكم إلى يوم القيامة، يقول داود بن علي في خطبة البيعة لأبي

---

(١) الشرفي: عقائد أهل اليمن، المخطوطة، النسخة (ذ)، الورقة ١٤٠٣.

(٢) د. أحمد صبحي: الزيدية، ط منشأة المعارف بالأسكندرية ١٩٨٠، ص ٧٤.

العباس: «واعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم عليه السلام والحمد لله على ما أبلانا وأولانا»[١].

وإذا كان هذا هو موقف العباسيين من فكرة الجبر في مطلع دولتهم، فإننا نرى بعض الخلفاء العباسيين ـ بعد ذلك ـ كالمأمون والمعتصم والواثق، خالفوا ذلك، واعتنقوا آراء المعتزلة الذين قالوا بالحرية التامة للإنسان في خلق أفعاله، لأن الجبر فيه منافاة للعدل الإلهي[٢].

وقد أشارت المخطوطة إلى أن العباسيين تركوا للشعوب المنضوية تحت لوائهم مزيداً من الحرية فيما يتعلق بقضية الجبر والاختيار، وخالفوا الأمويين، واعتنقوا أفكار المعتزلة التي تنادي بأن الإنسان حر في اختيار أفعاله، وواضح من هذه الإشارة التي تضمنتها المخطوطة أن ذلك كان في زمن المأمون والمعتصم والواثق ـ وليس في المراحل الأولى لقيام الدولة العباسية ـ وترجع المخطوطة هذه المخالفة لأسباب سياسية تتعلق برغبة العباسيين في مسايرة رغبة عامة لدى الناس وعدم الاصطدام بأفكارهم الدينية[٣]..

وتوضح المخطوطة أن هذه القضية الجدلية كانت من القضايا الهامة التي كانت تحسم كثيراً من المواقف السياسية في أقاليم الدولة العباسية ومن بينها اليمن، وفي هذا السبيل يذكر لنا المؤرخ الشرفي إشارة إلى قصة عبد الله النقوي ـ قاضي صنعاء ـ مع الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين[٤].

وفي المخطوطة بعد ذلك إشارة سريعة إلى قيام دولة الأئمة الزيدية بصعدة في اليمن كمدخل للفكرة الأساسية للمخطوطة، وهي تطور المذهب الزيدي في اليمن. ومن

(١) ابن الأثير: الكامل، طبعة دار صادر بيروت ١٩٨٢، جـ ٥، ص ٤١٥، الطبري: تاريخ الأمم والملوك طبعة الاستقامة القاهرة ١٩٣٩، جـ ٦، ص ٨١ ـ ٨٤، الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر ١٩٦٠، ص ٣٧٠ ـ ٣٧٧ وانظر: د. فاروق عمر: طبيعة الدعوة العباسية، الطبعة الأولى ١٩٧٠ دار الإرشاد بيروت ص ١١٨، مجهول: أخبار الدولة العباسية، تحقيق: د. عبد العزيز الدوري، د. عبد الجبار المطلبي دار الطليعة بيروت ١٩٧١، ص ٢٤٥، ص ٣٧٥.

(٢) د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، جـ ٣، ص ٢١٣، ٢١٤.

(٣) الشرفي: المخطوطة، النسخة (ذ)، الورقة ٤٠٣ أ.

(٤) المصدر السابق، نفس الورقة.

خلال هذه الإشارة نعرف أن هناك قوى سياسية وقفت في وجه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ـ مؤسس دولة الأئمة الزيدية في اليمن سنة (٢٨٤هـ) ـ ومن هذه القوى السياسية علي بن الفضل ممثل الجناح المتطرف من المذهب الإسماعيلي، والذي اشتهر في اليمن بأنه صاحب الاتجاه القرمطي. كما كانت هناك قوى شعبية وقفت هي الأخرى في وجه الإمام الهادي، ورفضت الانصياع لأوامره الدينية وغيرها، وتشير المخطوطة إلى أن هذه القوى الشعبية كانت قبيل وقوفها في صف المعارضة للإمام الهادي ـ قد دعته بالأمس القريب من الحجاز لإقامة دوله الأئمة الزيدية باليمن[١].

وتحدد المخطوطة بعد ذلك تاريخياً الفرق بين ثلاث مراحل هامة في حياة المذهب الزيدي في اليمن. المرحلة الأولى: وتبدأ منذ انتشار المذهب الزيدي في اليمن سنة (٢٨٤هـ) على يد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، وتنتهي هذه المرحلة بقدوم جعفر بن أحمد بن عبد السلام ـ وهو أحد كبار علماء الزيدية ـ من العراق إلى اليمن في منتصف القرن السادس الهجري ومعه كتب المعتزلة. وفي هذه المرحلة الأولى لا يظهر للاعتزال تأثير قوي في المذهب الزيدي، فالتأثير في هذه المرحلة كان طفيفاً غير واضح، وكان للمذهب الزيدي شخصيته المستقلة في آراء الأئمة وعلماء المذهب، أما المرحلة الثانية التي تبدأ بقدوم جعفر، فكان يغلب على المذهب الزيدي فيها التأثر الكبير بآراء المعتزلة وأفكارهم. وتأتي بعد ذلك مرحلة ثالثة تبدو فيها محاولة لإحياء الفكر الزيدي القديم، البعيد عن تسيد فكر الاعتزال عليه، ونتتبع الآن هذه المراحل الثلاث للتعرف على ما قدمته المخطوطة من أفكار حولها.

المرحلة الأولى

وفي هذه المرحلة يروي الشرفي أن من بين الأسباب التي قربت بين الزيدية والمعتزلة قول المعتزلة بالعدل والتوحيد، وهما يوافقان رأي الزيدية[٢]. بينما اختلف الزيدية مع المعتزلة في قضية أساسية وهي قضية الإمامة، حيث يرى الزيدية أن الإمامة تثبت بالنص للإمام علي بن أبي طالب[٣]. بينما المعتزلة ينكرون النص في الإمامة من

(١) المصدر السابق، نفس الورقة.

(٢) المصدر السابق، نفس الورقة.

(٣) د. أحمد صبحي؛ الزيدية، ص ١٦٢ وما بعدها.

النبي ﷺ لعلي، رضي الله عنه، ويقولون إن الإمامة مفوضة في الاختيار لإمام واحد من قريش كافة[1]. ومن أجل هذا احتضن العباسيون المعتزلة وأفاضوا عليهم الأموال والأرزاق[2]. لأن أفكارهم وآراءهم في الإمامة خدمت العباسيين من الناحية السياسية في تأكيد شرعيتهم في الحكم.

وفي هذه المرحلة نجح الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين في نقل المذهب الزيدي من مرحلة الفكر النظري إلى مرحلة التطبيق العملي، فأسس دولة الأئمة الزيدية في صعدة، وفي ظل هذه الدولة ازدهر المذهب الزيدي، وتعددت المؤلفات فيه وتنوعت، وكان على رأس المؤلفين في هذه الفترة الأئمة الزيدية أنفسهم وأبناؤهم من أمثال الهادي والقاسم وابني الهادي. واتسمت هذه الفترة التي امتدت من سنة (٢٨٤هـ) إلى سنة (٤٤٤هـ) بنشاط علمي كبير مداره مؤلفات علماء المذهب الزيدي وغيرها[3].

ولكن يبدو أن الفترة التي أعقبت انهيار دولة الأئمة الزيدية الأولى في سنة (٤٤٤هـ)[4]. وعدم وجود إمامة قوية تدافع عن المذهب وما فيه من أفكار أدى إلى ظهور الأفكار المتطرفة عن المذهب الزيدي، تبناها بعض علماء الزيدية الذين أطلق عليهم في ذلك الوقت اسم (المُطَرِّفية) نسبة إلى أحدهم وهو المُطَّرف بن شهاب[5]. علاوة على أن نفس الفترة شهدت ازدهاراً سياسياً وفكرياً للمذهب الإسماعيلي في ظل الصليحيين من سنة (٤٥٥هـ) إلى سنة (٥٣٢هـ)، وفضل الزيدية تسمية أتباع المذهب الإسماعيلي بالباطنية[6].

---

(١) الشرفي: المخطوط، النسخة (ذ)، الورقة ٣ـ ٤ ب.

(٢) المصدر السابق، نفس الورقة.

(٣) المصدر السابق، نفس الورقة.

(٤) زبارة: أئمة اليمن، ط أولى ١٩٥٢، ص ٩٣.

(٥) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ت: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ص: ١٩٦٨، جـ ١، ص ٣٧١، ٣٧٢، د. عبد العزيز المقالح: قراءة في الزيدية والمعتزلة، دار العودة بيروت ١٩٨٢، ص ٨٦، ٨٧، عبد الله الحبشي؛ مقال عن المطرفيه مذهب مجهول في اليمن، اليمن الجديد، العدد الثالث ١٩٧٧، العدد الأول ١٩٧٨، ص ٣٦، ٤٧.

(٦) د. جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية دار الفكر العربي ١٩٧٦، ص ٨٢، ١٠٥، (تشير بعض الحوادث التي ذكرها يحيى بن الحسين في غاية الأماني إلى العلاقات السيئة في ذلك الوقت بين الزيدية والباطنية، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ١، ص ٢٨٨).

ويبدو أن ظهور مذهب المطرفية في اليمن قد ارتبط كثيراً - بالإضافة إلى ما ذكرناه بالظروف التي كانت عليها دولة الأئمة الزيدية الأولى في اليمن زمن الإمام الحسين بن القاسم العياني - الذي كان إماماً للدولة فيما بين سنتي (٣٨٩هـ - ٣٩٣هـ)، إذ تذكر بعض المصادر أن هذا الإمام اعتراه شيء من الخلل الفكري بسبب الأفكار التي تبناها، والتي أحدثت بلبلة فكرية عند بعض علماء الزيدية، ويروي ابن الوزير في (الروض الباسم) أن الحسين بن القاسم «خرج من مذهب الزيدية بل من المذاهب الإسلامية، وادعى أنه أفضل من رسول الله، ﷺ، وأن كلامه أنفع من كلام الله عز وجل، وتابعه على ذلك طائفة مخذولة من الزيدية[1].

ويذكر ابن الوزير أن الحسين بن القاسم كان يقول في مناظراته: «إنه قد ثبت أن الأعلم أفضل، وأن علم الكلام أفضل العلوم، ثم يقول لمن يوافقه من الزيدية والمعتزلة على هاتين المقدمتين: إنه يلزم منهما أنه أفضل من رسول الله، ﷺ، لأنه يقطع أنه أعلم منه بعلم الكلام، وأن مصنفاته قد اشتملت على الرد على الفلاسفة، وسائر أهل الملل والنحل على ما ليس في كتاب الله ما يقوم مقامه، فتصانيفه أنفع للمسلمين من القرآن»[2].

ولدى الخزرجي في العسجد المسبوك نص يذكر فيه أن «الأئمة من أهل البيت وعلماءهم باليمن مجمعون على أن الحسين بن القاسم اختلط عقله في آخر عمره، لأنه ظهرت منه أشياء من الأقوال والأفعال تخالف الشرع الشريف»[3].

عاصر مطرف بن شهاب الحسين بن القاسم، وأنكر عليه أقواله، واشترك مطرف مع زملائه في تأسيس قواعد مذهب المطرفية[4]. وكرد فعل لهذه الأحداث، فإن المطرفيه كان لهم رأي مخالف لرأي الزيدية في الإمامة، فهم لا يقولون بإمامة أحد بعد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (٢٨٤هـ - ٢٨٩هـ) سوى المرتضى محمد بن الهادي

(١) ابن الوزير: الروض الباسم، طبعة دار المعرفة بيروت ١٩٧٩، جـ ٢، ص ٣ .

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) عبد الله الحبشي: المطرفية مذهب مجهول في اليمن، اليمن الجديد، العدد الثالث نوفمبر ١٩٧٧، ص ٤٧.

(٢٩٨ هـ - ٣٠١)، وأنكروا على الزيدية حصر الإمامة في قريش[١] بل إن بعض علماء المطرفية - كالشيخ محمد بن علي الهنومي كان ينكر قيام أحد من أئمة الزيدية بالإمامة في اليمن إلى يوم القيامة[٢].

وكان للمطرفية أيضاً آراء كلامية منها قولهم: إن القرآن لا يسمع لأنه عرض والعرض لا يدرك[٣]. وقولهم باستقلال الطبائع (الطبيعة) بالتأثير في العالم، بعد خلق الله تعالى لها[٤]. أي أن العالم يحيل ويستحيل، بمعنى أن يتأثر بعوامل طبيعية بحتة، وتوسع المطرفيه في هذه النظرية، وبنوا عليها سائر حركات الكون، وقد عبر الشاعر اليمني ابن هتميل عن هذه الفكرة الكلامية المطرفية بقوله[٥].

حالت طباع الناس حتى صدقوا   في الاستحالة ما يقول مطرف

المرحلة الثانية

انتهت المرحلة الأولى بانشقاق مطرف عن الزيدية، وعرفت جماعته المنشقة (بالمطرفية)، واستطاع مطرف أن يجعل من قرية (سَنَاع)، التي تبعد عن صنعاء بعشرة كيلو مترات، مركزاً لنشر فكرة المطرفية في جهات أخرى من اليمن، حتى أصبح للدعوة الجديدة مراكز أخرى انتشرت فيها: من بينها هجرة (قَاعَة) في البَوْن، وهجرة (وَقَشْ)، وهجرة (مَدَر)، وهجرة (حَبَ) و(شَوْحط) في بكيل، وهجرة (لَقْحَه) و(المكبنة)، وهجرة (الكَمِيلة) في تهامه[٦].

---

(١) المرجع السابق، العدد الأول فبراير ١٩٧٨، ص ٣٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٤١.

(٤) ابن الوزير: الورض الباسم، جـ٢، ص ٩.

(٥) عبد الله الحبشي: المطرفية مذهب مجهول في اليمن العدد الثالث ١٩٧٧، ص ٤٨.

(٦) المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٩٠، د. المقالح: قراءة في فكر الزيدية ص ٨٥، (سَنَاع: ذكرها الحجري سَنَع، بفتح السين والنون، ثم عين مهملة قرية من ناحية البستان كان للمطرفية فيها مدرسة، وناحية البستان من نواحي صنعاء في الجهة الغربية متصلة بحقل صنعاء، وهي ناحية واسعة على مسافة يوم للراجل، انظر الحجري مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جـ ١، ص ١١٨، جـ٢، ص ٤٣٣) سبق التعريف بالبون.
وَقَش: هجرة في ناحية البستان في غرب صنعاء أيضاً المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٧١، وانظر نشوان الحميري منتخبات في أخبار اليمن، ط ثانية ١٩٨١، ص ١١٥.
=

ويظهر من المواضع التي انتشر فيها المطرفية، أنها في معظمها كانت (هَجَر) تقع في مناطق قريبة من صنعاء، وفي تهامه، وفي أرض بكيل على الجانب الشرقي للخط الممتد بين صنعاء وصَعْدَه. والذي نفهمه من انتشارهم في بعض الهَجَر اليمنية على النحو الذي ذكرناه ـ دون القرى والمدن اليمنية الأخرى ـ أن الهَجَر اليمنية كانت بالنسبة للمطرفية ملاذاً آمناً يضمنون فيه التمتع بالحرية الفكرية المطلقة في عرض أفكارهم، بل وفي إقامة مدارسهم التي يلقنون فيها مذهبهم لتلاميذهم، كالمدرسة الكبرى التي كانت لهم في هجرة سَنَاع[1]. بل كانت هذه الهجر مكاناً أمناً تعقد فيه مناظراتهم مع خصومهم من الزيدية وأصحاب المذاهب الأخرى السنية والإباضية والإسماعيلية[2].

وقد تمتع المطرفية في هذه الهَجَر التي أقاموا فيها بحماية كاملة من القبائل اليمنية المحيطة بهم، ومن بين هذه القبائل قبيلة هَمْدَان، التي كانت إذ ذاك تسيطر على الطرق الرئيسية، كما أن هذه القبيلة بصفة خاصة أخذت على نفسها حماية المذهب المطرفي[3]. ولعل التفسير الذي قدمه الدكتور السيد مصطفى سالم ـ في مؤلفه وثائق يمنية ـ لمعنى الهَجَر في اليمن يؤيد وجهه النظر هذه[4].

= مَدَر: بلدة مشهورة في بلاد أَرْحَب شمالي صنعاء على مسيرة يوم، الحجري، المصدر السابق جـ ٢، ص ٦٨٩.

بَكِيل: بطن من هَمْدَان، وبلاد بكيل على الجانب الشرقي للخط الممتد ما بين صنعاء وصَعْدَه، المصدر السابق جـ ١، ص ١٢٥.

الكَميله: ذكرها الحجري الكَاميله، وهي من قرى وادي مَوْر في نهاية تهامة المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٦١).

(١) الحجري: مجموع بلدات اليمن وقبائلها، جـ ٢، ص ٤٤٣.

(٢) عبد الله الحبشي: المطرفية مذهب مجهول، اليمن الجديد، العدد الثالث ١٩٧٧، ص ٤٩ـ ٥١.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٩.

(٤) د. السيد مصطفى سالم: وثائق يمنية، الطبعة الثانية ١٩٨٥، ص ١٩٥ـ ١٩٧ «يبدو أن الأصل في ظهور (الهَجْرة) هو أن تكون مكاناً آمناً بعيداً عن المنازعات القبلية، وحرماً يلجأ إليه أبناء القبائل لفض منازعاتهم، ولتلقي العلم، ولتبادل التجارة، وبعض الهجر تقوم بهذه الواجبات، والأخرى تقوم ببعضها فقط، ومما يذكر في هذا الصدد، أن جميع الأسواق، والطرقات في اليمن كانت تعد «هجرة» أي مهجرة، وأن هناك أحكاماً قبلية بالغة القسوة عند بعض القبائل لكل من ينتهك حرمتها، ومع انتشار الإسلام في اليمن وازدياد الحاجة إلى تلقي تعاليم الشريعة الإسلامية ـ بل وتطبيق أحكامها ـ في جو يسوده الأمان والاستقرار عظم علماء الشريعة، وأصبحوا محوراً أساسياً لظهور (الهَجَر) كما أصبحت (الهَجَر) أيضاً مركز جذب للعلماء يتهجون إليها ويستقرون بها، حيث يلتف حولهم طلاب العلم، فتحولت بعض (الهجر) إلى مراكز علمية تمتعت بشهرة عالية في تاريخ اليمن «المرجع السابق، ص ١٩٦ـ ١٩٧».

هال هذا الانتشار الواسع لفكر المطرفية الإمام أحمد بن سليمان، الذي بدأ دعوته في اليمن لإحياء دولة الأئمة الزيدية في سنة (٥٢٢هـ)[١]. ويبدو أن علماء الزيدية في ذلك الوقت لم يتمكنوا من الصمود أمام براعة المطرفية وحذقهم لأفكارهم، فقرر الإمام أحمد بن سليمان إرسال جعفر بن أحمد بن عبد السلام ـ أحد كبار علماء الزيدية في اليمن في ذلك الوقت ـ إلى العراق لدراسة مذهب الاعتزال والعودة إلى اليمن لمواجهة الخلافات الحادة بين الزيدية والمطرفية[٢]. وهناك في العراق وجد جعفر بن عبد السلام الزيدية مشايعين للمعتزلة بعامة، ولأبي هاشم الجبائي وأبي القاسم البلخي بصفة خاصة، مما سهل مهمته التي رحل من أجلها[٣].

عاد جعفر بن عبد السلام إلى اليمن في سنة (٥٤٤هـ) ومعه شيخه البيهقي، يحملان كتب المعتزلة ليحتج بها على المطرفية، وليستعين بها وبشيخه البيهقي على فض الخلافات بين الزيدية والمطرفية، ولم تكن اليمن تعرف قبل ذلك كتب المعتزلة وما لبث جعفر أن عاد ثانية إلى العراق لإتمام القراءة على يد أبي الحسن أحمد بن أبي الحسن الكوفي ـ الذي كان تلميذاً للبيهقي ـ، وبعد القراءة عاد جعفر ثانية إلى اليمن يحمل من العلوم ما لم يحمله سواه، وتدور حول علوم الأصول والفروع والمعقول والمسموع وعلوم القرآن العظيم. ومنذ ذلك الوقت اشتهر مذهب المعتزلة وعرفت كتبهم في اليمن، ولم تكن لليمن معرفة مباشرة قبل ذلك بالمعتزلة[٤]. وهكذا أغرت العلاقة القديمة بين المذهب الزيدي ومذهب المعتزلة ـ في بعض الآراء الكلامية ـ أئمة الزيدية في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، باستخدام أفكار المعتزلة في مناهضة خصومهم الجدد (المطرفية).

والمخطوط يشير بوضوح إلى الانقلاب الفكري الذي حدث في هذه المرحلة الثانية بعد عودة جعفر بن عبد السلام من العراق إلى اليمن بكتب المعتزلة وأفكارهم، حيث

---

(١) زبارة: أئمة اليمن، ص ٩٥.

(٢) د. أحمد صبحي: الزيدية، ص ٢٦٢.

(٣) المرجع السابق: نفس الصفحة.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٦٢، ٢٦٣.

أقبل السواد الأعظم من الزيدية على قراءة كتب المعتزلة التي قدم بها جعفر وتركوا كتب قدامى الزيدية، بل وصل بهم الأمر إلى حد رفضها ومزقوها وجلدوا بها الكتب الجديدة التي تتضمن أفكار المعتزلة[1].

وحمل جعفر بن عبد السلام لواء فكر الزيدية الجديد المتأثر بفكر الاعتزال، واتخذ لنفسه من قرية (سَنَاع) معقل فكر المطرفية وعلمائهم ـ مقراً لتدريس هذه الكتب الجديدة[2]. وكانت أفكاره تقوم على أساس الاستفادة من علوم المعتزلة في الرد على خصوم الزيدية من المطرفية وغيرهم من الباطنية، وأدى هذا بطبيعة الحال إلى تراجع أهمية هجرة أو قرية (سَنَاع)، وانتقال مركز الصدارة في الفكر المطرفي إلى هجرة (وَقَش) وغيرها من الهجر الأخرى التي ذكرناها[3].

وتسيد فكر الاعتزال وتراجع المطرفية في كثير من المواقع، وأصبح هناك انحسار كبير لفكرهم أمام ضغط الإمامة الزيدية وعلمائها على معتنقي فكر المطرفية، ففي سنة (٦٠٣هـ) أصدر الإمام عبد الله بن حمزة بياناً توعد فيه المطرفية «وحكم بتكفيرهم، وجواز تشتيتهم واستباحة أموالهم، إن لم يتركوا مذهبهم الخبيث، فتركوه خيفة، ورجع إليه من رجع»[4].

المرحلة الثالثة

وتأتي هذه المرحلة كرد فعل لتسيد مذهب الاعتزال في المرحلة السابقة، وتشير المخطوطة إلى جيل جديد من علماء الزيدية، أفزعهم ما رأوه من تحول الزيدية إلى كتب المعتزلة، واضمحلال كتب الأئمة الزيدية من أهل البيت ونسيانها، وتَصَدِي كثير من علماء الزيدية ـ المتأثرين بتيار الاعتزال ـ لمن يحاول القراءة في هذه الكتب، ومنعوا الناس من ذلك بكل الوسائل، وقالوا عن هذه الكتب إنها كتب الروافض[5]. وفي هذا

---

(١) الشرفي: المخطوط، النسخة (ذ)، ورقة ٤٠٣ ب.

(٢) الحبشي: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ص ٩٦.

(٣) د. المقالح: قراءة في فكر الزيدية، ص ٨٥.

(٤) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ج ١، ص ٣٩٠، وفي ذلك قال الإمام عبد الله بن حمزة أبياتاً منها:

لست ابن حمزة إن تركرت جماعة ... يتجمعون بقاعة للمنكر

فلا وردن البيض في أعناقهم ... وسنابك الخيل الجياد الضمر

(٥) الشرفي: المخطوط، النسخة (ذ)، ورقة ٤٠٣ ب.

الشأن يروي الشرفي في المخطوط أن هؤلاء العلماء زجروا بعض الدارسين عن قراءة كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان، ومن قرأ في كتب قدامى الزيدية الأخرى، قرأها في السر وكتم ذلك عن هؤلاء العلماء المتأثرين بفكر الاعتزال خشية منهم[(1)].

نهض هذا الجيل الجديد من علماء الزيدية - في مطالع القرن السابع الهجري لمواجهة هؤلاء العلماء الذين أخفوا معالم المذهب الزيدي، وجعلوه ظلاً قائماً لمذهب الاعتزال، وقاموا بحركة كبرى لإحياء المذهب الزيدي في صورته التي كان عليها زمن قدامى الزيدية، وأطلقوا عليه (مذهب العترة عليهم السلام) تمييزاً له عن أفكار الزيدية الأخرى الممزوجة بالاعتزال، وأطلقوا على هؤلاء الذين قاموا بعملية المزج - التي أخفت معالم المذهب الزيدي في صورته القديمة النقية - اسم الشيعة المعتزلة[(2)]، تمييزاً لهم عن جيلهم الناهض لإحياء مذهب العترة كما ذكرنا، أو المذهب الزيدي الهادوي نسبة إلى مؤسسه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين.

وفي مقدمة العلماء الذين قاموا بهذا الجهد العلمي الكبير الإمام حميدان بن يحيى حميدان (ت٦٥٦هـ)، الذي ألف في ذلك عدداً كبيراً من الكتب والمؤلفات أشهرها مجموع السيد حميدان، ويضم أكثر هذه المؤلفات، وقد قرأت إحدى نسخ هذا المجموع المخطوطة بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء[(3)]. وكلها تشهد بمقدرة علمية فائقة، استطاعت أن تحد من سيطرة الاعتزال على فكر الزيدية، وتعيد للمذهب الزيدي حيويته وبساطته الخالية من تعقيدات الفلسفة الجدلية الموجودة في مذهب الاعتزال، وبنى

---

(١) المصدر السابق، نفس الورقة.

(٢) يحيى بن الحسين: غاية الأماني ج ١، ص ٣١٨، (يروي يحيى بن الحسين في أحداث سنة ٥٦٦هـ، «وفي أيامه (الإمام أحمد بن سليمان) ظهر مذهب الشيعة المعتزلة في أرض اليمن بعناية القاضي العلامة جعفر بن عبد السلام المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) ويحتوي مجموع السيد حميدان على المؤلفات الآتية: التصريح بالمذهب الصحيح - تنبيه أولي الألباب على تنويه ورثة الكتاب - تنبيه الغافلين على مغالط المتوهمين - المنتزع الأول من أقوال الأئمة - المنتزع الثاني من أقوال الأئمة، جواب المسائل الشفوية والشبه الحشوية - كتاب بيان الأشكال فيما حكي عن المهدي من الأقوال، تذكرة تشتمل على أربع مسائل من كلامه - المسائل الباحثة عن معاني الأقوال الحادثة - سؤال وجواب. انظر المجموع رقم (٨) كلام بالمكتبة الغربية، وفهرس المكتبة الغربية، ص ٧١٧.

حميدان موقفه من الاعتزال على أساس مقولته المشهورة: وافقناهم (أي المعتزلة) في الأصول ولم يوافقونا في الإمامة فعلام الاتفاق؟[١]. وقال عنهم أيضاً: «إنهم سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد وتظاهروا بذم الجهل والتقليد، فاغتر بهم أغمار الأمة وصدوهم عن التمسك بعلوم الأئمة، وأنه قد انخدع من جمع بين التشيع والاعتزال»[٢].

ومن العلماء الذين أشارت المخطوطة إلى جهودهم ـ غير القاضي حميدان ـ في هذا الشأن أيضاً عبد اللّه بن زيد العنسي الذي عاصر القاضي حميدان، وتوفي بعده بقليل في سنة (٦٦٧هـ) ألف عبد اللّه بن زيد «مجموعات كبيرة محيطة بعقائد قدماء الأئمة، عليهم السلام، مختصرة وبسيطة محققة بالأدلة والبراهين وأبطال شبه المعاندين»[٣]. ويروي الشرفي أنه ألف ثلاثة كتب في أبطال المنزلة بين المنزلتين[٤] وهي إحدى المسائل الكلامية الأساسية لدى المعتزلة، مما يعكس ضراوة الصراع الفكري بين الفريقين في هذه المرحلة.

ويتابع الشرفي في المخطوطة بعذ ذلك ذكر العلماء الآخرين الذين تصدوا لإثار الاعتزال في المذهب الزيدي، وعملوا على تنقية المذهب تماماً من هذه الآثار فيذكر منهم الشيخ صاعد بن أحمد وكتابه الكامل، وابن شبيب، والفقيه محمد بن حسن صاحب كتاب قواعد عقائد آل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن قدماء الأئمة عليهم السلام، والسيد محمد بن يحيى القاسمي الذي شرح قصيدة الإمام الواثق[٥].

وقد أثرت هذه الجهود العلمية المتتابعة من جانب هؤلاء العلماء ـ الذين يمكن أن نسميهم سلفية الزيدية ـ في انتعاش المذهب الزيدي ـ مذهب العترة عليهم السلام كما يسميه الزيدية ـ في زمن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد (ت: ١٠٢٩هـ)[٦].

---

(١) د. أحمد صبحي: الزيدية، ص ٤٨٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٨٦.

(٣) الشرفي: المخطوط، النسخة (ذ) ورقة ٤٠٤ أ، انظر مؤلفات عبد اللّه بن زيد في مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، لعبد الله الحبشي، ص ١١٠، ١١١.

(٤) المصدر السابق، ورقة ٤٠٤ أ.

(٥) المصدر السابق: نفس الورقة.

(٦) المصدر السابق: نفس الورقة.

وهكذا كانت المعارضة الشديدة من جانب هذه الأجيال المتتابعة من العلماء للمؤثرات المعتزلية التي ظهرت في المذهب الزيدي على يد جعفر بن عبد السلام - ومن سار على منواله من علماء الزيدية الأخرين - سبيلاً إلى إحياء المذهب الزيدي في صورته الأولى، وساعدت على محو كثير من معالم الاعتزال من فكر الزيدية، وتمكن هؤلاء العلماء بفضل جهودهم من نقل المذهب الزيدي إلى أجيال أخرى من العلماء من أمثال ابن الوزير (٧٧٥هـ: ٨٤٠هـ)، وابن الأمير (١٠٩٩هـ/ ١١٨٢هـ)، والإمام محمد بن علي الشوكاني (١١٧٣هـ/ ١٢٥٠هـ)، هؤلاء العلماء الذين عملوا من جانبهم على التقريب بين المذهب الزيدي، ومذهب أهل السنة.

وقبل المضي في تحقيق النص أرى من المناسب أن أشير إلى أن طبيعة النص حتمت علي الاهتمام الشديد بهوامش التحقيق وزيادة التعليقات فيها، والتراجم للشخصيات الواردة بها، نظراً لأهمية هذه التعليقات والتراجم في إبراز النص وقيمته العلمية والتاريخية.

التحقيق

صورة للصفحة الأولى من النسخة (ذ)

صورة للصفحة الأولى من النسخة (م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

ذكر السيد الإمام المقتصد العالم المجتهد شيخ أل الرسول وسيد ابني الوصي والبتول، أحمد بن محمد بن صلاح الشَّرَفِي قدس الله روحه، ونور ضريحه ما لفظه فائدة كبيرة مفيدة[١].

كان أهل اليمن على مذهب أهل الجبر في الاعتقاد لاستحكام دولة بني أمية في جميع البلاد، وهم جبرية[٢] كلهم إلا الناقص والأشج[٣]. كما هو مذكور في التواريخ.

وجاءت[٤] دولة بنى العباس بعدهم فلم[٥] يكن همهم إلا إصلاح دنياهم وترفيعها،

---

(١) البسملة والحمد والعبارة موجودة في (ذ)، وموجود مكانها في (م): «قال في المنقول منه، نقل من خط السيد العلامة أحمد بن محمد الشرفي، صاحب شرحي الأساس الصغير والكبير، واللآلي الدرية ما لفظه» وكلمة ابني في العبارة وردت في (ذ) ابنا.

(٢) في (م) (جبرية)، (وفكرة الجبر - التي ذاعت في العصر الأموي، ولقيت قبولاً عند كثير من خلفاء بني أمية تعني أن الإنسان مجبر على أفعاله، ولم يشذ من خلفاء بني أمية في هذا الشأن إلا الخليفة يزيد بن الوليد الناقص - الذي مال إلى مذهب القدرية، الذي يقول بقدرة الإنسان، وأنه خالق لأفعاله.
وفكرة الجبر تخالف ما عند الزيدية في اليمن، لأن الجبرية يقولون بأن المعاصي بقدر الله، أما الزيدية فينفون ذلك لأن الله سبحانه وتعالى، لا يثيب أحداً إلا بعمله، ولا يعاقبه إلا بذنبه، ولذلك عرفت الزيدية (بالعدلية) انظر، د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ط الأنجلو المصرية ١٩٧٦، ج ٢ ص ٣١٢، د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ط: ثامنة ١٩٧٣، ج ٣، ص ٢١٧، أحمد حسين شرف الدين: تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، ط ١٩٦٨، ص ١٥٢).

(٣) في (م)، (الأسح)، الناقص: هو الخليفة الأموي يزيد بن الوليد الذي تولى الخلافة الأموية في سنة (١٢٦هـ)، وقد وصفه أعداؤه بالناقص سباً له، أو ربما لأنه نقص أعطيات الجند في عهده التي كان الخليفة قبله - الوليد - قد زادها، انظر، د. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية ج ٢، ص ٣١٣، الأشج: هو الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الذي تولى الخلافة سنة (٩٩هـ)، وكان كما يروي ابن الأثير «قد رمحته دابة من دواب أبيه فشجته وهو غلام، فدخل على أمه فضمته إليها، وعذلت أباه ولامته حيث لم يجعل معه حاضناً، فقال لها عبد العزيز: اسكتي يا أم عاصم فطوباك إن كان أشج بني أمية «ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ط بيروت ج ٥، ص ٥٩.

(٤) في (ذ)، (وحات)، وفي (م)، (وجات).

(٥) في (م)، (لم).

فلم يغيروا[١]. على الناس عقائدهم، ولم يلتفتوا إلى ذلك خشية (من)[٢] أن تغير عليهم الدنيا[٣]. فتركوا الناس على ما هم عليه، وإن كانت عقائدهم مخالفة لعقائد بني أمية في العدل[٤]. وقصة قاضي صنعاء[٥]. النقوي مع الهادي، عليه السلام[٦]، حين دخلها معروفة[٧].

وابتلى الهادي، عليه السلام، بحرب القرامطة[٨] في جميع اليمن. وبعض أهل[٩] اليمن خرجوا عليه، ونكثوا[١٠] وكانوا قد طلبوه الخروج إليهم من الحجاز فلم

---

(١) في (م)، (لعروا).

(٢) زائدة في (م).

(٣) في (ذ)، (الدني).

(٤) (في العدل)، ساقطة في (ذ)، خالف بعض الخلفاء العباسيين كالمأمون والمعتصم والواثق ما كان عليه بنو أمية من القول بأن الإنسان مجبر على أفعاله، فسادت أراء المعتزلة زمنهم، وهؤلاء نادوا باختيار الإنسان في أفعاله لأن الجبر فيه منافاة للعدل الإلهي، ولأن الله تعالى لا يأمر بظلم، د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، جـ ٣، ص ٢١٣، ٢١٤، محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، ص ١٠٤، ١٢٤.

(٥) في (ذ)، (م)، (صنعا).

(٦) (الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب مؤسس دولة الأئمة الزيدية في صعدة سنة (٢٨٤هـ) يحيى بن الحسين: غاية الأماني جـ ١، ص ١٦٧، ١٦٨، علي بن محمد العباسي: سيرة الهادي إلى الحق، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر بيروت، ط ثانية ١٩٨١، ص ١٧).

(٧) لم أعثر على ترجمة لقاضي صنعاء النقوي فيما تيسر لي من مصادر ومراجع، ومن السياق يبدو أنهما تناظرا حول قضية الجبر والاختيار التي كانت تشغل ذهن الأوساط العامة والخاصة في ذلك الوقت.

(٨) (فالمعروف أن علي بن الفضل حاول أن يؤسس في اليمن دولة على أساس من فكر القرامطة يحكمها بالقوة والعنف، مقتدياً في ذلك بأبي سعيد الجنابي في البحرين، وكان ذلك عندما قرر المهدي الإسماعيلي عدم الذهاب إلى اليمن لتأسيس الدولة الإسماعيلية هناك، واتجه إلى بلاد المغرب وأسسها هناك. عندها تحول علي بن الفضل عن المذهب الإسماعيلي، واعتنق فكر القرامطة وسلك مسلكهم، وقد حارب الإمام الهادي إلى الحق علي بن الفضل، وكانت مدينة صنعاء دائماً محوراً للصراع بينهما حتى وفاة الإمام الهادي سنة (٢٩٨هـ) انظر، الحمادي اليماني: كشف أسرار الباطنية، نشر: عزت العطار ١٩٣٩ ص ٢٠، زبارة: أئمة اليمن، ص ٣٨، ٤١، د. عصام الدين عبد الرؤوف: اليمن في ظل الإسلام، ط أولى ١٩٨٢، ص ١٢٠).

(٩) في (ذ)، (أهلها).

(١٠) في (م)، (نكثوا عليه).

تمكن[١] قوته في جميع اليمن بإمضاء[٢] أحكام الله تعالى، ولكنه قد فعل ما أمكنه من إظهار مذهب أهل العدل، وإعلاء[٣] كلمة أهل البيت عليهم السلام، ووجوب أتباعهم في مذهبهم[٤]، وثبت الحكم بصنعاء من بعد المراجعه[٥] المذكورة لقاضي الهادي عليه السلام (فيها)[٦].. ثم تبعه[٧] أولاده وغيرهم من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، رضي الله عنهم، فأحيوا ما أحياه.

وكانت الدولة لهم يومئذ[٨] في الأغلب، (لهم)[٩] في صَعْدَه[١٠] ونواحيها، وإن طرأ عليها غيرهم فلم يستقروا فيها، وحينئذ ظهر مذهب أهل البيت عليهم السلام واشتغل العلماء بدرس كتبهم. ولجميع[١١] أولاده الهادي وغيرهم (من علوم أهل البيت عليهم السلام)[١٢] كتب[١٣] كثيرة نفيسة عظيمة النفع واضحة المعاني والحجج

---

(١) في (م)، (يتمكن)، (تشير المصادر اليمنية إلى أن أهل اليمن استدعوا الإمام الهادي إلى الحق من مقر إقامته في الحجاز مرتين الأولى سنة (٢٨٠هـ) والثانية سنة (٢٨٤هـ)، وعندما رفضوا في المرة الأولى ما نهاهم عنه عاد إلى الحجاز، وفي المرة الثانية التزموا بطاعته، فعكف على تأسيس دولة الأئمة الزيدية، علي بن محمد العباسي: سيرة الهادي إلى الحق، ص ٣٦، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٦٦ ـ ١٦٨.

(٢) في (ذ)، (م)، (بامضا).

(٣) في (ذ)، (وإعلان).

(٤) في (م)، (مذاهبهم).

(٥) في (ذ)، (المراجع).

(٦) الإضافة من (م).

(٧) في (ذ)، (تبع).

(٨) في (ذ)، (م)، (يومد).

(٩) الإضافة من (م).

(١٠) صَعْدَة: بالفتح ثم السكون. مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخاً، وكانت صعدة في الجاهلية تسمى جُمَاع ولا مدينة بعدها من نجد اليمن، كما يذكر الهمداني، وهي مدينة خصبة كثيرة الخير، يبلغ ارتفاعها وجميع وجوه المال منها مائة ألف دينار كما يروي ياقوت، انظر الهمداني، صفة جزيرة العرب، ط ثالثة ١٩٨٣، ص ١١٥، ١١٦، ياقوت: معجم البلدان، ط دار بيروت ١٩٥٧، جـ ٣ ص ٤٠٦.

(١١) في (م)، (وجمع).

(١٢) الإضافة من (م).

(١٣) في (م)، (كتبا).

مثل[1] كتب القاسم، والهادي، والقاسم بن علي العياني،[2] (وابني الهادي)[3] وغيرهم.

حتى وصل القاضي جعفر[4] من العراق بكتب المعتزلة فرغبهم فيها، وللغريب عند الناس لذة (فاستبدلها الناس)[5] وعكفوا عليها، ورفضوا ما لديهم من الكتب النافعة، وجلدوا بها الكتب الجديدة التي فيها أفكار المعتزلة وغيرها الخارجة عن جد العقول، وفيها الصحيح والسقيم[6] والغث والثمين، وقد كان للمعتزلة رياسة عظيمة في العراق لميلهم إلى العدل والتوحيد الموافق لعقائد أهل البيت عليهم السلام، ولأن[7] الدولة كانت لبني العباس، وهم آمنون (من جهتهم) لأنهم كافة ينكرون النص في الإمامة (من النبي ﷺ، ويقولون إن الإمامة مفوضة في الاختيار لإمام واحد من قريش كافة)[8]. فأفاضوا عليهم الأموال، وأدروا عليهم الأرزاق، وصنفوا الكتب الكبيرة في (أصول)[9] الدين، فتبعهم[10] الناس وقلدوهم فيها تقليداً.

واضمحلت[11] كتب أهل البيت عليهم السلام (النافعة)[12]. ونسيت وهجرت

---

(١) في (م)، (من).
(٢) القاسم بن علي العياني أحد الأئمة للدولة الزيدية الأولى منذ سنة (٣٨٨هـ) وحتى سنة (٣٩٣هـ)، زبارة: أئمة اليمن، ص ٧٥.
(٣) الإضافة من (م).
(٤) (جعفر بن أحمد بن يحيى بن عبد السلام، أحد كبار علماء اليمن، وشيخ من كبار شيوخ الزيدية في وقته، كان من أنصار الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان، وأدرك أيضاً عصر الإمام عبد الله بن حمزة، ورحل إلى العراق لطلب العلم، وظهر بعد عودته من العراق إلى اليمن في سنة (٥٤٤هـ) تأثره الشديد بفكر المعتزلة. ألف جعفر في المذهب الزيدي والدفاع عنه ما يربو على الخمسين مؤلفاً، وظل يدافع عن المذهب حتى توفي سنة (٥٧٣هـ).
الحبشي: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ص ٩٦.
(٥) الإضافة من (م).
(٦) في (م) السقيم والصحيح.
(٧) في (ذ)، (لن).
(٨) الإضافة من (م).
(٩) الإضافة من (م).
(١٠) الإضافة من (م)
(١١) في (ذ)، (فتبعتها).
(١٢) في (ذ)، (واضمحت).
(١٣) الإضافة من (م).

وضربوا عنها صفحاً، (ولم يبق منها إلا اليسير)[١]. بل من [٢] أراد القراءة[٣] فيها منعوه وقالوا: إنما هي كتب الروافض[٤].

ولقد سمعت أنا من يزجر عن قراءة كتاب حقائق المعرفة للإمام أحمد بن سليمان[٥]، عليه السلام، ويقول إنه كذا وكذا. ومن كان متمسكاً منهم نسي من علومهم في أمر الإمامة ونحوها، مما يخالف قواعد المعتزلة فهو يكتمه[٦] عنهم خشية اللوم منهم له، مع أنه قد[٧] قال شيخ[٨] المعتزلة وإمامهم عمرو بن عبيد ومن تابعه: لو شهد عندي علي والزبير وعائشة ما أجزت شهادتهم[٩]. وقال واصل بن عطاء (ومن تابعه)[١٠]: لو شهد عندي علي وطلحة والزبير وعائشة على باقه بقل[١١]، ما قبلت شهادتهم، ذكره الإمام المهدي[١٢] عليه السلام في الغايات، وحكاه[١٣] الذهبي أيضاً.

---

(١) الإضافة من (م).

(٢) في (م)، (ومن).

(٣) في (ذ)، (م)، (القراه).

(٤) الروافض: الذين يرفضون إمامة الشيخين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -.

(٥) (هو الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان) بن الحسين الحسني، ولد في نواحي هجرة حوث ببلاد حاشد سنة (٥٠٠هـ)، وكانت إمامته في سنة (٥٣٢هـ)، وتوفي في سنة (٥٦٦هـ)، انظر، زبارة: أئمة اليمن، ج ١، ص ٩٥، ١٠٧.

(٦) في (م)، (يكتم).

(٧) في (ذ). (وقد).

(٨) في (ذ)، (كبير).

(٩) في (م) (علي عليه السلام ورجل من عسكره وطلحة والزبير وعائشة ما أجزت شهادتهم).

(١٠) الإضافة من (م).

(١١) البقل: كل نبات اخضرت له الأرض فهو بقل، والمقصود هنا حزمة من نبات أخضر، انظر الزبيدي: تاج العروس دار مكتبة الحياة بيروت، ج ٧، ص ٢٣١، ابن منظور: لسان العرب المحيط، تصنيف: يوسف الخياط، ج ١، ص ٢٤٦.

(١٢) هو الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى يرتفع نسبه إلى الهادي يحيى بن الحسين، ولد في ذمار سنة (٧٦٤هـ) وتوفي في سنة (٨٤٠هـ) وهو من أشهر علماء الزيدية في اليمن، وأكثرهم تأليفاً. ومن مؤلفاته كتاب الغايات، الذي أشار إليه الشرفي وهو (غاية الأفكار ونهاية الأنظار المحيطة بعجائب البحر الزخار) انظر زبارة: أئمة اليمن، ج ١، ص ٣١٢، ٣١٦.

(١٣) في (م) وذكره، (يتعجب الشرفي مؤلف المخطوطة هنا من الزيدية وتبنيهم لفكر المعتزلة على الرغم من أن شيوخ الاعتزال من أمثال عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، لا يُجَوِّز أن شهادة الإمام علي، رضي الله عنه، وغيره من الصحابة من أمثال طلحة والزبير، وحتى السيدة عائشة أم المؤمنين - أيضاً، ومقتضى الأمر والحال كذلك، أن يكون للزيدية موقف من الاعتزال.

ولقد وقفت على كلام للإمام الأوحد شهيد آل محمد، المهدي لدين الله أحمد بن الحسين[1] ـ أفاد الله من بركاته حين ـ وقف على كتاب[2]. السيد حميدان[3] (عليه السلام)[4] المجموع في أصول الدين، وغيره في نقض[5] مذاهب المعتزلة فقال: مذهب العترة عليهم السلام (هو)[6]. ما ذكره السيد حميدان، وإنما حمله على جمع هذا المجموع ما ذكره في كتاب (حكاية)[7] الأقوال من تفرق شيعة[8] (الإمام)[9] المنصور بالله عليه السلام، ومخالفة الزيدية لكثير من عقائد أهل البيت[10]. ولعل ذلك بعد خروج القاضي جعفر من العراق بكثير من كتب المعتزلة وغيرها، (وظهورها)[11] وانتشارها

---

(١) الإمام المهدي لدين الله هو أحمد بن الحسين بن القاسم، يتصل بالقاسم الرسي المعروف بصاحب ذيبين، ولد في هجرة (قرية) كومة من بلاد الظاهر، سنة (٦١٢هـ)، واستشهد في سنة (٦٥٦هـ) في صراع كان بينه وبين السلطان المظفر الرسولي من ناحية، وبين الشريف الحسن بن حمزة الزيدي من ناحية أخرى، زبارة: أئمة اليمن ج ١، ص ١٥٣، ١٧٣).

(٢) في (ذ) (كلام).

(٣) (هو حميدان بن يحيى بن حميدان بن القاسم بن الحسن بن إبراهيم، عاش في عصر الإمام المهدي أحمد بن الحسين وتوفي سنة (٦٥٦هـ)، وهو من كبار علماء الزيدية الذين تصدوا للمعتزلة الزيدية وغيرهم من المطرفية والباطنية، وألف في ذلك عدداً من الرسائل يضمها كتابه المسمى مجموع حميدان، وأشهر مؤلفاته في هذا المجموع (رسالة في تعريف التطريف)، وأخرى بعنوان (حكاية الأقوال العاصمة في الاعتزال)، د. أحمد صبحي؛ الزيدية، ص ٧٤٩، الحبشي: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ص ١٠٨، انظر أيضاً ترجمته في مجموع ٨ ورقة ٥، ٦، ورسالة التطريف في نفس المجموع ورقة ١٥٠ـ ١٥٩).

(٤) الإضافة من (م).

(٥) في (م) ونقض.

(٦) الإضافة من (م).

(٧) الإضافة من (م).

(٨) في (م) (سبعة).

(٩) الإضافة من (م)، (هو المنصور بالله عبد اللّه بن حمزة من ولد عبد اللّه بن الحسين بن القاسم الرسي، ولد بجبل عيشان من ظاهر بلاد همدان سنة (٥٦١هـ)، وكانت إمامته الأولى سنة (٥٨٣هـ)، والثانية سنة (٥٩٣هـ)، وتوفى في سنة (٦١٤هـ)، وبلغ الصراع الفكري في عصره مدى بعيداً، بين فرق الزيدية المختلفة، وبين الزيدية وغيرهم، وله مؤلفات كثيرة في الرد على خصوم الزيدية، انظر زبارة: أئمة اليمن، ج ١، ص ١٠٨، ١٠٩).

(١٠) في (م). العترة النبوية.

(١١) الإضافة من (م).

وقراءتها في مدارس الزيدية، ورغبة علمائهم فيها (والله أعلم)[١]. وانتهى كلام الإمام الشهيد (أحمد بن الحسين)[٢] عليه السلام.

قال القاضي العلامة أحمد بن صلاح الداوري[٣] ـ رحمه الله (تعالى)[٤]: قد جمع مثل مجموعات السيد حميدان، عليه السلام، الفقيه العلامة الأمجد شيعي آل محمد عبد الله بن زيد العنسي، رضي الله عنه، مجموعات كبيرة محيطة بعقائد (قدماء الأئمة عليهم السلام)[٥]، مختصرة وبسيطة محققة بالأدلة والبراهين ٤٠٤ أ، وإبطال شبه المعاندين[٦]. وجرت بينه وبين (بعض)[٧] آل الرصاص مراسله في (إبطال)[٨] المنزلة بين المنزلتين، وصنف في إبطالها ثلاثة[٩] كتب.

---

(١) الإضافة من (م).

(٢) الإضافة من (م).

(٣) (أحمد بن صلاح بن حسن الداوري المعروف (بقَضْعَه)، ولد في الهند من أم هندية، ثم أحضره والده إلى اليمن، وتلقى العلم عن جماعة من علمائهم، وتوفي بصعده سنة (١٠١٨هـ)، الحبشي: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ص ٥٥).

(٤) الإضافة من (م).

(٥) (هو عبد اللّه بن زيد بن أحمد بن أبي الخير العنسي من كبار علماء الزيدية، الذين عاشوا في عصر الإمام المهدي أحمد بن الحسين، والذين ناضلوا خصوم الزيدية حتى كان الإمام يسميه الداعي، ومعظم مؤلفاته ورسائله التي ألفها كانت للرد على المطرفية بصفة خاصة، وهي تربو على الخمس عشرة رسالة، منها: الناعية على مصارمة الكفار من المطرفية والكفرة الأشرار، والرسالة الناطقة بضلال المطرفية، وعقائد أهل البيت والرد على المطرفية، انظر بيان مؤلفاته في مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ص ١١٠، ١١١، وعن جهوده في هذا الشأن أيضاً انظر مجموع ٨ كلام، بالمكتبة الغربية، ورقة ٨).

(٦) الإضافة من (م)، وفي (ذ)، (أهل البيت).

(٧) في (م)، (المعابدين).

(٨) الإضافة من (م).

(٩) الإضافة من (م).

(١٠) (المعروف أن المعتزلة قالوا بأن مرتكب الكبيرة أو المسلم العاصي في منزلة بين الإيمان والكفر، وقد وافقهم الإمام زيد ـ رضي الله عنه ـ في أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، واستقل بالرأي عنهم في أنه ليس مخلداً في النار، بل يعاقبه الله تعالى بمقدار ما أذنب، ومذهب الزيدية في هذه المسألة هو الوسط المعتدل بين تطرف الخوارج بالحكم عليه بالكفر وتفريط المرجئة الذين قالوا: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. ونص المخطوط يعني تحولاً في المذهب الزيدي، ومحاولة لتخليص علماء الزيدية من سيطرة فكر المعتزلة على مذهبهم في ذلك الوقت، انظر أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٦٧١، د. المقالح: اليمن الإسلامي، دار العودة ـ بيروت ١٩٨٢، ص ٤٨.

وكذلك الشيخ صاعد بن أحمد في كتابه الكامل[١]. وابن شبيب التهامي[٢]. وكذلك الفقيه العلامة (العابد)[٣] الزاهد محمد بن حسن[٤]، في كتابة قواعد عقائد آل محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)[٥] عن قدماء الأئمة عليهم السلام. وكذلك السيد محمد بن يحيى القاسمي[٦] في شرحه لقصيدة الإمام الواثق، وإن لم يكن اعتماده في الأغلب[٧] إلا على ما حكاه السيد حميدان عليه السلام[٨]. انتهى كلام القاضي أحمد رحمة الله تعالى.

وانتعش مذهب العترة عليهم السلام بقيام الإمام المنصور بالله القاسم[٩] بن محمد، عادت بركاته، حين صنف في ذلك كتاب الأساس لعقائد الأكياس، ويسر الله[١٠]

---

(١) لم أقف على ترجمته فيما أتيح لي من مصادر ومراجع ولكنه من الواضح أنه غير صاعد بن أحمد الأندلسي وذكر الدكتور أحمد صبحي أنه كان من كبار علماء الزيدية في وقته، د. أحمد صبحي: الزيدية، ص ٤٨٦.

(٢) (أبو القاسم بن الحسين بن شبيب التهامي من تلامذة الحسن الرصاص، عاصر الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، وتوفي في سنة (٦١٤هـ)، الحبشي: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ص ١٠٣.

(٣) الإضافة من (م).

(٤) (ورد اسمه في مصادر الفكر للحبشي: محمد بن الحسين بن القاسم بن محمد ولد في سنة (١٠١٠هـ) وهو من العلماء الرؤساء، تولى إدارة ناحية ضوران، ثم عظم أمره حتى صار أكثر بلدان اليمن تحت إمرته من قبيل المؤيد بالله محمد بن القاسم، وتوفي سنة (١٠٧٩هـ)، ولم تذكر الفهارس شيئاً عن كتابه الوراد في المخطوطة. المرجع السابق، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٥) الإضافة من (م).

(٦) (وهو محمد بن يحيى بن الحسين بن محمد القاسمي، أخذ عن الإمام محمد بن المطهر (ت: ٧٢٨هـ) وغيره، وتخرج على يديه جماعة من العلماء، توفي في سنة (٧٧٩هـ) تقريباً، ألف اللآلي الدرية شرح الأبيات الفخرية شرح فيه أبيات قصيدة الإمام الواثق المطهر بن محمد المتوفى سنة (٧٨٣هـ) في عقائد الزيدية، قال عنه ابن أبي الرجال «هو كتاب قليل نده عظيمة فائدته في جميع أول أهل البيت، وفي أصول الدين وعقائدهم، وينعي على المتأخرين من أهل البيت إهمالهم لهذا السفر العظيم وهو من الكتب المخطوطة التي رأيتها بالمكتبة الغربية رقم ٢٨ كلام، المرجع السابق، ص ١١٤، ١١٥)

(٧) في (م)، (غالباً).

(٨) الإضافة من (م).

(٩) والمنصور بالله هو القاسم بن محمد بن علي بن محمد، يرتفع نسبه إلى الهادي يحيى بن الحسين، توفي سنة(١٠٢٩هـ)، وهو مؤسس الدولة القاسمية الزيدية، من مؤلفاته كتاب الأساس الذي شرحه الشرفي في كتابيه شرح الأساس الكبير والصغير، د. أحمد صبحي: الزيدية ص ٧٥٢، ٧٥٣.

(١٠) (يسر الله) كررت مرتان في (ذ).

(سبحانه)[1] لنا من سعة فضله وحسن توفيقه شرحه من كتب أهل البيت عليهم السلام المعروفة عند عارفيها، منقول بألفاظهم ولله الحمد والمنة.

قال الذهبي: وعند الرافضة أباطيل في أنه - يعني النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم - عهد إلى علي. وقد قال هذيل بن شرحبيل: كان أبوبكر يتأمر على وصي رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ورد أبو بكر أنه وجد عهداً من رسول الله، ﷺ، فخزم أنفه بخزام[2].

وقال (ابن)[3] سمره[4] في طبقاته، وفي سنة كذا وكذا، جرت في اليمن فتنتان عظيمتان أحدهما فتنة علي بن الفضل (القرمطي)[5]، ودعاؤه[6] للناس إلى التشيع[7]. والأخرى فتنة الشريف يحيى بن الحسين الرسي ودعاؤه الناس[8] إلى التشيع[9]، انتهى.

قال الذهبي[10] في تاريخه: وللزيدية مذهب في الفروع بالحجاز لكنه من أقوال البدع كالإمامية[11]. انتهى والله أعلم[12].

---

(١) الإضافة من (م).

(٢) عبارة الذهبي كلها مضافة هنا من (م)، (فخزم أنفه بخزام: من (خزمه يخزمه) (شكه)، وخزم البعير (يخزمه خزماً) أي (جعل في جانب منخره الخزامة) وهي حلقة من شعر تجعل في وترة أنفه يشد بها الزمام. والجملة تعني أن العهد من النبي يسلس قيادة أبي بكر لعلي - انظر الزبيدي: تاج العروس، ج ٨، ص ٢٧٣.

(٣) الإضافة من (م) لتمام المعنى.

(٤) هو عمر بن علي بن سمرة الجعدي، ولد في سنة (٥٤٧هـ) في قرية أنامر من بلاد العوادر، ومن أشهر مؤلفاته كتاب طبقات فقهاء اليمن، استوعب فيه تراجم فقهاء اليمانيين منذ ظهور الإسلام حتى سنة (٥٨٦هـ)، انظر: بامخرمه: تاريخ ثغر عدن، طبعة ليدن ١٩٣٦، جـ ٢، ١٧٩، ابن سمرة طبقات فقهاء اليمن، تحقيق: فؤاد سيد، ط ثانية: ١٩٨١، ص ١ـ ٤.

(٥) الإضافة من (م) سبق التعريف بعلي بن الفضل وحركته الإسماعيلية القرمطية.

(٦) في (ذ). (م)، ودعاوه.

(٧) في (ذ) الكفر.

(٨) في (ذ) للناس.

(٩) في (ذ) للتشيع.

(١٠) ناسخ النسخة (م) تصرف في عبارة الذهبي بالتقديم والتأخير، وسوف نشير إلى ذلك في حينه.

(١١) يمثل التشيع الزيدي اتجاهاً وسطاً بين أهل السنة، وبين التشيع الإمامي، وكأي اتجاه وسط لا بد أن يكون أكثر ميلاً إلى أحد الطرفين، إما إلى المذهب السني، وإما إلى مذهب الشيعة الإمامية،، ولذلك ففرق الزيدية متفاوتة فيما بينها في الميل لهذا الطرف أو ذلك، مع اشتراكها جميعاً فيما يجعلها منتسبة إلى الزيدية، كالقول بأفضلية علي وإمامته، ثم إمامة الحسن والحسين، وكالقول بالخروج، انظر د. أحمد صبحي: الزيدية ص ١٠١.

(١٢) ناسخ النسخة (م) وضع العبارة السابقة لابن سمرة بعد هذه العبارة للذهبي وبعد انتهائها واصل عبارة الذهبي إلى نهايتها.

و(اعلم)[1] أنهم يجرحون الشيعة بكونهم شيعة ويسمونهم الروافض[2] ويصنوفهم[3] ثلاثة أصناف. الصنف الأول: من يقدم علياً، عليه السلام، في الإمامة، ويطعن على من تقدمه، فهو عندهم رافض غالٍ[4] في الرفض لا تقبل روايته. [و][5] الصنف الثاني من يقدمه (عليه السلام)[6] من غير طعن على من تقدمه، فهذا أيضاً رافضي عندهم مبتدع لا يقبل[7]. روايته الأكثر[8]. والصنف[9] الثالث من يفضله على غيره من الصحابة، وينشر فضائله[10]، ويبغض[11] من حاربه كمعاوية[12] وأحزابه[13]، وهذا عندهم رافض أيضاً، ولكن روايته مقبوله عندهم[14]، ومنع قبولها بعضهم.

انتهى ما نقلناه من خطه رحمه الله اللفظ باللفظ والحمد لله رب العالمين وصلى اللهم على محمد[15].

وكتب[16] الفقير إلى الله سبحانه حسين بن أحمد بن داود بن محمد بن فاضل بن قاسم بن أحمد بن محمد بن يحيى بن سليمان بن داود بن قاسم بن محمد بن مظهر بن يحيى بن قاسم بن أحمد الطاهر بن القاسم بن عبد اللّه بن العالم بن القاسم الجواد بن أحمد المفضال بن إسماعيل بن أبي البركات بن أحمد الزاهد بن القاسم ترجمان الدين

---

(١) الإضافة من (م).

(٢) في (م) روافض.

(٣) في (ذ) ويجعلونهم.

(٤) في (ذ) غالي.

(٥) ما بين حاصرتين إضافة لإتمام المعنى.

(٦) الإضافة من (م).

(٧) في (م)، تقبل.

(٨) في (م) والله أكبر.

(٩) في (ذ) الصنف.

(١٠) في (ذ) أفصايله.

(١١) في (م) ويعض.

(١٢) في (ذ) (م) كمعوية، وأضافت (م)، (لعنه الله).

(١٣) في (م) وأتباعه.

(١٤) في (م) عند أكثرهم.

(١٥) أما نهاية النسخة (م) فهي: «انتهى من كلام السيد العلامة أحمد بن محمد الشرفي ـ رحمه الله ـ منقول من خطه. انتهى من المنقول منه».

(١٦) كلمة وكتب تعني أن الناسخ أيضاً الذي كتب عدة الأكياس هو الذي كتب ذيل عدة الأكياس موضوع المخطوطة.

نجم آل الرسول بن إبراهيم طباطا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن الرضى الحسني بن الحسن السبط أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين، وسند الوصي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الحق.

المصادر والمراجع

(١) ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني (٦٣٠هـ).
الكامل في التاريخ، طبعة دار صادر بيروت ١٩٨٢ (الجزء الخامس).

(٢) أحمد حسين شرف الدين:
تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن - مطبعة الكيلاني القاهرة ١٩٦٨م.

(٣) أحمد محمود صبحي: «دكتور»
الزيدية - نشر منشأة المعارف بالإسكندرية - ١٩٨٠م.

(٤) أيمن فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي - نشر المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة - ١٩٧٤م.

(٥) بامخرمه: أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد
تاريخ ثغر عدن - الجزء الثاني/ طبعة ليدن ١٩٣٦م.

(٦) الجرموزي: المطهر بن محمد بن أحمد.
سيرة الإمام القاسم بن محمد، مخطوط بدار الكتب المصرية، مصورة عن نسخة مصورة بالميكروفيلم عن الأصل المحفوظ بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (١٩) تاريخ.

(٧) الجعدي: عمر بن علي بن سمرة -
طبقات فقهاء اليمن، تحقيق - فؤاد سيد - دار رالكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية ١٩٨١م.

(٨) جمال الدين سرور: «دكتور»
سياسة الفاطميين الخارجية - دار الفكر العربي القاهرة ١٩٧٦م.

(٩) الحبشي: عبد الله
مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمني - نشر مركز الدراسات والبحوث اليمنى - صنعاء دار العودة بيروت
مقال عن «المطرفية مذهب مجهول في اليمن» اليمن الجديد - العدد الثالث - ١٩٧٧ والعدد الأول - ١٩٧٨.

(١٠) الحجري: محمد بن أحمد
مجموع بلدان اليمن وقبائلها
تحقيق: إسماعيل بن علي الأكوع
طبعة أولى ١٩٨٤- منشورات وزارة الإعلام والثقافة اليمنية.

(١١) حسن إبراهيم حسن: «دكتور»
تاريخ الإسلام السياسي - الطبعة الثامنة ١٩٧٣م.

(١٢) الحمادي اليماني: محمد بن مالك بن أبي الفضائل
- كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة - نشر: عزت العطار مطبعة الأنوار ١٣٥٧هـ - ١٩٣٩م.

(١٣) الخزرجي: شمس الدين أبي الحسن علي
العسجد المسبوك،
طبعة وزارة الإعلام والثقافة اليمنية ١٩٨١م.

(١٤) الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود
الأخبار الطوال
تحقيق: عبد المنعم عامر
طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٦٠م.

(١٥) زبارة: محمد بن محمد
أئمة اليمن - مطبعة النصر الناصرية - بتعز الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.

(١٦) الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني الواسطي
- تاج العروس من جواهر القاموس - منشورات دار مكتبة

الحياة ـ بيروت ـ المجلد السابع، والثامن.

(١٧) **الزركلي:** خير الدين

الأعلام، قاموس تراجم ـ الطبعة الثالثة ـ الجزء الأول.

(١٨) **السيد مصطفى سالم** «دكتور»

الفتح العثماني الأول لليمن

طبعة معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٩م

وثائق يمنية

الطبعة الثانية ١٩٨٥ القاهرة.

(١٩) **الشرفي:** أحمد بن محمد بن صلاح بن محمد

ـ ذيل عدة الأكياس المنتزع من شفاء صدور الناس في شرح معاني الأساس ـ مخطوط ـ بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء رقم ١٨ كلام.

(٢٠) **الشوكاني:** محمد بن علي

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع

الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ ـ الجزء الأول.

(٢١) **الطبري:** أبو جعفر محمد بن جرير

تاريخ الأمم والملوك

طبعة مطبعة الاستقامة ـ القاهرة ١٩٣٩م.

(٢٢) **عبد العزيز المقالح:** «دكتور»

قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة ـ دار العودة بيروت ـ ١٩٨٢م

اليمن الإسلامي

دار العودة ـ بيروت ١٩٨٢م.

(٢٣) **عبد المنعم ماجد:** «دكتور»

التاريخ السياسي للدولة العربية

الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٦م ـ الجزء الثاني.

(٢٤) عصام الدين عبد الرؤوف: «دكتور»
اليمن في ظل الإسلام
دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٨٢م.

(٢٥) علي بن محمد: عبيد الله العباسي العلوي
سير الهادي إلى الحق - تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٨١م.

(٢٦) فاروق عمر: «دكتور»
طبيعة الدعوة العباسية
الطبعة الأولى ١٩٧٠م
دار الإرشاد بيروت.

(٢٧) فهرس المخطوطات المحفوظة بمركز الدراسات اليمنية بعدن.

(٢٨) فهرس المخطوطات المحفوظة بالمكتبة الشرقية بالجامع المقدس بصنعاء.

(٢٩) فهرس المخطوطات المحفوظة بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء.

(٣٠) مجموع رقم ٨ كلام - محفوظ بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء.

(٣١) مجهول: أخبار الدولة العباسية
تحقيق: د. عبد العزيز الدوري، د. عبد الجبار المطلبي
دار الطليعة بيروت ١٩٧١.

(٣٢) محمد أبوزهرة: الإمام
تاريخ المذاهب الإسلامية
دار الفكر العربي - القاهرة.

(٣٣) ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري «٦٣٠هـ/ ٧١١هـ»
لسان العرب المحيط - تصنيف: يوسف الخياط دار لسان العرب - بيروت.

(٣٤) الهمداني: الحسن بن أحمد بن يعقوب
صفة جزيرة العرب ـ تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي ـ دار اليمامة ـ ١٣٩٤هـ: ١٩٧٤م.

(٣٥) ابن الوزير: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت٨٤٠)
الروض الباسم في الذب عن سنة أبي قاسم ـ طبعة دار المعرفة بيروت ١٩٧٩م.

(٣٦) ياقوت: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت: ٦٢٦هـ) ـ معجم البلدان.

(٣٧) يحيى بن الحسين: ابن القاسم بن محمد بن علي (ت: ١١٠٠هـ)
غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ـ تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور ـ دار الفكر العربي القاهرة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

دار ضرب زيدية في اليمن من عهد الإمام عبد الله بن حمزة (٥٨٣هـ ــ ٦١٤هـ)

انتشر المذهب الزيدي في اليمن منذ أواخر القرن الثالث الهجري، على يد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، وعلى وجه التحديد منذ وصوله إلى اليمن قادماً من قرية الرَّسّ بالقرب من المدينة المنورة في الحجاز (٢٨٤هـ/٨٩٧م)[١]، بناء على دعوة أهل اليمن له، وكان على رأس الذين دعوه إلى القدوم لإقامة دولة الأئمة الزيدية في اليمن وإلى صنعاء في هذه الفترة أبو العتاهية بن بشر المذحجي، وكان متشيعاً لآل البيت[٢]، ويبدو أنه أراد أن يواجه بالتعاون مع الإمام الهادي إلى الحق خصومه السنيين، ممثلين في الوالي العباسي علي بن الحسين المعروف بجفتم، وآل يعفر الحواليين[٣]، ولذلك قام أبو العتاهية بتسليم مدينة صنعاء ومخاليفها للإمام الهادي إلى الحق، وبايعه هو ومن معه من قواد اليمن ورجالها[٤].

واستطاع الإمام الزيدي خلال أربع سنوات من قدومه من الحجاز، أن يبسط نفوذه

---

(١) الكبسي: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، طبعة مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٨٣، ص ١٢.

(٢) ابن الديبع: قرة العيون، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، المكتبة السلفية القاهرة ١٩٧١، ج ١، ص ١٧٤.

(٣) المصدر السابق، ص ١٧٤، ١٧٥.

(٤) علي بن محمد العلوي: سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨١، ص ١٧، زبارة: أئمة اليمن، مطبعة النصر بتعز ١٣٧٥، ص ١٩، (والمعروف أن أهل اليمن طلبوا من الهادي إلى الحق القدوم إلى اليمن في سنة (٢٨٠هـ)، ولكنهم لم يلتزموا عند قدومه بما أمرهم به من حدود الشريعة، فتركهم وعاد ثانية إلى الحجاز، ولكنهم ألحوا في طلبه مرة ثانية وكان ذلك في سنة (٢٨٤هـ) فقدم عليهم والتزموا في هذه المرة بأوامره ونواهيه، فتمكن بمعاونتهم من تأسيس أول دولة شيعية زيدية في اليمن منذ ذلك التاريخ، المصادر السابقة نفس الصفحات، ابن خلدون: العبر، طبعة دار الكتاب اللبناني ١٩٦٨، ج ٤، ص ٤٥٥، Stokkey, W., Yemen, The Politics of Yemen Arab Republic, (1968), p. 91.

على المناطق الممتدة ما بين صَعْدَه شمالاً، وصنعاء ومخاليفها جنوباً، وأن يؤسس دولة قوية الدعائم متينة البنيان، وأصبح لهذه الدولة مؤسساتها التنفيذية التي تقوم على رعاية مصالح أهل اليمن، داخل مناطق نفوذها من أرض اليمن، حيث كانت هناك قوى أخرى في اليمن غير الإمامة الزيدية، متمثلة في دولة بني زياد في تهامة، وهؤلاء كانوا قد أسسوا دولتهم في اليمن سنة (٢٠٤/٨١٩م)، واختطوا مدينة زبيد في الرابع من شعبان من نفس السنة، واتخذوها عاصمة لهم[(١)]، ومنها سيطروا على تهامة، وظلوا بها إلى نهاية حكمهم في اليمن سنة (٤٠٧هـ/١٠١٦م)[(٢)].

وفي نفس الوقت كان هناك آل يعفر الحواليين الذين اتخذوا من صنعاء مركزاً وعاصمة لدولتهم، وامتد نفوذهم إلى الجَنَدْ وحضرموت، وأخذوا البيعة في هذه المناطق، للخليفة العباسي المعتمد على الله أحمد بن جعفر المتوكل، وكان ذلك في سنة (٢٥٧هـ/ ٨٧٠م)[(٣)].

والجدير بالذكر أن هاتين القوتين كانتا تدافعان عن الاتجاه السني في اليمن، إذ كان كل منهما يمثل العباسيين في مناطق نفوذه، وحرص العباسيون على الارتباط القوي بهاتين الدولتين في اليمن رغبة منهم في المحافظة على بقاء اليمن ولاية عباسية، وكان ذلك أيضاً لمواجهة نمو واضطراد القوى الشيعية الزيدية المتنامية، والقوى الشيعية الإسماعيلية التي كانت قد ظهرت قبل ذلك بقليل في اليمن بقدوم الداعيين، أبو الفرج بن حوشب، وعلي بن الفضل، ونجاحهما في إقامة دولة شيعية على أساس من المذهب الإسماعيلي[(٤)].

---

(١) الخزرجي: العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، نسخة مصورة من المخطوط الأصلي ١٩٨١، وزارة الإعلام والثقافة اليمنية، ص ٣١، (زَبِيد: بالفتح ثم الكسر، وياء مثناة من تحت البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، طبعة دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٤، ج ٢، ص ٦٥٨).

(٢) ابن الديبع: بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبد الله الحبشي، مركز الدراسات اليمنية ١٩٧٩، ص ٤٠.

(٣) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٣٣.

(٤) الجندي: السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، طبعة وزارة الإعلام والثقافة اليمنية الأولى ١٩٨٣، ج ١، ص ٢٣٢ـ ٢٤٤، إدريس عماد الدين القرشي: عيون الأخبار وفنون الآثار، تحقيق: د. مصطفى غالب، دار الأندلس ١٩٧٥، السبع الخامس، ص ٣٢ـ ٤٠، (مثل ابن حوشب وعلي بن الفضل في اليمن الاتجاه الشيعي الفاطمي، وبينما أخلص ابن حوشب للدعوة=

وفي نفس الوقت أصبح لهذه القوى السياسية المتنوعة المشارب والميول مراكزها السياسية والفكرية، والعقائدية والإدارية، فكانت زبيد عاصمة بني زياد، وصنعاء عاصمة اليعفريين، وصعدة عاصمة الزيدية[1]، والمذيخرة عاصمة علي بن الفضل[2]. وحاولت كل قوة من هذه القِوى السياسية أن تأخذ لنفسها كل ما من شأنه أن يحقق سيادتها على ما لديها من مناطق النفوذ، وكانت السكة هي أهم هذه المظاهر التي تؤكد سيادة هذه الدول على مواطنيها، ولذلك حرصت كل قوة من هذه القوى على أن يتعامل مواطنوها بسكة الدولة، وحددت لذلك نظماً خاصة من شأنها أن تنظم العلاقة المالية بين المواطنين والدولة، من خلال ما يدفعونه لخزانتها من زكوات وصدقات وضرائب وأعشار، وبين المواطنين أنفسهم في أسواق التجارة الداخلية والخارجية.

وعلى الرغم من شحة المعلومات في المصادر اليمنية عن دور ضرب السكة في الدول التي تتابعت على حكم بلاد اليمن، فمن الممكن عن طريق ما في هذه المصادر من إشارات تاريخية أن نضع تصوراً تاريخياً لدور ضرب السكة اليمنية بصفة عامة، ولدور ضرب السكة الزيدية بصفة خاصة حتى مطلع القرن السابع الهجري - الذي أنشئت فيه دار الضرب موضوع هذه الدراسة - خاصة وقد عثرت على نص تاريخي عن هذه الدار لضرب السكة في عهد الإمام عبد الله بن حمزة، الذي كان إماماً للزيدية في اليمن في الفترة من (٥٨٣هـ/١١٨٧م) إلى (٦١٤هـ/١٢١٧م)[3]، ويعتبر هذا النص - في تقديري - أكبر نص

= الإسماعيلية، وظل على ذلك حتى مات، فإن علي بن الفضل تحول عن المذهب الإسماعيلي عندما علم بذهاب المهدي إلى المغرب لإقامة الدولة الفاطمية هناك، لذا اتجه علي بن الفضل إلى تكوين ملك كبير له باليمن حكمه بالقوة والعنف مقتدياً في ذلك بأبي سعيد الجنابي الذي استقل هو الآخر بالبحرين، انظر زبارة: أئمة اليمن، ص ٣٨، ٣٩، الحمادي اليماني: كشف أسرار الباطنية: نشر عزت العطار طبعة ١٩٣٩، ص ٢٠، ابن الديبع: قرة العيون، جـ ١، ص ١٨٩، ١٩٥ Stooky, op. cit, p. 93.

(١) صَعْدَة: بالفتح ثم السكون، مخلاف باليمن، مراصد الاطلاع، جـ ٢، ص ٨٤١، وهي مدينة مشهورة شمالي صنعاء تبعد عنها بسبع مراحل، يبلغ ارتفاعها وجميع وجوه المال بها مائة ألف دينار، انظر الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع، الطبعة الأولى ١٩٨٤، المجلد الثاني، جـ ٣، ص ٤٦٧.

(٢) المُذَيْخَره: بالخاء المعجمة والراء، بلدة مشهورة كانت في زمن بني زياد مركزاً لمخلاف جعفر وهو يشمل الآن بلاد العُدين وجميع محافظة إب، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جـ ٢، ص ٥٩٢.

(٣) زبارة: أئمة اليمن، ص ١٠٨، ١٤٢.

جاء في المصادر اليمنية عن دار ضرب نقود زيدية خلال مطلع القرن السابع الهجري[١]. ومن حسن الحظ أنني عثرت من بين مئات قطع العملة التي فحصتها في المتحف الوطني بصنعاء على قطعتين فضيتين عبارة عن درهمين زيديين، من ضرب هذه الدار زمن الإمام عبد اللّه بن حمزة، ولما تكاملت عناصر البحث على هذا النحو شرعت في هذه الدراسة الهامة.

ومن المناسب هنا أن نتحدث عن دور ضرب السكة في اليمن قبل إمامة عبد اللّه بن حمزة، فقد تعددت هذه الدور، وأصدرت نقوداً مختلفة من حيث الشكل، ومن حيث المضمون الذي سُك على وجهي النقد، وقد تأثر هذا المضمون بمذهب الدولة صاحبة العملة ومذهبها السياسي وتبعيتها، إما للدولة العباسية السنية فحملت هذه العملة أسماء الخلفاء العباسيين، أو تبعيتها للدولة الفاطمية في مصر، فنقش عليها أسماء الخلفاء الفاطميين، وإما استقلالها عن هذه وتلك، كما حدث في السكة الزيدية التي خلت تماماً من أي مظهر من مظاهر التبعية، وحملت فقط إلى جانب أسماء الأئمة الزيدية بعض المأثورات الشيعية، ومن أهمها المأثورة المعروفة (علي ولي الله).

على أنه من المهم أن نشير إلى أنه لم يعرف حتى الآن نقد ضرب في اليمن في العهد الأموي، وإنما اهتم الولاة العباسيون ـ الذين حكموا في اليمن ـ بذلك على نحو كبير فأنشأوا داراً لضرب السكة في صنعاء[٢]، ظلت تضرب السكة في اليمن حتى قيام دولة بني زياد، ودولة آل يعفر الحواليين، ويبدو أن هذه الدار استخدمت لهذا الغرض في العهود التي توالت بعد ذلك، وتأثر نوع النقد المضروب فيها بحسب نوعية القوة السياسية المسيطرة عليها ومذهبها وفكرها الديني.

فمن المعروف أن بني زياد (٢٠٤هـ/ ٨١٩م/ ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م) كانت لهم دار لضرب السكة في زبيد، استمرت تضرب السكة طوال عهدهم، وظهر اسمهم على السكة العباسية المضروبة في هذه المدينة، نعرف ذلك من خلال الدنانير العباسية الزيادية المضروبة في زبيد في عهد الأمير الزيادي إسحاق بن إبراهيم، وقد عُثر على بعض هذه الدنانير المضروبة في هذه الدار بزبيد مؤرخة بسنة ٣٤١هـ، ٣٤٢هـ، ٣٤٦هـ، ٣٤٧هـ، ٣٤٨هـ،

---

(١) انظر النص في الملحق رقم (١) في نهاية البحث.

(٢) أبو الفرج العش: المسكوكات في الحضارة العربية الإسلامية، بحث لمؤتمر الآثار التاسع المنعقد في صنعاء ١٩٨٠، نشرته وزارة الإعلام بقطر، ص ٢٠.

٣٤٩هـ، ٣٥٠هـ، ٣٥٢هـ، ٣٥٧هـ،٣٥٩هـ - ٣٦٢هـ[١]، وكانت هذه الدنانير تحمل اسم الخليفة العباسي جنباً إلى جنب مع اسم الأمير الزيادي إسحاق بن إبراهيم. ويبدو أن دار الضرب في زبيد في عهد هذا الأمير الزيادي لم تعد قادرة على مواجهة متطلبات الدولة والأسواق من العملة، ولذلك توسع الزياديون في سك عملتهم في أماكن أخرى، نلاحظ أن معظمها كان في تهامة، وأنها كانت في مناطق ذات ثقل اقتصادي كبير بالنسبة للدولة الزيادية، وظهرت هذه الدور في عدن التي اشتهرت منذ القدم كميناء هام لتجارة المرور، وفي بيش[٢] وبيشة، وكلاهما في مناطق الوديان الزراعية الخصبة في تهامة عسير، وهي ذات تأثير اقتصادي ملحوظ في تهامة خاصة، وأن بيشة اشتهرت بوفرة معدن الذهب بها[٣]، وظهرت في نفس الفترة أيضاً دار للضرب في سُرْدُدْ[٤]، وفي عَثَّر[٥]، وتبلغ عوائد هذه الجهة وحدها وهي من أعمال مدينة زبيد خمسمائة ألف دينار، ولا شك أن هذه الأرقام تعكس حيوية هذه المناطق وحاجتها إلى النقد وبالتالي إلى دور الضرب.

والمصادر التاريخية تؤكد اتساع نفوذ بني زياد في هذه الفترة، حيث ضعفت الخلافة

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٣.

(٢) بَيْش: واد مشهور من أودية اليمن التي تصب في البحر الأحمر من جهة تهامة عسير، فيه قرى ومزارع كثيرة، وفي المدينة دار كبيرة ينزل بها السلطان إلى جانب الجامع، وقد عثر على خمسة دنانير عباسية زيادية في الفترة ما بين (٣٣١هـ) و(٣٤٣هـ) انظر المرجع السابق، ص ٢٢، الهمداني: صفة جزيرة العرب تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، الطبعة الثالثة ١٩٨٣، ص ٩٨، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جـ١، ص ١٣٣.

(٣) بِيشَة: واد في عسير يسيل من ناحية نجد شرقاً، المصدر السابق، جـ١، نفس الصفحة، عن وفرة معدن الذهب بها انظر، الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٦٧، ٣٧٩.

(٤) سُرْدُدْ: واد مشهور من أودية اليمن التي تصب في تهامة، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقابائلها، جـ ١، ص ٤١٩.

(٥) عَثَّر: بفتح أوله وتشديد الثاء وفتحها، بلد باليمن من أعمال زبيد، ياقوت: معجم البلدان، طبعة دار صادر بيروت، جـ ٤ ص٨٥، وكانت عثر زمن أبي الجيش إسحاق الزيادي في يد الأمير سليمان بن طرف الذي امتد نفوذه على بلاد واسعة مسيرة سبعة أيام طولاً في عرض يومين، إذ كان حدها من الشرجة إلى حلى، وكان مبلغ ارتفاعها في السنة خمسمائة ألف دينار عثرية، وكانت هذه الدنانير تضرب في عثر، يحيى بن الحسين: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٩٦٨، جـ ١، ص ١٩٠.

العباسية وازدادت سيطرة الأتراك عليها، فتحولت التبعية الزيادية للعباسيين إلى تبعية اسمية، تمثلت في حكم بلاد اليمن باسم الخليفة العباسي، وإظهار الولاء له كلون من إضفاء الشرعية على حكم الزياديين لليمن، وتجلى ذلك في ذكر اسم الخليفة في الخطبة ونقش اسمه على السكة، وقد ظهر هذا التطور واضحاً خلال عهد الأمير إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن زياد، والذي طالت مدة حكمه لليمن حتى بلغت ثمانين عاماً[١].

كما كان لآل يعفر الحواليين - المعاصرين لبني زياد - دار للضرب أيضاً في صنعاء، وإن لم يُعثر على قطع للعملة المضروبة بها في عهدهم حتى الآن، وهناك إشارة إلى هذه الدار في غاية الأماني، حيث ضرب فيها اليعفريون نقودهم، وعليها اسم الأمير أبي الجيش إسحاق الزيادي، إظهاراً لتبعيتهم إليه[٢]، وقد نقش عليها أيضاً اسم الخليفة العباسي. كما شاهدت بنفسي بعض الدنانير الذهبية المضروبة في صنعاء، ونقش عليها اسم علي بن الفضل، وهي محفوظة بالمتحف الوطني بصنعاء ولم تدرس حتى الآن.

وكان لبني نجاح الذين خلفوا بني زياد في حكم تهامة واليمن كممثلين للعباسيين، سكتهم الخاصة بهم، فبعد أن استولى نجاح (٤١٢هـ/ ١٠٢١م) - (٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م) على ممتلكات بني زياد وأقام الدولة النجاحية[٣]، اتخذ لنفسه رسوم الملك «وركب بالمظلة وضرب السكة باسمه»[٤] وظهر على السكة التي ضربها نجاح في زبيد اسم الخليفة العباسي القائم بأمر الله (١١ من ذي الحجة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م - ١٣ شعبان ٥٦٧هـ/

---

(١) ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ٤٥٤، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٨٩.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) (كان نجاح أحد القادة العسكريين لبني زياد، وهو من طبقة العبيد من جنس يقال له الجزل، أو بطن من بطون العبيد الأحباش يقال لهم السحرتيون، فقفز هؤلاء العبيد إلى قمة السلطة في الدولة الزيادية بعد أن سُمح لهم بتولي مناصب الوزارة في هذه الدولة، وعندما ضعفت الدولة الزيادية، ولم يعد هناك من يتولى السلطة العليا فيها، اعتلى نجاح عرش هذه الدولة وأعلن تبعيته للخلافة العباسية، انظر الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٠٤، ابن الديبع: قرة العيون، جـ ١ ص ٣٣٤، اليماني: بهجة الزمن، تحقيق: مصطفى حجازي، طبعة بيروت ص ٢٨.

(٤) ابن الديبع: بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ص ٤٥، ابن خلدون: المختصر المنقول من العبر، ملحق بكتاب تاريخ اليمن لعمارة، تحقيق د. حسن سليمان محمود، مكتبة مصر، القاهرة ١٩٥٧، ص ١٣٦.

١١٧١م)[١] جنباً إلى جنب مع لقبه الذي خلعه عليه العباسيون، حيث يظهر من كتاب الاستنابة الذي أرسله الخليفة العباسي - في ذلك الوقت أن العباسيين لقبوه بالمؤيد نصر الدين[٢]. ويظهر هذا اللقب بوضوح على دينار محفوظ بمتحف الأوسمة في باريس، مضروب في الجند سنة (٤٣٧هـ/١٠٤٥م) أو في سنة (٤٣٩هـ/١٠٤٧م)[٣]، وعلى دينار نجاحي آخر محفوظ في المتحف البريطاني، مضروب في زبيد في سنة (٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م)[٤]، وهذا يعني أن النجاحيين ضربوا سكتهم في كل من زبيد والجند[٥].

وفي منتصف القرن الخامس الهجري ظهر الصليحيون كقوة إسماعيلية تدين بالولاء المذهبي والسياسي للفاطميين في مصر[٦]، وظل الصليحيون في صراع دائم مع النجاحيين في تهامة، وكان هدف الصليحيين من وراء الصراع الاستيلاء على تهامة، ذات الثراء

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الصمد، ص ٤١٧، ٤٢٢.

(٢) ابن الديبع: بغية المستفيد ص ٤٥.

(٣) د. العش: المسكوكات في الحضارة العربية الإسلامية ص ٢٣. اعتبر الدكتور العش هذا الدينار، الذي كتب عليه الخليفة القائم بأمر الله علي بن المظفر والمؤيد نجاح نصر الدين، صليحياً زيادياً، وهذا يخالف الواقع التاريخي الذي أجمعت عليه معظم المصادر، فالدينار يحمل تاريخ ضربه، وهو سنة(٤٣٧هـ) أو (٤٣٩هـ)، وخلال هذا التاريخ لم تكن دولة الصليحيين قد قامت في اليمن، حيث أعلن قيام هذه الدولة رسمياً بعد مقتل المؤيد نصير الدين نجاح مؤسس الدولة النجاحية في زبيد والذي امتدت فترة حكمه من سنة (٤١٢هـ) إلى سنة (٤٥٢هـ) وعلى هذا فالدينار نجاحي حمل إلى جانب نجاح ولقبه لقب الخليفة العباسي القائم بأمر الله، (٣٢٢هـ- ٥٦٧هـ)، أما علي بن المظفر، فهو على ما يبدو لقب الأمير الزيادي الذي كان طفلاً صغيراً يحكم باسمه نجاح، وينبغي أن ننبه إلى أن لقب نجاح الذي لقبه به العباسيون هو المؤيد نصير الدين، وليس نصر الدين كما قرأه الدكتور العش - رحمه الله -، انظر السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٤١٧، ٤٢٢، ابن الديبع: بغية المستفيد، ص ٤٥.

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٥) الجَنَد: بالتحريك: ولاية باليمن حيث كانت اليمن منذ دخولها في الإسلام تتألف من الجند ومخاليفها، وصنعاء ومخاليفها، وحضرموت ومخاليفها، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٦٩.

(٦) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ج ١، ص ٢٥٣، قام علي بن محمد الصليحي بإحياء الدعوة الإسماعيلية باليمن بعد أن استطاع الداعي الإسماعيلي - المستتر في اليمن - سليمان بن عبد الله الزواحي من استمالته إلى المذهب، وبعد وفاة الزواحي خلفه الصليحي في رئاسة الدعوة الإسماعيلية باليمن، وتمكن بعد صراع طويل بينه وبين مختلف القوى السياسية والمذهبية في اليمن أن يقيم الدولة التي اشتهرت في تاريخ اليمن باسم الدولة الصليحية، عمارة المفيد، ص ٩٦، د. عصام الدين عبد الرؤوف: اليمن في ظل الإسلام، دار الفكر العربي ١٩٨٢، ص ١٤٦.

الاقتصادي الهائل، الذي كانت تحققه من وراء تجارة المرور على موانئها المطلة على البحر الأحمر، وتذكر بعض الروايات أن والي زبيد حمل إلى الصليحي في بعض السنين بعد أن دفع أرزاق الجند وغيرها من الأسباب اللازمة ألف ألف دينار[١]. وعلى الرغم من أن علي بن محمد الصليحي استولى على تهامة فترة من الزمن، وبسط نفوذه على اليمن كلها[٢]، إلا أن خلفاءه وجدوا صعوبة كبيرة في الاحتفاظ بتهامة تحت حكمهم، فاستعاد النجاحيون سيطرتهم عليها، بينما ظل الصليحيون يتمتعون بالسيطرة الكاملة على باقي اليمن.

ضرب الصليحيون سكتهم في مدينة صنعاء، بعد استيلاء علي بن محمد الصليحي عليها سنة (٤٥٥هـ - ١٠٦٣م)[٣]، ويلاحظ أن ما عثر عليه من السكة المضروبة في صنعاء في هذه الفترة لم ينقش عليها اسم الخليفة الفاطمي المستنصر، وإنما كان يحمل فقط المأثورة الفاطمية، «علي ولي الله»[٤]. ويبدو أن ظهور اسم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي على السكة الصليحية كان تدريجياً، وارتبط ارتباطاً وثيقاً بتأكيد علي بن محمد الصليحي لسلطان الدعوة الإسماعيلية في أنحاء اليمن، وفي تهامة بصفة خاصة، التي تمركز فيها النجاحيون أقوى أعداء الصليحيين في اليمن، وحيث كانت تهامة - كما ذكرنا - أغنى أقاليم اليمن من حيث إنتاجها الزراعي ومواردها المالية، ومن ثم حرص الصليحيون بعد استيلائهم على زبيد، على ضرب سكتهم الصليحية في هذه المدينة الهامة، لتكسب ثقة جماهير المتعاملين بها، وتحل محل السكة العباسية النجاحية.

ومن هذه السكة التي ضربت في زبيد في هذه الفترة، دينار الداعي علي بن محمد الصليحي الذي ضرب في زبيد سنة (٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م)، ولم يذكر عليه اسم الخليفة

---

(١) ابن الديبع: قرة العيون، جـ ١، ص ٢٤٨، (نقل ابن خلدون حديثاً لابن سعيد عن ثراء تهامة زمن أبي الجيش إسحاق الزيادي فقال: «رأيتُ جبايته (أبو الجيش) وهو ألف ألف مكررة مرتين وثلثمائة ألف وستة وستون ألفاً من الدنانير العشرية ما عدا ضرايبة على مراكب السند، وعلى العنبر الواصل بباب المندب وعدن وأبْيَن، وعلى مغائص اللؤلؤ، وعلى جزيرة دَهْلَك، انظر ابن خلدون: العبر، جـ٤ ص ٤٥٦).

(٢) عمارة: المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الطبعة الثانية ١٩٧٦، ص ١٤٩.

(٣) يحيى بن الحسين: غاية الأماني: جـ ١، ص ٢٥٤.

(٤) د. العش: المسكوكات في الحضارة العربية الإسلامية، ص ٢٤.

الفاطمي، وإنما اكتفى بالإشارة إلى موالاته له بقوله: «سيف المعد»، والمعد هذا هو المستنصر بالله[١]. إلا أنه منذ سنة (٤٤٥هـ/ ١٠٥٣م) ظهر اسم الخليفة الفاطمي المستنصر على الدنانير الصليحية، وما عثر عليه من هذه الدنانير مضروب أيضاً في زبيد في سنة (٤٤٥هـ)، (٤٤٧هـ) (٤٥١هـ)[٢]. وتشير هذا التواريخ إلى أن الصليحي استطاع خلالها أن ينتزع زبيد عاصمة بني نجاح منهم - وهذا أمر لم تشر إليه مصادر التاريخ التي بين أيدينا - وقد يؤكد ذلك أن نصير الدين نجاح كان موجوداً في الكدراء حين دبر علي بن محمد الصليحي مؤامرته المشهورة في سنة (٤٥٢ هـ/ ١٠٦٠م)[٣] والتي أودت بحياة نجاح. وعلى أثرها استولى الصليحي على تهامة كلها.

كذلك ضرب الصليحيون سكتهم في عدن، ومنها الدنانير الملكية الصليحية المشهورة التي أشار إليها عمارة في كتابه «المفيد»، وعلى هذه الدنانير نقشت هذه العبارة «الملك السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين»[٤]. وظهر على هذه الدنانير أيضاً اسم الخليفة المستنصر الفاطمي، وظهرت بعد ذلك دنانير صليحية أخرى من عهد المكرم بن علي الصليحي نقش عليها اسم الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله[٥]. ومعلوم أنه خلال هذه الفترة التي حكمها الملك المكرم، كانت السيدة أروى بنت أحمد الصليحية

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة. نشر (Lowick) مجموعة من الدنانير الإسماعيلية فيها إضافة جديدة عن النقود الصليحية والزريعية خلال القرن الخامس والسادس الهجريين، أنظر Bates. M., Notes on some Isma'ili cions from Yemen, American Numismatic Society, Museum notes 18 (1972) p. 149.

(٣) العرشي: بلوغ المرام في شرح مسك الختام، نشر: الأب أنستاس الكرملي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ص ١٥، ابن الديبع قرة العيون: جـ ١، ص ٢٤٦، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ٢٥٣، O, Leary, Ashort history of the Fatimide khalifate. p. 202 (استغل علي بن محمد الصليحي تحسن العلاقة بينه وبين نجاح في سنة (٤٥٢هـ)، وكان نجاح في ذلك الوقت يدير دولته من مدينة الكدراء، وأرسل إليه جارية جميلة أهداها إليه، استطاعت هذه الجارية بما لها من جمال ودلال على سيدها الجديد نجاح أن تطعمه طعاماً مسموماً، توفي على إثر تناوله. المصادر السابقة، نفس الصفحات).

(٤) عمارة: المفيد، ص ١٣٥ ولدى القاضي محمد بن علي الأكوع عدد من هذه الدنانير، وعد بنشرها.

(٥) د. العش: المسكوكات في الحضارة العربية الإسلامية، ص ٢٥.

تحكم الدولة نيابة عن زوجها الملك المكرم على إثر إصابته بالفالج[١]. وكان النقد الصليحي كله - في هذه الفترة يحمل اسم الملك المكرم، بالإضافة إلى اسم الخليفة الفاطمي في مصر.

كذلك ضرب الصليحيون أنواعاً من السكة في عاصمتهم ذي جبلة[٢]، التي اشتهرت منذ عهد الملك المكرم والسيدة أروى الصليحية، وهذه السكة عرف منها حتى الآن ربع دينار مضروب باسم الملك المكرم في سنة (٥٣٠/ ١١٣٥م)[٣]. ويبدو أن الصليحيين ضربوا هذا النوع من السكة لتسهيل عمليات البيع والشراء في الأسواق التجارية. ويلاحظ أن اسم الخليفة الفاطمي في مصر اختفى من على هذه القطعة المضروبة في هذه الفترة في ذي جبلة[٤]، وكان ذلك بسبب الخلاف الذي ظهر بين السيدة أروى الصليحية وبين الخليفة الحافظ لدين الله الفاطمي (٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) (٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)[٥]. حيث لم تعترف السيدة أروى بإمامة وخلافة الحافظ لدين الله[٦]، وظلت على ولائها للإمام الطيب ابن الأمر، واعتبرت إمامة الحافظ لدين الله باطلة، ومن ثم استبعدت نقش اسمه من على السكة، وكانت تقول: «حسب بني الصليحيي ما علموه من أمر مولانا الطيب[٧]».

---

(١) العرشي: بلوغ المرام، ص ٢٦، ابن الديبع؛ بغية المستفيد، ص ٥٠، د. عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، طبعة دار المعارف ١٩٧٧، ص ٢٠٦.

(٢) ذي جِبْلَة: بكسر الجيم وإسكان الموحدة، وفتح اللام ثم هاء التأنيث، مدينة من أعمال محافظة إب حالياً، وهي في الجنوب الغربي على مسافة ساعة ونصف منها، اختطها عبد الله بن محمد الصليحي، أخو علي بن محمد الصليحي، في سنة (٤٥٨) واتخذها الملك المكرم والسيدة أروى عاصمة للدولة الصليحية، لأنها كانت في نظرها أكثر أمناً من صنعاء، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جـ ١، ص ٣٤.

(٣) د. العش: المسكوكات في الحضارة الإسلامية، ص ٢٥.

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٥) المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: د. محمد حلمي محمد أحمد، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٧٣، جـ ٣، ص ١٣٧، ص ١٩٣.

(٦) د. محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، طبعة دار الفكر العربي ١٩٧٦، ص ١٠٢، (كان الخليفة الآمر قد بعث سجلاً إلى السيدة أوروى يخبرها بأنه رزق مولوداً أسماه الطيب، وقد أخفى الحافظ أمر الإمام الطيب، بينما تمسكت السيدة أروى بإمامة الطيب، وانفصلت اليمن مذهبياً عن مصر منذ ذلك الوقت، المرجع السابق، ص ١٠٢، ١٠٣، عمارة: المفيد ص ٢٣٨، ٢٣٩، عصام الدين عبد الرؤوف: اليمن في ظل الإسلام، ص ١٧٩.

(٧) المصدر السابق ص ٢٣٩، د. جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ١٠٣.

وفي نفس الفترة التي حكم فيها الصليحيون اليمن، ظهر الزريعيون كنواب لهم في عدن[١]، وعندما كانت الدولة الصليحية قوية متألقة مرهوبة الجانب في اليمن، ضربت سكتها في عدن إلى جانب مراكز ضرب السكة الأخرى في دولتها، ولم يظهر على النقود الصليحية المضروبة في عدن في هذه الفترة أي أثر لأسماء الحكام الزريعيين عليها. وعندما ضعفت الدولة الصليحية، استغل الزريعيون الخلاف المذهبي بين اليمن الطيبية في ظل الصليحيين، ومصر الفاطمية في ظل الخليفة الحافظ، وحاولوا الاستفادة من هذه الخلافات فبدأوا في الاتصال مباشرة بالخلافة الفاطمية دون مبالاة بالصليحيين في ذي جبلة[٢]، وظهرت في هذه الأونة النقود الزريعية المضروبة في عدن، تحمل اسم الحاكم الزريعي محمد بن سبأ، ولقب المتوج الذي خلعه عليه الفاطميون، كما ذكر لقباً آخر منحه إياه الخليفة الفاطمي وهو «داعي أمير المؤمنين»[٣].

وجاء بعد محمد بن سبأ ولده عمران بن محمد، الذي ضرب سكته أيضاً في عدن، ولم يعثر من هذه السكة، إلا على دينار واحد مضروب في عدن سنة (٥٥٦هـ/ ١١٦٠م)[٤]، يحمل المأثورة الشيعية «علي ولي الله»، ولم ينقش عليه اسم الخليفة

---

(١) د. محمد جمال الدين سرور: سياسية الفاطميين الخارجية، ص ١٠٣، ١٠٤، (ظهر الزريعيون على مسرح الأحداث في اليمن كأعوان مخلصين للصليحيين حيث كان جدهم عباس بن المكرم من أخلص مساعدي علي بن محمد الصليحي في نشر الدعوة للمستنصر بالله الفاطمي في اليمن، ولذلك ولّته السيدة أروى الصليحية وأخاه مسعود ولاية عدن، وكانا يحملان إليها في كل عام مائة ألف دينار، ولما توفي العباسي انتقلت ولاية عدن إلى ابنه زريع وأبو الغارات، اللذين حاولا الخروج على السيدة أروى، وظل آل زريع يناضلون السيدة أروى حتى تخلصوا من نفوذها في عدن، المرجع السابق، ص ١٠٤، عمارة: المفيد، ص ١٧٤ ١٧٥.

وانظر، Bates. M., op. cit, p. 155.

(٢) د. محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص١٠٣، ١٠٤ Bates. M., op. cit, p. 155. المرجع السابق، نفس الصفحة، (ويذكر الخزرجي وعمارة: أن الرشيد بن الزبير الأسواني جاء من مصر لتقليد الدعوة للأعز علي بن سبأ الزريعي فوجده قد مات، فقلد الدعوة لمحمد بن سبأ ونعته المعظم المتوج المكين، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص٨٨، عمارة: المفيد، ص ١٨٥، ويذكر (مايكل بتس) أن العملات الزريعية تتشابه إلى حد كبير مع الدنانير الملكية الصليحية التي ضربت في عدن زمن المكرم، ويظهر عليها لقب «داعي أمير المؤمنين» أعلى وأسفل الظهر، وفي نفس المكانين أعلى وأسفل مركز الوجه ذكر محمد بن سبأ اسمه مع لقب «المتوج» Bates. M., op. cit, p. 158

(٣) Bates. M., op. cit, p. 159

الفاطمي، أما الجديد في هذا الدينار، فهو أن عمران نقش عليه لقباً عظيماً منحه لنفسه وهو «أوحد ملوك الزمن ملك العرب واليمن[1]».

واكبت دولة الأئمة الزيدية، التي أقامها الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين في صعده ـ كما ذكرنا ـ هذه الدول الإقليمية التي قامت في اليمن، وازدهرت وضعفت وسقطت[2]، بينما كتب لدولة الأئمة الزيدية الاستمرار، وصار «يخطب له (الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين) بالإمامة على المنابر، وأمر فكتب اسمه على النقد والطراز، وولي المخاليف، وجباية الأعشار والزكاة والجزية، وولي القضاء محمد بن أحمد بن زريق الأعم مولى بني العباس فحكم بمذهبه[3]. وهذا النص على ما به من إيجاز شديد يعدد الترتيبات والتنظيمات الإدارية والمالية التي وضعها الإمام الهادي لإدارة الدولة، وكانت كتابة اسمه على النقد أو السكة في هذا النص هي أول إشارة لوجود أول دار لسك النقود الزيدية في اليمن، ولا شك أن إنشاء هذه الدار كان لحاجة ملحة تتعلق بضبط أوزان النقود، وتحقيق سلامتها من الغش وللمحافظة على موارد الدولة ومدخولاتها، من الزكاة والأعشار والجزية، والصدقات، فلم يكن منطقياً أن يقيم الهادي دولة يعتمد فيها على سكة بني زياد، أوسكة آل يعفر، أو علي بن الفضل، أو حتى سكة العباسيين.

واشتهرت في عهد الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين داران للضرب، إحداهما في صعده عاصمة الدولة، والأخرى في صنعاء، الأولى ظلت تضرب النقود الزيدية في عصور متتابعة للأئمة الزيدية، أما دار الضرب الموجودة في صنعاء، فكانت تضرب النقود باسم الأئمة الزيدية، في الفترات التي يستولي فيها هؤلاء الأئمة على مقاليد الحكم في

---

(١) د. العش: المسكوكات في الحضارة العربية الإسلامية، ص ٢٥. وقد أسقط عمران من على الدينار الزريعي الألقاب التي منحتها الخلافة الفاطمية لوالده، انظر: Bates. M., op. cit, p. 166.

(٢) هناك أسر وقبائل حكمت بعض المدن والجهات في اليمن، وسيطرت في بعض الأحيان على مدن فيها دور للضرب كصنعاء وزبيد، وقد تكون هذه الأسر وتلك القبائل ضربت سكة باسم حكامها، ولذلك تبرز أهمية تتبع الموجود من قطع العملة في المتحف الوطني بصنعاء، وما تقتنيه هيئة الآثار اليمنية، وبعض المجموعات الخاصة عند بعض الشخصيات اليمنية، لدراسته وإضافته إلى سجل الحضارة العربية الإسلامية، وقد رأيت كثيراً من هذه القطع المثيرة التي تحتاج إلى جهود فريق متكامل من الباحثين لإنجاز دراستها.

(٣) علي بن محمد العلوي: سيرة الهادي إلى الحق، ص ١٨.

صنعاء، ومن هذه النقود التي عثر عليها مضروبة في صنعاء وصعده زمن الهادي إلى الحق ديناران[1].

الأول: دينار الهادي إلى الحق أمير المؤمنين ابن رسول الله - ضرب بصنعاء سنة (٢٩٣هـ).

والثاني: دينار الهادي إلى الحق ضرب بصعده سنة (٢٩٨هـ).

وعثر أيضاً على دينار زيدي يحمل اسم الداعي إلى الحق أمير المؤمنين يوسف ابن رسول الله - ضرب بصنعاء سنة(٣٧٠هـ)، وهذا الدينار وحيد في العالم، وهو محفوظ في متحف قطر الوطني[2].

ومضى أئمة الزيدية بعد ذلك يضربون سكتهم بصفة أساسية في عاصمتهم صعدة، وقد يضربونها في صنعاء إذا امتد نفوذهم إليها، ويبدو أن السبب في صعوبة تعرفنا على بعض قطع العملة المضروبة في هذه العهود، يرجع إلى أن قطع العملة سواء من الدنانير الذهبية أو الدراهم الفضية كانت تجمع من عهود سابقة ليعاد ضربها من جديد حاملة نقوشاً أخرى تشير إلى الفترة الجديدة التي ضربت فيها، كما أنها في كثير من الأحيان كانت تخضع لتعديلات كبيرة في وزنها وعيارها بما يتلائم والأوضاع الاقتصادية في البلاد، ويبدو أيضاً أن خضوع اليمن إلى قوى سياسية ومذهبية مختلفة في آن واحد، وتعدد مناطق نفوذ هذه القوى، وتعدد العملات المستعملة في كل منطقة من هذه المناطق سمح في بعض الأوقات لهذه القوى أن تجذب عملة القوى الأخرى ذات الأوزان العالية والعيار الخالص، وتعيد سكها مرة أخرى بما يتناسب ومصالحها الاقتصادية والسياسية.

وأمام هذه الندرة لقطع العملة المضروبة في هذه العصور، ليس أمامنا إلا أن نبحث في بطون الكتب عما يكون قد رصده المؤرخون من أحاديث عن سكة هذه العهود، ولكننا نجد في هذه المصادر صمتاً مطبقاً حتى نلتقي بتباشير معلومات عن دار السكة الجديدة التي أنشأها الإمام عبد الله بن حمزة في صعده خلال السنة الأولى من القرن

---

(١) د. العش: المسكوكات في الحضارة العربية الإسلامية، ص ٢٤.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة، (وهو الإمام الداعي إلى الله يوسف بن الإمام المنصور يحيى بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الحسني اليمني الصعدي، أعلن دعوته سنة (٣٦٨هـ) بمدينة رَيْدَة البَوْن على مسافة مرحلتين شمالاً من صنعاء، وامتدت منطقة نفوذه ما بين رَيْدَة وصنعاء، وظل كذلك حتى توفي سنة (٤٠٣هـ)، زبارة أئمة اليمن، ص ٧١ـ ٧٥).

السابع الهجري[1]. ويبدو أن حالة الضعف التي منيت بها دولة الأئمة الزيدية الأولى والتي استمرت منذ سنة (٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م) وحتى ظهور شخصية الإمام عبد الله بن حمزة في سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)[2]، لم تسمح حالة الضعف هذه بالاهتمام بسك عملة زيدية، وإنما دأب الزيدية على استخدام العملات الأخرى السائدة في اليمن في هذه الفترة. والحقيقة أن شخصية الإمام عبد الله بن حمزة المتميزة والتي عاشت في عصر مليئ بالصراعات الضخمة، دفعته إلى أن تأخذ الدولة الزيدية في عهده شخصيتها ومكانتها بين سائر القوى المتصارعة في اليمن، وكانت السكة الزيدية إحدى العلامات المميزة لعهد عبد الله بن حمزة.

عبد الله بن حمزة في عصره

تعرضت الإمامة الزيدية إلى حالة من الضعف خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري، وما كاد هذا القرن ينتصف حتى لم تعد هناك شخصية قوية تتولى زمام الأمور في دولة الأئمة الزيدية، فبعد مقتل الإمام الناصر أبو الفتح الديلمي على يد علي بن محمد الصليحي سنة (٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م)[3] وقيام دولة الصليحيين، ظهرت بعض الشخصيات الزيدية، ولكنها لم تجروء على إعلان الإمامة خوفاً من الصليحيين، ولذلك اختارت هذه الشخصيات لنفسها لقباً آخر غير لقب الإمامة وهو لقب المحتسب والاحتساب عند الزيدية درجة سابقة على الإمامة، فقد يتولى الرجل الاحتساب ولا يدعو إلى الإمامة[4] من الناحية العملية، ويبدو أن هذا اللقب ارتبط كثيراً بمهمة الإشراف

---

(١) يحيى بن الحسين، أنباء أبناء الزمن، مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء رقم ٧٧ تاريخ وتراجم، ص ١٦.

(٢) زبارة: أئمة اليمن، ص ١٠٨، (ولد الإمام عبد الله بن حمزة في سنة (٥٦١)، بجبل عَيْشَان من ظاهر بلاد هَمْدان، ينتهي نسبه إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) تتلمذ على أبيه حمزة بن سليمان، وعلى شيوخ عصره من علماء الزيدية من أمثال الشيخ الحسن بن محمد الرصاص، والشيخ علي بن أحمد الأكوع، والشيخ أحمد بن الحسن بن المبارك، كذلك روى صحيح البخاري، واهتم بقراءة كتب الحديث والتفسير والعلوم الإسلامية والشعر، وله مصنفات في فنون العلم المختلفة تزيد على الأربعين مصنفاً، المرجع السابق، ص ١٠٨، ١٠٩).

(٣) زبارة: أئمة اليمن، ص ٩٣، محمد بن إسماعيل الكبسي: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، ص ٣١.

(٤) العرشي: بلوغ المرام، ص ٤٢٠.

على أحوال المذهب الزيدي من الناحية الفكرية وحل بعض المشاكل المحلية، دون أن يكون لهذا اللقب أية دلالة على كيان سياسي للزيدية، ومن هذه الشخصيات الزيدية التي قامت بمهمة الاحتساب الإمام المحتسب حمزة بن أبي هاشم، الذي لم يفلت هو الآخر من المصير المحتوم، وهو القتل على أيدي الصليحيين، فقتل في بلاد أرحب في سنة (٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م)،[١] وظل أمر الزيدية يمضي هكذا حتى سقطت الدولة الصليحية، فبوفاة السيدة أروى سنة (٥٣٢هـ/ ١١٣٧م)[٢] قام الإمام أحمد بن سليمان بمحاولة لإحياء الإمامة الزيدية من جديد، ولكن هذه المحاولة لم تصادف نجاحاً، وانتهت بأسره على يد الأشراف القاسميين - وهم فرع من الزيدية - سنة (٥٦٥هـ/ ١١٦٩م)[٣]، وكف بصره بعد الأسر وتوفي سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م)[٤]، ومرت الإمامة الزيدية بفترة من الشغور السياسي، فكانت مذهباً منتشراً بين الناس بلا إمامة، وعاش الزيدية هذه الفترة في ظل العوامل القبلية، حيث كانت كل قبيلة من القبائل التي ينتشر فيها المذهب الزيدي تدبر شؤونها بنفسها دون سلطة عليا من إمام أو محتسب، ولم تكن الأوضاع في بقية بلاد اليمن أحسن حالاً من مواطن التجمعات القبلية الزيدية فيروي زبارة نقلاً عن أنباء الزمن صورة الوضع السياسي لليمن في تلك الفترة فيقول: «افترق ملوك اليمن في تلك المدة، فكانت بلاد عدن وأبين وبلاد تعز إلى آل زريع بن العباسي بن المكرم الجشمي اليامي الهَمْداني، وبلاد ذمار ومخاليفها إلى سلاطين بلاد جَنْب ومشائخها، وصنعاء وأعمالها إلى بلاد الظاهر، وحدود بلاد الأهنوم إلى السلطان علي بن حاتم اليامي الهمداني، وبلاد الجوف وما إليها إلى السلاطين آل الدعام، وصعده وما إليها إلى الأشراف أولاد الإمام يحيى بن الحسين، وشهارة وبلادها إلى أولاد الإمام القاسم بن علي العياني، والجريب وما إليه من بلاد الشرف إلى أولاد عمرو بن شرحبيل الحجوري، وتهامة الشامية إلى حدود حرضى إلى الشريف وهاس بن غانم بن يحيى وهاس السليماني، وبلاد زبيد إلى حدود حرضى إلى عبد النبي بن

---

(١) زبارة: أئمة اليمن، ص ٩٣، ٩٤.

(٢) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ٢٩٥.

(٣) زبارة: أئمة اليمن، ص ٩٥، ١٠٦.

(٤) المصدر السابق، ص ١٠٦، ١٠٧، الكبسي: اللطائف السنية، ص ٥٣.

علي بن مهدي الرعيني الحجري[1].

ظل هذا هو الوضع السياسي للزيدية بصفة خاصة، ولليمن بصفة عامة، حتى إذا كانت سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م) أرسل الأيوبيون في مصر حملة إلى بلاد اليمن بقيادة تورانشاه أخي السلطان صلاح الدين الأيوبي[2]، استهدفت ضم اليمن إلى الجبهة العربية الإسلامية لمواجهة الخطر الصليبي، كما كان للحملة أهداف أخرى أهمها السيطرة على المداخل الجنوبية للعالم الإسلامي، والمحافظة على بقاء البحر الأحمر بحيرة إسلامية، لحماية الأراضي المقدسة في الحجاز، والمحافظة على المصالح الاقتصادية لمصر في هذه الجهات، وكذلك الحيلولة دون انضمام الحبشة المسيحية للحركة الصليبية[3]، وأخيراً القضاء على المذهب الإسماعيلي، والمذهب الزيدي، والمذهب الخارجي الذي كان يمثله عبد النبي بن مهدي في زبيد[4]، وإعادة اليمن إلى حظيرة الدولة العباسية سنية المذهب كما كانت قبل امتداد الفكر الزيدي، والنفوذ الفاطمي إليها.

وأيما كانت نوايا الأيوبيين في الاتجاه نحو اليمن، فقد نجح الأيوبيون في السيطرة على اليمن وتحقيق أهدافهم في إعادة المذهب السني إليها، ولكن بقي الزيدية يمثلون مشكلة كبرى حيث واجهوا الأيوبيين في صلابة وعناد بالغين، خاصة بعد ظهور شخصية

---

(١) زبارة: أئمة اليمن، ص ١٠٧، ١٠٨.

(٢) يحيى بن الحسين: غاية الأماني جـ ١، ص ٣٢١ ـ Stook 4, op. cit, p. 99.

(٣) د. محمد عبد العال أحمد: الأيوبيون في اليمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠، ص ٧٨، ٨٠.

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحات، وقد أجمل صلاح الدين الأيوبي أهدافه من الاتجاه نحو اليمن في رسالة بعث بها إلى الخليفة العباسي في ذلك الوقت، حيث أبرز في هذه الرسالة استيلاءه على قلعة أيلة التي استهدف الصليبيون من بنائها الاتجاه إلى الحرمين الشريفين، فقال للخليفة: «فكادت القبلة يُستولى على أصلها ومشاعر الله يسكنها غير أهلها، ومقام إبراهيم أن يقوم به من ناره غير برد وسلام، ومضجع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتطرقه من لا يدين بما جاء به الإسلام، فأخذت هذه القلعة وصارت معقلاً للجهاد». وعن عبد النبي بن مهدي الخارجي في زبيد قال: «وكان باليمن ما علم من أمر ابن مهدي الضال الملحد المبدع المتمرد وله آثار في الإسلام وثأر طالبه النبي، عليه الصلاة والسلام، فأنهضنا إليه أخانا (تورانشاه) وعن سيادة المذهب السني وامتداد النفوذ العباسي قال «والمراد الآن هو كل ما يقوي الدولة، ويؤكد الدعوة، ويجمع الأمة... ويفتح بقية البلاد، وأن يطبق بالاسم العباسي كل ما تطبقه العهاد». عن هذه النصوص انظر، أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق: د. محمد حلمي محمد أحمد، طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٩٧٢، الجزء الأول ـ القسم الثاني، ص ٦٢٠ ـ Arnold, T. W., The Caliphate Oxford , 1924, p, 85.

الإمام عبد الله بن حمزة، الذي أقامته الزيدية بأمر الاحتساب في منطقتي الجوف وصعده في سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م)[١].

وصادف ظهور عبد الله بن حمزة محتسباً، وجود السلطان طغتكين بن أيوب أخي صلاح الدين الأيوبي نائباً عنه في حكم اليمن، وقائداً أعلى للجيوش الأيوبية بها، وخلال الفترة من (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) وحتى سنة (٥٩٣هـ/ ١١٩٦م) تاريخ وفاة طغتكين بن أيوب، لم يتمكن عبد الله بن حمزة حتى بالاحتفاظ بالمناطق التي أعلن نفسه محتسباً فيها، حيث اجتاحت جيوش طغتكين منطقة الجوف، واستولت على صعدة سنة (٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) بعد معارك ضارية بين الزيدية وجيوش طغتكين بن أيوب عند قرية شَوْحطين[٢].

وخلال عام (٥٩٣هـ/ ١١٩٦م) جرت مراسلات سرية بين الإمام عبد الله بن حمزة وبين السلطان علي بن حاتم، الذي كان هو وأخوه بشر بن حاتم حاكمين لصنعاء[٣]، وفق معاهدة صلح بينهما وبين الملك العزيز طغتكين بن أيوب، يقدم على أساسها السلطان علي بن حاتم إلى طغتكين بن أيوب ثمانين ألف دينار حاتمية ومائة حصان[٤]. وكانت هذه المعاهدة تتجدد سنوياً بحسب رغبة الطرفين في ذلك، وفي مقابل ذلك يحكم علي بن حاتم ما تحت يديه من البلاد بما فيها صنعاء عاصمة دولة بني حاتم في ذلك الوقت[٥]. وبمرور الوقت قوي نفوذ بني حاتم، ونشبت الحروب بين الطرفين،

---

(١) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ١، ص٣٢٩، يحيى بن الحسين: أنباء أبناء الزمن، مخطوط، ص٥٥.

(٢) بدر الدين محمد بن حاتم اليامي: السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز في اليمن، تحقيق: ركس سميث، كمبردج ١٩٧٣، ص ٣٨. يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ٣٣٤، ٣٣٥، شَوْحطين: شواحط حصن باليمن من ناحية الجنبية في السحول فوق وادي الجنات، وتقع في سفحه الشمالي الشرقي قرية الملحمة، الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جـ ٢، ص ٤٥٨ Stooky, op. cit, p. 99.

(٣) بدر الدين اليامي: السمط الغالي الثمن، ص ٤١، وبنو حاتم هؤلاء كانوا حكاماً لصنعاء ومخاليفها حين قدوم الحملة الأيوبية على اليمن بقيادة تورانشاه، وأمضى بنو حاتم معظم أيام حكمهم يتمتعون بالسيادة على صنعاء في نظير مبالغ من المال وأشياء أخرى كانت تقدم إلى ملوك الأيوبيين وسلاطينهم في اليمن، المصدر السابق، نفس الصفحة، ابن الديبع: قرة العيون، جـ ١، ص ٣٨٩، ٣٩٢، ص .

(٤) المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٨٩، بدر الدين اليامي: السمط الغالي الثمن، ص ٢٧.

(٥) المصدر السابق، نفس الصفحة.

وانتهت هذه الحروب بصلح آخر، اتفق فيه على أن يقدم السلطان علي بن حاتم إلى طغتكين «خمسمائة دينار وخمسمائة كيلجة شهرياً على سبيل الجامكية»[1]. ويبدو أن علي بن حاتم علم شيئاً عن تغير أحوال طغتكين بن أيوب، فقطع هذه الجامكية. ولم يشر صاحب السمط الغالي الثمن إلى نوعية هذا التغير، هل هو تغيير في صحة طغتكين، أم هو تغير في موقفه السياسي العسكري[2].

على أية حال، كانت الخطوة التالية لهذه الأحداث هي قيام علي بن حاتم بإرسال أخيه السلطان بشر بن حاتم في ثلاثين فارساً سراً إلى الإمام عبد الله بن حمزة، وكان الإمام عبد الله في ذلك الوقت مقيماً في الجوف في موضع يسمى معيناً، فلقيه الإمام عبد الله بن حمزة «وأكرمه ومن معه، وأقاموا عنده ثلاثة أيام، ثم سألهم بعد ذلك عن سبب مجيئهم، فعرفه السلطان بشر ذلك، وسأل منه النصرة والقيام، فأجاب وبث الدعوة في جميع الآفاق، وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة، وهي آخر سنة من دولة العزيز (طغتكين)، فتوفي الملك العزيز ولم يظهر أمر الإمام ظهوراً علم به»[3] وهذا يعني أن هذا الاتفاق ظل سراً حتى وفاة الملك طغتكين.

أعلن الإمام عبد الله بن حمزة دعوته الثانية، ووجه إلى أهل اليمن رسالة الدعوة العامة[4]، فأقبل الناس على بيعته، واجتمع إليه أعيان علماء الزيدية، وشيوخهم، وبعث إليه الأشراف والسلاطين من كل جهة يطلبون وصوله إليهم لما يرجونه من الفرج على يديه مع ما هم فيه من سوء معاملة الدولة الأيوبية لهم[5].

---

(١) المصدر السابق، ص ٤١، ابن الديبع: قرة العيون، جـ ١، ص ٣٩٥.

(٢) بدر الدين اليامي: السمط الغالي الثمن، ص ٤١.

(٣) المرجع السابق، ص ٤١، ٤٢.

(٤) عن هذه الرسالة انظر، مجموع ٤٥، مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، الورقة من ٣ـ ٧، ونشرها د. عبد الغني عبد العاطي: من رسائل الإمام عبد الله بن حمزة، دراسة في العلاقات الزيدية الأيوبية، مطبعة الأشغال التجارية ١٩٨٦، ص ٥ـ ١٤، ومما جاء في هذه الرسالة الهامة قوله: «من عبد الله المنصور بالله بن حمزة بن سليمان بن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وآله إلى كافة من بلغ إليه كتابنا هذا من الشرفاء والمسلمين، وأطل عليه من جميع العاملين في أقاصي الأرض وأدانيها سلام عليكم... فإني لما رأيت الأحكام قد بدلت والشرائع قد أهملت، والحدود قد عطلت... ورأيت فرض القيام قد تعين عليّ بأوضح البرهان ولزمني بأبين البيان، إذ نحن (آل البيت) أمناء الله على عباده وخلفاؤه في بلاده... فمن أجاب دعوتنا هذه القويمة، وكلمتنا هذه المستقيمة رجونا أن يلقى جدنا=

صادف الإمام عبد الله بن حمزة هذه المرة نجاحاً منقطع النظير، ومما ساعده على ذلك، تحالف بني حاتم معه - كما ذكرنا - وضعف موقف الملك المعز إسماعيل بن طغتكين، الذي لم يكن من طراز أبيه أو أعمامه، وإنما كان كما وصفه بعض المؤرخين مختل العقل، حتى إنه ادعى النبوة[(١)]، بل قيل إنه ادعى الربوبية نصف نهار، وكان يأمر كاتبه الذي كان من الإسماعيلية - أن تُصَدَّرَ مراسلاته بقوله: «صدرت هذه المكاتبة عن مقر الإلهية»[(٢)] ولكنه خاف من الثورة عليه والقتل، فعدل عن ذلك إلى ادعاء الخلافة، ولقب نفسه الإمام الهادي بنور الله المعز لدين الله، وجعل شعاره الخضرة، ونسب نفسه إلى بني أمية، وقطع الخطبة لبني العباس، ولبس ثوب الخلافة، وخلع على نفسه ألقاباً كثيرة، ذكرها صاحب السمط الغالي الثمن منها «إمام الأئمة، وكاشف الغمة، وعاليَّ الهمة، المفترض الطاعة على كافة الأمة، المستخرج من السلالة الطاهرة النبوية، وفرع الشجرة الإمامية الأموية، المعز، الناصر، العزيز، القاهر، الرحيم، القادر الحليم، الذاكر، سيد الموحدين، الحاكم بكتاب الله وسنن رسول الله، الهادي إلى الحق بأمر الله أمير المؤمنين المعز إسماعيل بن طغتكين بن شادي بن مروان الأموي، خليفة رب العالمين صلوات الله عليه وبركاته[(٣)].

كان لهذه الأمور ردود فعل عنيفة على المستوى الشعبي في اليمن، استفاد منها الإمام عبد الله بن حمزة، فكثر مؤيدوه وأتباعه، علاوة على ذلك فقد كانت علاقة الملك المعز بقادة الجيش الأيوبي علاقة بالغة السوء، حيث تشير روايات المؤرخين إلى اضطهاده لأتباعه من قادة الجند، فبدأ المعز سلطنته في اليمن بقتل القاضي الأسعد عامل

---

(١)= صلوات الله عليه وآله، ويكون له شفيعاً لكونه لنا مطيعاً، ولا تتخلفوا عن عترة نبيكم، فإنهم أدلتكم إلى الخير وقادتكم إلى الجنة».

(٢) زبارة: أئمة اليمن، ص ١١٤.

(٣) د. محمد عبد العال أحمد: الأيوبين في اليمن، ص ١٥٥.

(٤) المرجع السابق، ويروي الخزرجي والكبسي: أن المعز نفسه خرج عن مذهب أهل السنة واعتنق مذهب الباطنية، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٧١، الكبسي: اللطائف السنية، ص ٦١، ٦٨.

المقريزي: السلوك، تحقيق: د. محمد مصطفى زيادة، ط ١٩٥٦، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج ١، ص ١٦٠.

(٥) بدر الدين اليامي: السمط الغالي الثمن، ٧١.

أبيه على مدينة حرض لمجرد أنه لم يحسن استقباله عند وصوله إلى حرض في طريقه إلى مصر قبل أن يتولى السلطنة[١]. وقتل نائب أبيه على صنعاء الهمام أبو زبا دون سبب يذكر[٢]. ويروى أن الأتابك سيف الدين سنقر، دخل عليه يوماً، فلما رآه المعز قال له: «ماأحسن أضلاعك هذه شواء[٣]» فشك سنقر أنه يريد أن يذبحه، فخرج هارباً ولم يعد إليه، وأشيع عنه أنه مولع بذبح بني آدم وأكلهم، وانتشر هذا الخبر فخافه الجند وهرب عدد كبير منهم[٤]. يضاف إلى ذلك كله أنه كان بخيلاً شحيحاً على رجاله وجنده، بينما ينفق بسخاء وبذخ على أهل اللهو في دولته[٥].

استغل الإمام عبد اللّه بن حمزة هذه الأوضاع في تدعيم مركزه وقوته في اليمن، فأغرى عدداً من كبار القادة العسكريين الأيوبيين الخائفين من بطش المعز بهم، بالانضمام إليه، وجاءت هذه السياسة بنتائج مثمرة، فانضم إليه من هؤلاء القادة سيف الدين حكو بن محمد الكردي، الذي وثق فيه الإمام ثقة كبرى، وجعله قائداً عاماً على أجناده، وألزمهم بطاعته وتنفيذ أوامره، ولقبه بالسلطان[٦]. وانضم إلى الإمام بعد ذلك عدد آخر من القادة منهم هشام الكردي، وشمس الخواص، وهلدري بن أحمد المرواني[٧]، وشرع بعضهم في الانضمام إلى الإمام، ولكن الظروف حالت دون ذلك، ومن هؤلاء، علم الدين ورد سار، والأتابك سيف الدين سنقر[٨]. عاون هؤلاء القادة ومن معهم من الجند الإمام عبد اللّه بن حمزة في تحقيق انتصارات كثيرة على الملك المعز بن طغتكين حتى امتد نفوذ الإمام عبد اللّه على المناطق الممتدة ما بين صعدة وصنعاء، وكانت صنعاء هدفاً كبيراً تصارع عليه الإمام عبد اللّه بن حمزة والسلطان الناصر أيوب بن طغتكين، الذي خلف أخاه الملك المعز على السلطنة في اليمن بعد مقتل الملك المعز سنة

---

(١) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٧٢، الكبسي: اللطائف السنية ص ٦١.
(٢) بدر الدين اليامي: السمط الغالي الثمن، ص ٤٥، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٧٢.
(٣) المصدر السابق، ص ١٧٣، العرشي: بلوغ المرام، ص ٤١.
(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٥) ابن الديبع: قرة العيون، جـ ١، ص ٤٠٣.
(٦) زبارة: أئمة اليمن، ص ١١٥، الكبسي: اللطائف السنية، ص ٦٣، بدر الدين اليامي: السمط الغالي الثمن، ص ٤٨.
(٧) المصدر السابق، ص ٤٩، ٥٠، زبارة أئمة اليمن، ص ١١٦.
(٨) المصدر السابق، ص ١٢٣، الكبسي: اللطائف السنية، ص ٦٥.

(٥٩٨هـ/ ١٢٠١م)[1] واستمر الصراع بين الطرفين حتى عقد الطرفان في سنة(٦٠١هـ/ ١٢٠٤م) هدنة مدتها سنتان وعشرة أيام وعشر ساعات تبدأ من منتصف المحرم سنة (٦٠١هـ/ ١٢٠٤م)[2].

كانت سنة (٦٠١هـ/ ١٢٠٤م) تمثل فترة هدوء شاملة في الدولة الزيدية باليمن، تفرغ فيها الإمام عبد الله بن حمزة إلى الاهتمام بالنواحي الإدارية في دولته، وتوجه نظر الإمام في هذه الآونة إلى إنشاء دار لضرب السكة في مدينة صَعْدة[3]، ومما تجدر ملاحظته هنا أن الإمام عبد الله بن حمزة رأى أنه الإمام المفترض الطاعة على كافة المسلمين في سائر جهات الأرض، وأن إمامته ليست مقصورة على بلاد اليمن فقط، ومن ثم أرسل دعواته إلى جهات كثيرة يشرح لحكامها أحقيته في الإمامة، وضرورة مبايعته بها، وذكرت المصادر بعضاً من هذه الدعوات فراسل الملك العادل الأيوبي وكان مما قاله له: «فمن أجاب دعوتنا وكثَّر جماعتنا سعد في آخرته ودنياه وفاز مع الفائزين. . . .» وقد دعوناك فيمن دعينا من العالمين، ورضيناك برضى الله سبحانه سلطاناً للمسلمين لما بلغنا من حسن سيرتك وطيب سريرتك، وأطلقنا اسمك على المنابر، فارض بنا أئمة إذ رضيناك سلطاناً[4].

كما أرسل دعوة إلى أمير مكة الشريف قتادة بن أدريس الحسني، ومعها قصيدة منها[5]:

إلى السادات من سلفي علي لباب اللب من سلفي نزار

---

(١) بدر الدرين اليامي: السمط الغالي الثمن، ص ٨٢، ٨٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٤ـ ١١٧. انظر نص اتفاق الصلح بين الطرفين في نفس الصفحات.

(٣) مجهول: سيرة الإمام عبد الله بن حمزة، مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، جـ ٣، ورقة ٦٠ ب.

(٤) انظر الرسالة في مجموع ٤٥، مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، ورقة ١٧، ١٨، د. عبد الغني عبد العاطي، من رسائل الإمام عبد الله بن حمزة، ص ٤٠، ٤٣.

(٥) زبارة: أئمة اليمن، ص ١٢٢، ١٢٣، امتد نفوذ الإمام عبد الله بن حمزة إلى مكة والحجاز، حيث وفد عليه شريف حسني يقال له يعقوب ابن الولي يقرئ القرآن الكريم على السبعة، فقرأ عليه جماعة من أصحاب الإمام، وعندما أراد العودة «أعطاه الإمام مائتي درهم يتوصل بها إلى مكة، وأمر المتولي قبض ما يحصل لبيت المال من هناك ومن الحجاز مما يبيت الأشراف بمثل ذلك وبخلعة سنية فقبَّضه» أنظر سيرة الإمام عبد الله بن حمزة، جـ ٣، ورقة ١٤ أ، ب.

بني حسن نداء من إمام ينـاديكم على نائي المزار
وما يوم القيام نظرت منكم مؤازرة وهل طال انتظاري
بني حسن أعيروني نهاراً من الأعمار كم جد النهار

وحول اتساع دعوة الإمام عبد اللّه بن حمزة يروي الخزرجي في مؤلفه طراز أعلام الزمن أنها اتصلت بالحجاز: «فقام بها السيد قتادة بن إدريس صاحب مكة ـ وهو المذكور آنفاً ـ أتم قيام، ووجبت له زكوات الحجاز وأعشاره، وأنفذ دعوته إلى الجبل والديلم، والري، فبايعهم الزيدية بها وارتفع صيته في الدنيا، وخافه العباسيون في بغداد، وكتب بدعوته إلى خوارزم شاه صاحب خراسان، فتلقاها بالحسن والتلقي، وأعطى الشريف القادم بها مالاً جزيلاً، وجاءته كتب الملك الظاهر غازي بن الملك الناصريوسف بن أيوب صاحب حلب يدعوه إلى دخول العراق، ويبذل نفسه للقيام في خدمته[1].

ولم يتردد الإمام عبد اللّه بن حمزة في الكتابة إلى الخليفة العباسي نفسه، فكتب إلى الخيفة العباسي الناصر لدين الله أحمد بن المستضئ بأمر الله (٥٧٥هـ/ ١١٧٩)[2] ـ (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)[3] وكان مما قاله مخاطباً أهل بغداد والخليفة[4]:

يا أهل بغداد إن الله سائلكم عن ملة الدين إذ ألحدتموا فيها
أنتم عيون بني الأيام قاطبة في الغائبات، ولكن القذا فيها
إن الخلافة أمر هائل خطر صعب ملاكتها، صعب مراقيها
لو كان ما أنتموا فيه على سنن قام المريض إلى المرضى يداويها

على هذا كانت دار الضرب تمثل ضرورة ملحة كي يستكمل الإمام عبد اللّه بن حمزة، كل مظاهر السيادة على من يعتقدون في إمامته، إذ السكة من أهم شارات الملك، ومن ناحية أخرى، حتى تصبح للإمامة الزيدية سكتها الخاصة بها، التي يسهل استخدامها في تحقيق المشاريع السياسية الكبرى التي كان يطمع الإمام عبد اللّه بن حمزة إلى تحقيقها، علاوة على ضبط أحوال دولته من الناحية الاقتصادية دون الاعتماد على أي

(١) الخزرجي: طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن، مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء رقم ٤٣، ٤٤ تاريخ، جـ ٢، ص ١٨١، ١٨٢.
(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٤٤٨.
(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ. طبعة بيروت ج ١٢، ص ٤٣٨.
(٤) الكبسي: اللطائف السنية، ص ٧٣، ٧٤، زبارة: أئمة اليمن، ص ١٣٩.

نوع آخر من المسكوكات المتداولة في اليمن.

وكما روى صاحب سيرة الإمام عبد الله بن حمزة، الذي اهتم بالأحداث والملابسات التاريخية حول دار ضرب السكة في عهد هذا الإمام، فإن العمل في هذه الدار بدأ في «ذي الحجة آخر شهور سنة إحدى وستمائة[1]» وحدد هذا المؤرخ الأسباب المالية والاقتصادية التي دعت إلى إنشائها، فقد «نظر الإمام عليه السلام في أمور المسلمين وما يقع عليهم من النقص في أموالهم، والتفاوت في نقودهم، وكان دينارهم يومئذ السبائي الذي ضرب في دولة علي بن محمد الصليحي، ودرهمهم ضرب الغز، وهما جميعاً مشوبان بالنحاس، وكان الدينار أكثر ما في أيدي الناس، فمنه ما هو جائز في وقت لتراضيهم به، ثم يأتي وقت آخر فينقصون من قيمته قدر النصف والثلث والربع، فما بين ذلك[2]».

وما سبق يشير إلى أن العملة المستخدمة هي الدينار الصليحي، والدرهم الأيوبي، والمصادر التاريخية تشير إلى نقود أخرى كانت مستعملة في ذلك الوقت أيضاً، فاستعمل أهل اليمن الدينار الملكي وهو الدينار الذي ضربه الأيوبيون الغز في اليمن، كما كان هناك الدينار الحاتمي الذي سكه بنو حاتم في صنعاء، ومعاهدات الصلح المبرمة في هذه الفترة بين الأطراف الثلاثة المتصارعة في اليمن، الأيوبيون، وبنو حاتم والزيدية، تتضمن نصوصاً دفعت بمقتضاها مبالغ معينة بهذه الدنانير[3].

كما يشير النص السابق إلى أن هذه السكة لم تكن خالصة، فالنحاس يدخلها مما يقلل من قيمتها، علاوة على أنها تعرضت بقصد أو بدون قصد إلى التأكل بقرض بعض أجزاء منها أو حكّه، وهذه الأمور أدت في النهاية إلى انخفاض أسعار هذه العملات إلى النصف أو الثلث أو الربع. وهذا فيه إضرار بمدخولات الدولة وعائداتها، وفيه غبن للمتعاملين بها في الأسواق حيث ترتفع قيم الأشياء وأسعارها، مما يشكل عبئاً قاسياً على مواطني الدولة[4].

---

(١) مجهول: سيرة الإمام عبد الله بن حمزة، جـ ٣، ورقة ٦٠ ب.

(٢) المصدر السابق، نفس الورقة.

(٣) بدر الدين اليامي: السمط الغالي الثمن، ص ٢٩، ٣٧، ٤١، الكبسي. اللطائف السنية، ٥٦، ابن الديبع: قرة العيون، جـ ١، ص ٣٩٥.

(٤) يقول صاحب سيرة الإمام في هذا الشأن «حدث في الجائز (الدينار والدرهم المستعمل في ذلك الوقت) ثلمة لطيفة (كسر أو قرض أو ثقب صغير) ممالا قيمة له، أو حك انتقص هذا القدر المذكور على الزيادة والنقصان، وذهب فيه أموال المسلمين» أنظر سيرة الإمام عبد الله بن حمزة، جـ ٣، ورقة ٦١ أ.

أسند الإمام عبد الله بن حمزة إلى أخيه الأمير عماد الدين بن حمزة، مهمة الإشراف على إعداد دار الضرب، وتجهيز المعدات اللازمة لها، وتهيئة أسباب العمل فيها، ويحكي صاحب السيرة أن الأمير يحيى قام بمحاولات تجريبية، وخلال هذه المحاولة تم ضرب بعض القطع التي نقلها الأمير يحيى بن حمزة إلى الجوف حيث أنفقها هناك[١].

وجاء طراز العملة الزيدية التي ضربت في هذه الآونة جديداً في شكله، ومظهره مختلفاً عن سائر السكة التي ضربت قبل ذلك في اليمن، ويروى في ذلك أن الإمام عبد الله بن حمزة نفسه هو الذي قام بوضع اللمسات الأولى لشكل قطعة العملة المضروبة، فقد كان: «يريد أن يكون نقش السكة مخالفاً لسائر النقوش، فرسم وهو بصعدة رسماً في ورقة بيده المباركة وجعله مثلثين يقطع بعضهما بعضاً، وقال للنقاش هل يمكن أن يكون نقش السكة على هذا التقدير؟ لظنه أنه لا يتسع (وجه أو ظهر الدرهم) للكتابة، وأجمع الحاضرون على ذلك... واجتمع رأي الكل ممن حضر على الطبع عليها ومحو السكة الأولى[٢]» وهي المحاولة الأولى التي قام بها الأمير يحيى بن حمزة وكانت السكة فيها مربعة الشكل[٣].

بدأت دار الضرب بعد ذلك في العمل المنتظم، تحت إدارة الشيخ علي بن حسن الصعدي، وكان «صاحب دين رصين وأمانة وثقة[٤]»، وأول ما أصدرته الدار هو الدرهم الذي ذكرناه، وهو الذي اشتهر في اليمن باسم الدرهم المنصوري، وكان وزنه نصف درهم قفله، وثمن قفلة[٥] وكما ذكرت سابقاً، فقد عثرت على درهمين من هذه الدراهم المنصورية في المتحف الوطني بصنعاء، تنفرد هذه الدراسة بنشرهما لأول مرة، وكلا الدرهمين مضروب في مدينة صعدة. وكانت صعدة ـ كما علمنا ـ مركزاً قديماً لسك العملة الزيدية، ومن ثم تمتعت هذه المدينة بخبرات واسعة في مجال ضرب السكة، وهذا ما يعكسه شكل العملة والدقة المتناهية في ضربها.

---

(١) المصدر السابق، نفس الورقة.

(٢) مجهول: سيرة الإمام عبد الله بن حمزة، ج ٣، ورقة ٦١ أ.

(٣) المصدر السابق، نفس الورقة.

(٤) المصدر السابق، نفس الورقة.

(٥) المصدر السابق، نفس الورقة، يحيى بن الحسين: أنباء أبناء الزمن، مخطوط، صفحة ٦٦، زبارة: أئمة اليمن، ص ١٣٠، (والقفلة، قال ابن دريد: قفلة أي وازن) وقال الأزهري: هذا من كلام أهل اليمن، ومعنى وازن ثقيل له وزن، فهو تام لا نقص فيه ولا زيف، ويقال لها التام الميالة الوازنة. انظر الكرملي: النقود العربية، طبعة بيروت هامش ص ٤٧، ص ١٤٤، ص ١٥١، ١٦٢.

الدرهم الأول: اللوحة (١)

الوزن ١,٧٥ جرام القطر ٢٥ مم

الوجه: المركز: بسم الله الرحمٰن الرحيم

لا إله إلا الله محمد رسول الله

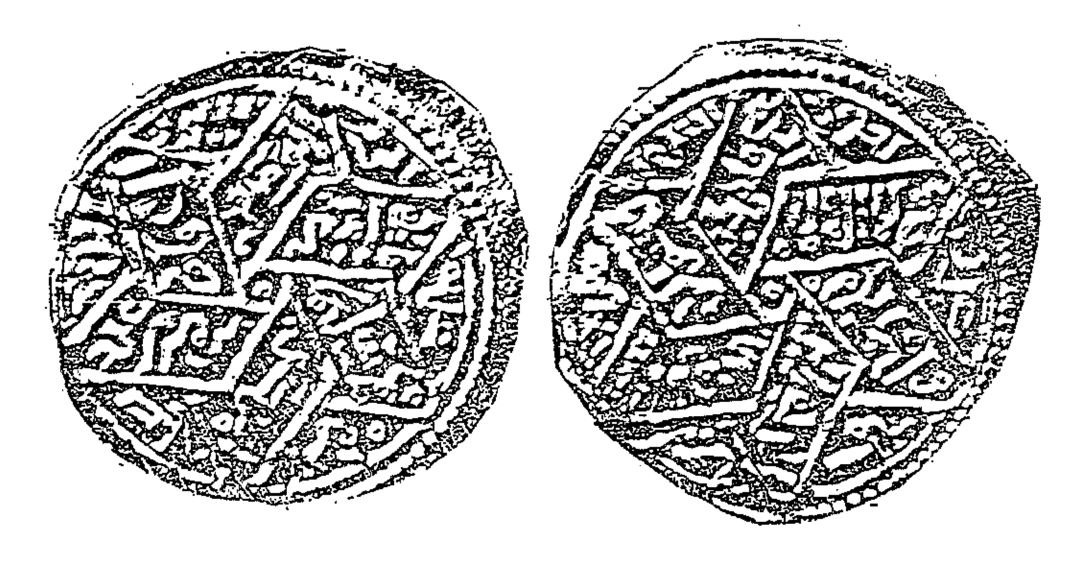
عليٌ ولي الله

الهامش: ضرب بصعده سنة عشر وأربع وستمائة.

الظهر: المركز: الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين

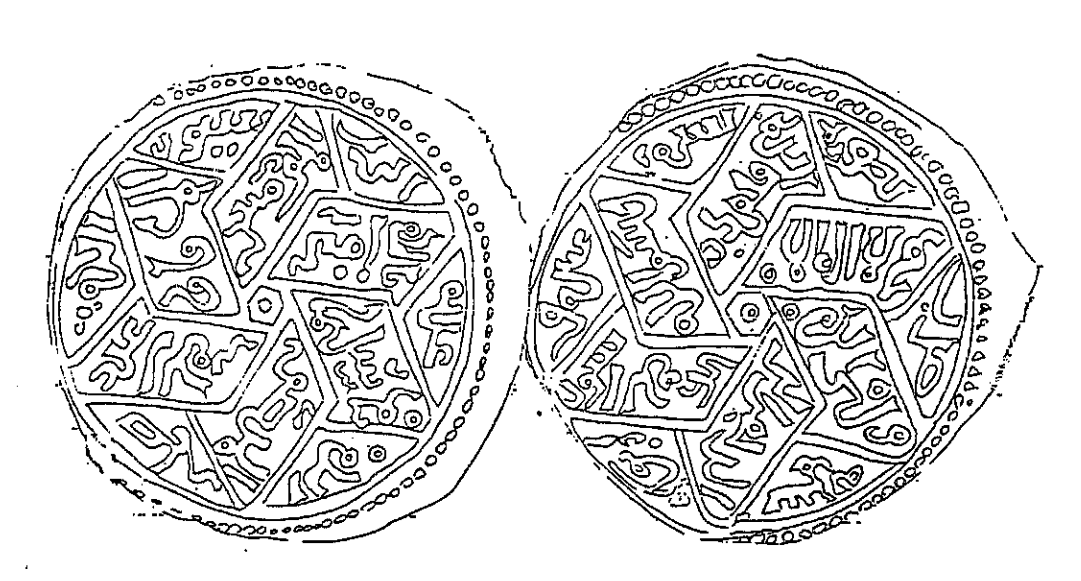
عبد اللّه بن حمزة بن سليمان.

الهامش: ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم



اللوحة (١) الدرهم المنصوري

للإمام عبد اللّه بن حمزة ـ المتحف الوطني بصنعاء.



اللوحة (١) رسم توضيحي لنقوش الدرهم المنصوري

للإمام عبد اللّه بن حمزة ـ المتحف الوطني بصنعاء

يعود تاريخ هذا الدرهم إلى السنة الأخيرة من عهد الإمام عبد اللّه بن حمزة، وهو يحمل المأثورة الشيعية المعروفة «علي ولي الله».

الدرهم الثاني: اللوحة (٢):

الوزن ١,٧٥ جرام   القطر ٢٣ مم

الوجه: المركز: بسم الله الرحمٰن الرحيم

لا إله إلا الله محمد رسول الله

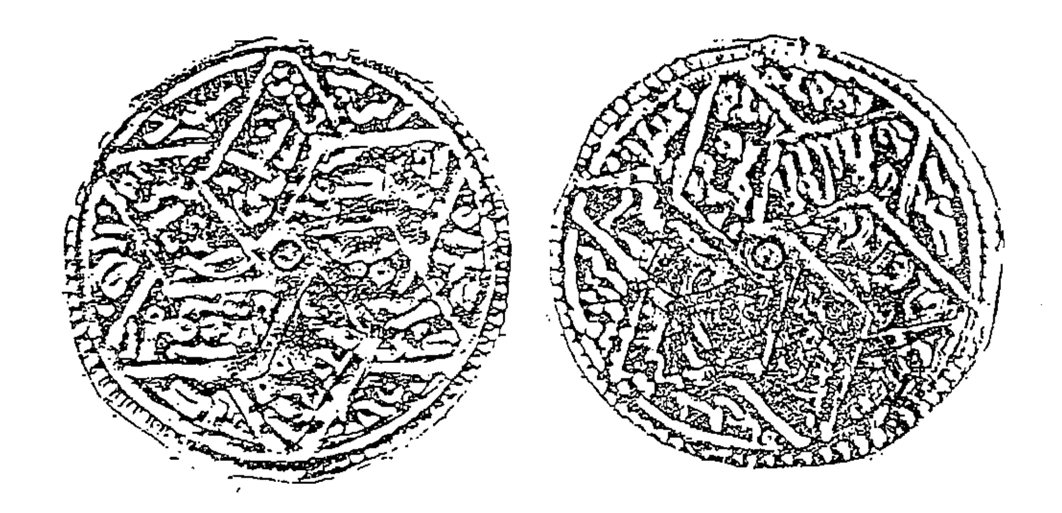
على ولي الله

الهامش: ضرب بصعدة سنة ثمان عشر وستماية

الظهر: المركز: الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين

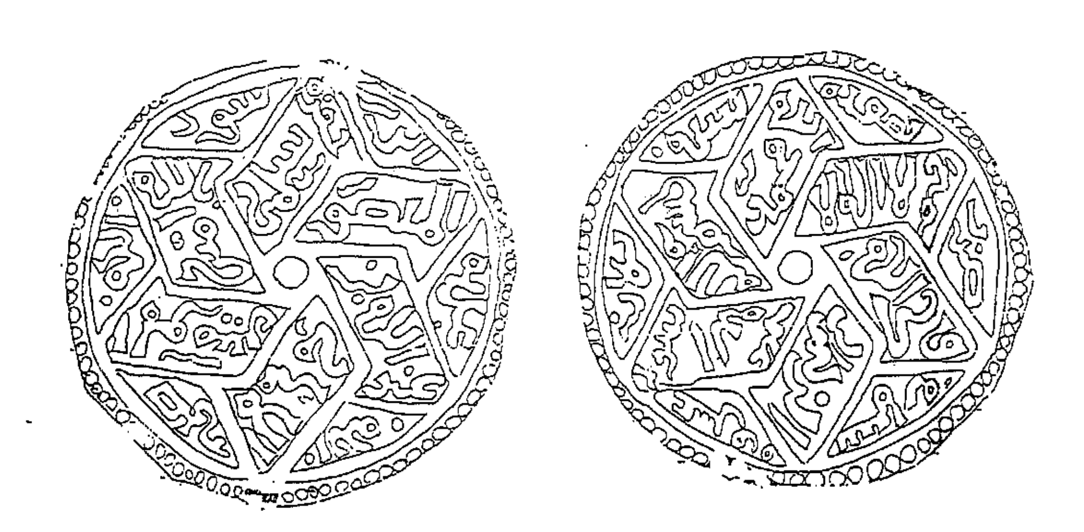
عبد اللّه بن حمزة بن سليمان

الهامش: ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم



اللوحة (٢) الدرهم المنصوري

للإمام عبد الله بن حمزة - المتحف الوطني بصنعاء.



اللوحة (٢) رسم توضيحي لنقوش الدرهم المنصوري

للإمام عبد الله بن حمزة - المتحف الوطني بصنعاء.

يرجع تاريخ هذا الدرهم إلى سنة (٦١٨هـ/ ١٢٢١م)، وهذا يعني أن دار الضرب في صعدة ظلت تضرب السكة الزيدية، التي تحمل اسم الإمام عبد اللّه بن حمزة بنفس النقش والرسم مع تعديل سنة الضرب عليها على الرغم من وفاة الإمام عبد الله بن حمزة سنة (٦١٤هـ/ ١٢١٧م)[١]، ومنذ هذا التاريخ وحتى سنة (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) تاريخ قيام الإمام المهدي أحمد بن الحسين بالدعوة لنفسه إماماً على الزيدية في اليمن، ظل المذهب الزيدي والزيدية تحت إشراف الأشراف الحمزيين[٢]، وهؤلاء استمروا في ضرب السكة باسم الإمام عبد اللّه بن حمزة، الذي كان في نظرهم إماماً للبيت الحمزي بصفة خاصة وللزيدية بصفة عامة.

وقد أحجم الناس عن استعمال الدرهم المنصوري حين صدوره، ولم يتعاملوا به ونفروا منه، الأمر الذي جعل الإمام عبد اللّه بن حمزة يعين محتسباً في الأسواق «للرد بشدة على من رده (الدرهم) والعقوبة لمن امتنع عن قبضه»[٣]، وكتب رسالة مختصرة قرئت على الناس في الأسواق، جاء فيها: «بعد السلام عليكم إنكم لا تجهلون اجتهادنا في مصالحكم في دنياكم وأخراكم، وكانت دراهم الظلمة ودينارهم تأتينا وإياكم مخلوطة بالصفر والغش فلا نجد بداً من قبولها، ولم نر إلا أن نضرب للمسلمين نقداً طيباً مباركاً، فبلغنا أن الدرهم المبارك خرج، ووقع منه بعض نفرة من المفسدين، ونحن نعيذكم بالله سبحانه أن تعرضوا للعقوبة في مصالح نفوسكم، فاتخذوا أموالكم لغير موجب، قوموا في نفاذ درهمكم ديناً ومنعة[٤]» وشرع المهدي في تهديدهم فقال: «فبالله قسماً صادقاً، لئن رد الظلمة درهمنا أو منعوا منه، لا قبل درهمهم في بلادنا إلا من يكون منهم، نأخذ ماله، ونضرب رقبته، ونهتك ستره، ونخرب بلده، وإن كان تاجراً أخذنا بضاعته، فانظروا لنفوسكم نظراً مخلصاً، فالأمر جد، وتظنوا أني أعاملكم في الدرهم بالهوادة ولا الرفق، وإنما هو السيف والسوط والحبس وأخذ المال، فمن صدقنا فليحزم، ومن كذبنا فليقدم»[٥].

---

(١) الخزرجي: طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن، مخطوط جـ ٢، ص ١٨٣.
(٢) زبارة: أئمة اليمن، ص ١٤٦ـ ١٥١.
(٣) مجهول: سيرة الإمام عبد اللّه بن حمزة، جـ ٣ ورقة ٦١ أ.
(٤) مجهول: سيرة الإمام عبد اللّه بن حمزة، مخطوط، جـ ٣، ورقة ٦٢ ب.
(٥) المصدر السابق، نفس الورقة.

أثمرت هذه الرسالة حيث أشاعت جواً من الرهبة، نتج عن تنفيذ بعض العقوبات على من رفض استعمال الدرهم المنصوري بالحبس والمصادرة وغيرهما[1]، وشاع استخدام درهم الإمام بين الناس، ويعلق على ذلك صاحب سيرة الإمام بأن الناس «صاروا يختارونه على سائر النقود، ويطلبونه، ويرغبون فيه ويتباركون به، ويأخذه السُفَّرُ إلى بلاد الغز، ويأتون به، وانتشر في البلاد قليلاً قليلاً حتى استقام أمره وأحبه الناس[2]».

اتسع نطاق العمل في دار الضرب، بعد سريان التعامل بالدرهم المنصوري وانتشاره على نطاق واسع في جهات اليمن وسائر الجزيرة العربية في ذلك الوقت، فاتجهت الدار إلى تلبية حاجة المجتمع اليمني والأسواق اليمنية، فضربت إلى جانب النوعين السابقين من الدرهم المنصوري ـ وهما الدرهم الذي وزنه نصف درهم قفله، والآخر الذي وزنه ثمن قفله ـ درهم صغير كل أربعة دراهم منه بدرهم كبير، وذلك لتسهيل عمليات البيع في الأسواق ولمساعدة الناس في قضاء حوائجهم بسهولة[3].

وتوجت دار الضرب عملها بضرب الدينار الزيدي[4]. وذلك يعكس قوة الدولة وسلطانها في ذلك الوقت، ولم أعثر على هذا الدينار في المتحف الوطني بصنعاء، أو عند أي من الشخصيات اليمنية التي تقتني مجموعات خاصة من العملات اليمنية، ولكن صاحب سيرة الإمام عبد اللّه بن حمزة دون معلومات غاية في الأهمية عن هذا الدينار، فقد ذكر أن الإمام: «ضرب الدينار بعد ذلك ذهباً خالصاً، غالباً يَحك في المحك بدينار الهادي عليه السلام[5]».

---

(١) المصدر السابق، نفس الورقة، زبارة: أئمة اليمن، ص ١٣٠، ويروي يحيى بن الحسن أن الإمام استخدم قوات جيشه في إجبار الناس على التعامل بدرهمه المنصوري، يحيى بن الحسين: أنباء أبناء الزمن، مخطوط، ص ٦٦.

(٢) مجهول: سيرة الإمام عبد اللّه بن حمزة، مخطوط، ج ٣، ورقة ٦٢ ب. وقام الشعراء في دولة الإمام عبد اللّه بن حمزة بالدعوة للدرهم المنصوري على نطاق واسع ومن هؤلاء الشعراء القاضي عمر بن علي العنسي الذي قال في إحدى قصائده:

فعمت نعماك يا بن النبي .. بأمرك للناس بالدرهمين

(٣) المصدر السابق، ورقة ٦١ أ.

(٤) المصدر السابق، ورقة ٦٢ أ.

(٥) المصدر السابق، نفس الورقة.

وجعل الإمام عبد اللّه بن حمزة ديناره ثلاثة أنواع الأول: وهو المثقال الكامل، والثاني: النصافي وهو نصف مثقال، والثالث: الرباعي وهو ربع المثقال[١]. وقد ذاع هذا الدينار واشتهر في جميع الآفاق: «وخرج في جميع الأقطار وحمل من مكة - حرسها الله تعالى - إلى الآفاق[٢]».

أما النقش الذي رصد على هذه الدنانير بأنواعها الثلاثة، فعلى الوجه: «لا إله إلا الله محمد رسول الله، علي ولي الله، وفي دوره التاريخ بالسنة والبلده»[٣] وعلى الظهر «الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين - وفي دوره عبد اللّه بن حمزة بن سليمان - ابن رسول الله صلى الله عليه وآله - وفي دورة المثقال بعد علي ولي الله. إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة وهم راكعون»[٤].

وعلى الرغم من أن دار الضرب في صعده حين إنشائها كانت تعاني من قلة كمية الفضة الواردة لها، فإن سريان التعامل بالدراهم المنصورية بعد ذلك على نطاق واسع شجع تجار الفضة، وخصوصاً تجار زبيد على جلب كميات كبيرة منها بلغت «ألوفاً من القفال مؤلفة»[٥]، علاوة على ما كان عليه يرد إلى صعدة من كميات الفضة من مشارق الأرض ومغاربها على حد قول صاحب السيرة[٦]، حتى بلغ حساب الدراهم المضروبة في الدار في شهر واحد خمسة وعشرين ألف درهم[٧].

صفوة القول: فهذا البحث قدم دراسة كاملة لمراكز ضرب السكة في اليمن، حتى مطلع القرن السابع الهجري، وكان من بين أهم النتائج التي توصل إليها الباحث أن الزياديين لم يضربوا سكتهم فقط في زبيد، وإنما ضربوها في مراكز أخرى في تهامة، وبعض هذه المراكز كان له ثقل تجاري كعدن التي اشتهرت بتجارة المرور، وبعضها كان له ثقل تجاري وزراعي مثل بَيْش، وبيشَه، وسُرْدُدْ، وعَثَّر، وبعضها كان قريباً من مناجم

(١) المصدر السابق، نفس الورقة.
(٢) المصدر السابق، نفس الورقة.
(٣) المصدر السابق، نفس الورقة.
(٤) المصدر السابق، نفس الورقة.
(٥) مجهول: سيرة الإمام عبد اللّه بن حمزة، ج ٣، ورقة ٦٢ أ.
(٦) المصدر السابق، نفس الورقة.
(٧) المصدر السابق، نفس الورقة.

استخرج منها الذهب بوفرة كبيشة. أما النجاحيون، فضربوا سكتهم في مدينة الجند إلى جانب زبيد التي كانت معروفة بذلك في عصرهم.

وبينت الدراسة أن السكة اليمنية حتى مطلع القرن السابع الهجري، توزعت بحسب القوى السياسية الحاكمة في اليمن إلى ثلاثة أنواع، فهي إما سكة منقوش عليها ما يشير إلى التبعية للعباسيين بذكر اسم الخليفة العباسي عليها، أو ما يشير إلى التبعية للفاطميين في مصر بذكر اسم الخليفة الفاطمي عليها، أو سكة أخرى لم يكن عليها أي مظهر من مظاهر التبعية وهي السكة الزيدية، وكان ذلك نابعاً من الفكر الديني عند الزيدية، وهو الفكر الذي يقوم على أحقية الزيدية في إمامة المسلمين وخلافتهم.

كذلك صححت الدراسة بعض المعلومات التي وردت في بعض الدراسات الأخرى، حول وجود دينار نجاحي صليحي، فلم يكن هناك من سبيل إلى وجود مثل هذه العلاقة بين الصليحيين والنجاحيين، حتى يضربوا ديناراً يحمل اسم نجاح، وعلي بن محمد الصليحي، رأس الدولتين، لأن العلاقات التي كانت بينهما كانت دائماً علاقات عدائية، لم تشهد في طول تاريخها حتى مجرد المفاوضات، ولأن تاريخ الدينار الذي يظن أنه يحمل الاسمين معاً ضرب في سنة (٤٣٧هـ)، أو (٤٣٩هـ)، وكلا التاريخين سابق على قيام دولة الصليحيين في اليمن[١].

وأظهرت الدراسة من خلال العملات الصليحية المضروبة في زبيد خلال سنة (٤٤٥هـ)، (٤٤٧هـ)، (٤٥١هـ) أن علياً بن محمد الصليحي في أثناء صراعه مع النجاحيين استطاع أن ينتزع منهم عاصمتهم زبيد، وهو أمر لم تذكره مصادر التاريخ اليمنية وغير اليمنية المعروفة الآن، ودلل البحث على أن ذلك قد يكون صحيحاً، لأن نجاح كان عند اغتياله بالسم يدير دولته من مدينة الكدراء، وليس من زبيد، وهنا تظهر أهمية السكة في إبراز بعض الحقائق التي قد يغفلها المؤرخون سهواً أو عن عمدٍ وقصد.

ومن بين النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن الزيدية منذ أقاموا دولتهم أسسوا داراً لضرب السكة في صعده، وظلت هذه الدار تضرب السكة الزيدية، إلا أنها كانت تتوقف في بعض الأحيان عن ضرب السكة، في فترات الشغور السياسي التي لم يستطع فيها

(١) انظر هامش ص ٤١٨ من البحث.

الزيدية أن يكون لهم إمام يحفظ كيانهم السياسي، كما ضرب الزيدية سكتهم في مدينة صنعاء وذلك في الفترات التي استولوا فيها على هذه المدينة الهامة.

كما تناولت الدراسة عصر الإمام عبد اللّه بن حمزة، وأبرزت ما فيه من قوى متصارعة، تمثلت في القوة الأيوبية الوافدة على اليمن، وقوة بني حاتم في صنعاء، وقوة الزيدية المتنامية في صعده بزعامة الإمام عبد اللّه بن حمزة، وكان تذبذب بني حاتم في الانضمام إلى الأيوبيين تارة، وإلى الإمام عبد اللّه بن حمزة تارة أخرى سبيلاً إلى عدم استقرار الوضع السياسي في اليمن لأي من القوى الثلاث، إلا أن النقطة المهمة التي تظهر من هذه الدراسة، هي أن تحالف بني حاتم مع الإمام عبد اللّه بن حمزة في سنة (٥٩٣هـ/ ١١٩٦م) كان عامل ضغط مهم على الأيوبيين، الذين كانوا يعانون موقفاً صعباً من جراء تصرفات الملك المعز إسماعيل بن طغتكين الذي كان مختلاً في أموره، ولذلك فعلى أثر هذا التحالف الزيدي الحاتمي أعلن الإمام عبد اللّه بن حمزة دعوته إلى نفسه إماماً على الزيدية، ودخل في صراع عنيف مع الأيوبيين انتهى بعقد الصلح مع الإمام عبد اللّه بن حمزة على أساس الاعتراف للإمام بسلطانه ونفوذه عل المناطق التي يسيطر عليها.

وفي ضوء هذه الأحداث السياسية الهامة شرع الإمام عبد اللّه بن حمزة في استكمال أهم مظهر من مظاهر سيادته على دولته، فأنشأ داراً لضرب السكة الزيدية التي حملت اسمه كأهم شارة من شارات الإمامة والملك، دلالة على قوة الدولة وقدرتها على إثبات ذاتها بين سائر القوى الأخرى في اليمن، كما أن الإمام عبد الله بن حمزة كان في حاجة إلى هذه الدار لتوفير العملات اللازمة له لإنجاح مشاريعه السياسية الكبرى.

وأثبتت الدراسة أن الإمام عبد اللّه بن حمزة لم يكن إماماً زيدياً محلياً في اليمن، وإنما دعا إلى نفسه خارج اليمن، وصادفت دعوته قبولاً لدى كثير من الجهات التي دعاها إلى نفسه، من هذه الجهات مكة وصاحبها قتادة بن إدريس الذي جبا للإمام زكوات الحجاز وأعشاره، وبايعه زيدية الديلم والري، وتلقى دعوته بالحسن خوارزم شاه صاحب خراسان، كما جاءته كتب من صاحب حلب الظاهر غازي بن الملك الناصر يوسف بن أيوب يدعوه لدخول العراق.

كذلك كشفت الدراسة النقاب عن كثير من التفاصيل النادرة والمعلومات الجديدة

عن دار الضرب حيث أشرف عليها الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة، وعمد إلى تجهيزها بالمعدات اللازمة، كما أُسندت الإدارة في البيع والشراء وسك العملة إلى الشيخ علي بن حسن الصَغدي، وسكت الدار بعض القطع في عملية تجريبية طرحتها في الأسواق، كذلك قام الإمام عبد اللّه بن حمزة نفسه برسم التصميم الخاص بنقش السكة في شكل مثلثين متقاطعين، وفي أول الأمر أصدرت الدار نوعين من الدراهم، وهما اللذان أطلق عليها اسم الدرهم المنصوري ـ الذي اشتهر في اليمن لسنوات طويلة ـ وكان وزنها نصف درهم قفلة، وثمن درهم قفلة.

ثم سكت الدار بعد ذلك درهم صغير كل أربعة منه بدرهم منصوري، وتوجت الدار جهودها فسكت الدينار الزيدي، وأضاف البحث معلومات هامة جداً عن هذا الدينار، فكان منه المثقال الكامل، والنصافي ووزنه نصف مثقال، والرباعي وهو ربع مثقال، وقد انتشر هذا الدينار في العالم الإسلامي حتى حمل من مكة إلى سائر الأقطار.

ومن المعلومات المهمة التي قدمتها الدراسة، أنها تنفرد بنشر درهمين من الدراهم المنصورية لأول مرة وتقدم الوثائق المادية الخاصة بهذه السكة الإسلامية الهامة، لتقدم إضافة جديدة إلى عالم المسكوكات الإسلامية، مما يتيح الفرصة لإضافتها إلى مجموعات المتاحف الإسلامية في العالم الإسلامي، والمتاحف العالمية الأخرى، علاوة على أن هذه الدراسة تعطي للمتحف الوطني بصنعاء ـ كأحد المتاحف الإسلامية التي تتضمن كثيراً من كنوز الحضارة الإسلامية ـ قيمته العلمية والعالمية لاحتوائه على هذه القطع الهامة والنادرة.

وأخيراً فإن من بين أهم النتائج لهذه الدراسة أن الدرهم الأول ضرب في سنة (٦١٤هـ/ ١٢١٧م) في آخر سنوات حكم الإمام عبد اللّه بن حمزة، أما الدرهم الثاني ـ وهذا هو المهم ـ ضرب بعد وفاته في سنة (٦١٨هـ/ ١٢٢١م). وهذا يعني أن سكة الإمام عبد اللّه بن حمزة ظلت تضرب في اليمن بنفس نقوشها وأوزانها فترة طويلة بعد وفاته، ومرجع ذلك إلى عدم وجود إمام زيدي يقود الزيدية بعد وفاة عبد اللّه بن حمزة، حتى قيام الإمام أحمد بن الحسين بالدعوة إلى نفسه بالإمامة سنة (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، ومما ساعد على استمرار ضرب سكة الإمام عبد اللّه بن حمزة خلال هذه السنوات قيام الأشراف الحمزيين بالإشراف على المذهب الزيدي خلال هذه الفترة.



الملحق رقم (١)

النص الذي ورد في سيرة الإمام عبد الله بن حمزة عن دار الضرب

ورقة ٦٠ ب ٦١ أ

ورقة ٦١ ب، ٦٢ أ

المصادر والمراجع

١) **ابن الأثير:** أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني (٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ، طبعة بيروت ـ الجزء ١٢، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢) **البغدادي:** صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت: ٧٣٩هـ)
مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع
طبعة: دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٤.

٣) **الجندي:** بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب السكسكي الكندي،
السلوك في طبقات العلماء والملوك
تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي
طبعة وزارة الإعلام والثقافة اليمنية
الجزء الأول ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٤) **الحجري:** محمد بن أحمد الحجري اليماني
مجموع بلدان اليمن وقبائلها
تحقيق: إسماعيل بن علي الأكوع
طبعة: وزارة الإعلام والثقافة اليمنية
المجلد الأول والثاني ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٥) **الحمادي اليماني:** محمد بن مالك بن أبي الفضائل
كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة
نشر: عزت العطار ـ مطبعة الأنوار ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٩م.

٦) **الخزرجي:** أبو الحسن علي بن الحسن الخزرجي (ت ٨١٢هـ)
العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك
ـ نسخة مصورة عن المخطوط الأصلي للمرة الثانية
ـ طبعة وزارة الإعلام والثقافة اليمنية ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م
دار الفكر دمشق.

ـــــــــــــ : طراز إعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن
مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء رقم ٤٣، ٤٤ تاريخ.

٧) ابن خلدون: عبد الرحمٰن (ت: ٨٠٨هـ)
العبر وديوان المبتدأ والخبر
طبعة دار الكتاب اللبناني ـ ١٩٦٨ المجلد الرابع.

ـــــــــــــ : المختصر المنقول من العبر ـ ملحق بكتاب تاريخ اليمن لعمارة
تحقيق: د. حسن سليمان محمود ـ مكتبة مصر القاهرة ١٩٥٧.

٨) ابن الديبع: أبو الضيا عبد الرحمٰن بن علي الديبع الشيباني الزبيدي (ت: ٩٤٣هـ)
قرة العيون بأخبار اليمن الميمون
تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي.
المكتبة السلفية ـ القاهرة ١٩٧١.

ـــــــــــــ : بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد
تحقيق: عبد الله الحبشي
مركز الدراسات اليمنية ـ صنعاء ١٩٧٩.

٩) زبارة: محمد بن محمد زبارة الحسني الصنعاني
أئمة اليمن. مطبعة النصر الناصرية ـ تعز
الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م.

١٠) السيوطي: جلال الدين (ت ٩١١)
تاريخ الخلفاء
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد
طبعة بيروت.

١١) أبو شامة: شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمٰن بن إسماعيل
الروضتين في أخبار الدولتين

تحقيق: د. محمد حلمي محمد أحمد
طبعة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر القاهرة ١٩٧٢
الجزء الأول ـ القسم الثاني.

١٢) **عبد الغني عبد العاطي:** (دكتور)
من رسائل الإمام عبد الله بن حمزة
دراسة في العلاقات الزيدية الأيوبية
مطبعة الأشغال التجارية ـ ١٩٨٦.

١٣) **عبد المنعم ماجد:** (دكتور)
ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها
طبعة دار المعارف ١٩٧٧.

١٤) **العرشي:** حسين بن أحمد
بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام
نشر ـ الأب انستاس الكرملي.
دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٥) **عصام الدين عبد الرؤوف:**
(دكتور)
اليمن في ظل الإسلام
دار الفكر العربي بالقاهرة
الطبعة الأولى ١٩٨٢.

١٦) **العلوي:** علي بن محمد
سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين
تحقيق: د. سهيل زكار
دار الفكر بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٨١.

١٧) **عمارة:** نجم الدين أبو الحسن علي الحكمي اليمني (ت: ٥٦٩)
تاريخ اليمن

المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد

تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي

الطبعة الثانية: ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

١٨) أبو الفرج العش: (دكتور)

المسكوكات في الحضارة العربية الإسلامية

بحث لمؤتمر الآثار التاسع المنعقد في صنعاء ١٩٨٠م.

نشرته وزارة الإعلام بقطر.

١٩) القرشي: إدريس عماد الدين

عيون الأخبار وفنون الآثار

تحقيق: د. مصطفى غالب

دار الأندلس - بيروت ١٩٧٥

السبع الخامس.

٢٠) الكبسي: محمد بن إسماعيل الكبسي الصنعاني

اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية

مطبعة السعادة - بالقاهرة.

٢١) الكرملي: الأب أنستاس

النقود العربية

طبعة بيروت.

٢٢) مجموع: -

مجموع ٤٥ بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء به بعض رسائل الإمام عبد الله بن حمزة.

٢٣)مجهول: -

سيرة الإمام عبد الله بن حمزة

مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء برقم ١١٨

تاريخ وتراجم - الجزء الثالث.

٢٤) **محمد جمال الدين سرور**: (دكتور)
سياسة الفاطميين الخارجية
دار الفكر العربي ـ بالقاهرة
طبعة ـ ١٩٧٦.

٢٥) **محمد عبد العال أحمد**: (دكتور)
الأيوبيون في اليمن
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠.

٢٦) **المقريزي**: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (٨٤٥هـ)
اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا
تحقيق: د. محمد حلمي محمد أحمد
طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٧٣م ـ الجزء الثالث.

ـــــــــــ: السلوك لمعرفة دول الملوك
نشر. زيادة ـ الطبعة الثانية ١٩٥٦.

٢٧) **الهمداني**: الحسن بن أحمد بن يعقوب
صفة جزيرة العرب
تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي
مركز الدراسات والبحوث اليمني ـ الطبعة الثالثة ١٩٨٣.

٢٨) **ياقوت**: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت: ٦٢٦هـ)
معجم البلدان، طبعة دار صادر، بيروت.

٢٩): **اليامي**: بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل:
السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن
تحقيق: ركس سميث، كمبردج ١٩٧٣.

٣٠) **يحيى بن الحسين**: ابن القاسم بن محمد بن علي (ت: ١١٠٠هـ)
غاية الأماني في أخبار القطر اليماني
تحقيق: د. سعيد عبد الفتاح عاشور

دار الكتاب العربي - القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
أنباء أبناء الزمن
مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء
رقم ٧٧ تاريخ وتراجم.

٣١) اليماني: تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد (ت: ٧٤٣هـ)
بهجة الزمن في تاريخ اليمن
تحقيق: مصطفى حجازي
دار العودة - بيروت ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.

المراجع الأجنبية

1 - **Arnold, T.W.**, The Caliphate, Oxford, (1924).
2 - **Bates, M.**, Notes on Same Isma'ili coins from Yemen American Numismatic Society, Museum Notes 18 (1972)
3 - **O, Leary**, A Short History of the Fatimide Khalifate, (1923)
4 - **Stooky, W.**, YEMEN, The Politics of Yemen Arab Republic, Westview Press, Boulder, Colorado, (1978)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

فتح الملك المعبود في ذكر إجلاء اليهود لصالح بن داود الآنسي

تحقيق مع دراسة عن اليهود في اليمن

تعتبر مخطوطة «فتح الملك المعبود في ذلك إجلاء اليهود»[1] إحدى الوثائق التاريخية الهامة النادرة عن أهل الذمة من اليهود في اليمن، وهي تتعلق بالتأريخ لأحداث يمينة هامة، كان اليهود طرفاً أدى دوراً كبيراً فيها.

وقد دفعني ذلك إلى القيام بمجهود كبير في البحث عن نسخ أخرى للمخطوطة أو على الأقل نسخة أخرى، قد تكون في اليمن، أو في غيرها من البلدان التي يظن أن تكون بها مخطوطات يمينة، وذلك عن طريق فهارس المكتبات[2] وكتب المصادر[3].

وكنت أرغب من وراء ذلك في الوصول عن طريق مقابلة نص المخطوطة بنص آخر لها إلى نص دقيق متكامل لها يقارب النص الأصلي الذي كتبه الآنسي - مؤلف المخطوطة - وعلى الرغم من عدم عثوري على شيء، فقد قررت المضي في نشر المخطوطة من

---

(١) صالح بن داود الآنسي: فتح الملك المعبود في ذكر إجلاء اليهود، مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، مجموع رقم ١٩ تاريخ، الورقة ٩٣- ٩٩.

(٢) فهارس دار الكتب المصرية.
فهارس المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء.
فهارس معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، الجزء الثاني في مجلدين.
فهرس المخطوطات المحفوظة بمكتبة مركز الدراسات اليمنية بعدن، وورد في هذا الفهرس المخطوطات اليمنية المصورة في المركز عن الإمبروزيانا، والمتحف البريطاني، وباريس، ومعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وليدن، وكامبردج، ورضا لرامبور بالهند، والفاتيكان، وتشتربيتي، والآصفية بحيدر أباد، ومدرسة الدراسات الشرقية بلندن.

(٣) د. حسين عبد الله العمري: مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، ط: دمشق ١٩٨٠، د. محمد عيسى صالحية: المخطوطات اليمانية في مكتبة علي أميري باستانبول، ط: أولى ١٩٨٤، أيمن فؤاد سيد: مصادر تايخ اليمن في العصر الإسلامي، نشر المعهد الفرنسي للآثار الشرقية - القاهرة: ١٩٧٤م، الحبشي: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، نشر مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء، ص ٣٩٩- ٤٧٢.

مصدرها الأصلي المحفوظ بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، لأن هذه النسخة تكاد تكون النسخة الوحيدة الموجودة حالياً ما لم تظهر لها نسخةٌ أخرى في المستقبل.

ومن حسن الحظ أنني تمكنت من التغلب على المشكلات التي صادفتني في قراءتها، واستعنت على ذلك بكثير من كتب الصحاح، ومصادر التاريخ القديمة، ومراجعه الحديثة التي وردت فيها بعض الإشارات عن أحداث الفترة التي عالجتها المخطوطة، وقدمت للتحقيق بدراسة مستفيضة عن أوضاع اليهود كأقلية دينية عاشت في المجتمع الإسلامي في اليمن، ثم أتبعت ذلك بتحليل للمادة التاريخية التي وردت في المخطوطة.

وليست وثيقة «فتح الملك المعبود» للآنسي (ت: ١١٠٠هـ) هي الوثيقة الوحيدة التي أرخت لهذه الأحداث المتعلقة بأهل الذمة من اليهود، فهناك عدة وثائق أخرى تناولت الموضوع، لم يبق من أكثرها غير اسمها، فأكثرها مفقود، وبعضها موجود ونال عناية بعض الدارسين ومن هذه الوثائق التي نشرت حول الموضوع:

١ ـ رسالة لابن سعيد المغربي (ت: ١١١٩هـ)، وأخرى لإبراهيم بن عبد القادر الكوكباني (ت: ١٢٢٣هـ)، اعتنى بهما الدكتور محمد حسين الزبيدي[١].

٢ ـ رسالة لابن الوزير من كتابه (طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى) نشرها الأستاذ عبد الله الحبشي في مجلة البيان الكويتية[٢].

٣ ـ وكانت آخر الوثائق التي نشرت عن أهل الذمة من اليهود في اليمن، التحقيق الذي قام به الدكتور عبد الهادي التازي لمخطوطة عنوانها «النصوص الظاهرة في إجلاء اليهود الفاجرة» تأليف أحمد بن أبي الرجال. وقد نشر هذا التحقيق في مجلة مركز الدراسات والبحوث اليمني[٣].

والوثيقة التي بين أيدينا لا تقل أهمية عن الآخرى التي نشرها الدكتور التازي، فمؤلفها الآنسي عاش في نفس الفترة التي شهدت تطورات الأحداث بين الإمامة الزيدية، وبين أهل الذمة من اليهود، فكأن المؤرخ ينقل لنا صورة حية متتابعة من مواقع الأحداث

(١) نشر المقال في المورد البغدادية، العدد الرابع، ١٩٧٤.
(٢) انظر مجلة البيان الكويتية، عدد مايو ١٩٧٤
(٣) انظر مجلة مركز الدراسات والبحوث اليمني، العدد الرابع يوليو ١٩٨٠، ص ١٢٣ ـ ١٤٨

سواء من وجهه نظر الإمامة، أو وجهة نظر مجموعات العلماء - أصحاب الرأي والمشورة في ذلك الوقت - أو من ناحية اليهود أنفسهم.

مؤلف المخطوطة:

جاء اسم مؤلف المخطوطة على صفحة العنوان «صلاح الدين صالح بن داود الآنسي» وبالبحث في مصادر التاريخ اليمني وكتب التراجم المختلفة، لم أعثر على هذا الاسم، وإنما عثرت على صالح بن داود الآنسي. وهذا يعني أن صلاح الدين - التي سبقت الاسم صالح في صفحة العنوان ليست إلا مجرد لقب لقِّب به المؤلف[١].

وذكرت بعض المصادر والمراجع[٢] أن وفاة الآنسي كانت في سنة (١٠٦٢هـ). وهذا التاريخ فيما يبدو غير صحيح، فحادثة إجلاء اليهود التي حدثت في اليمن، وألف عنها الآنسي المخطوطة كانت في سنة (١٠٧٧)[٣]. وهذا يعني أن الآنسي توفي بعد هذا التاريخ الأخير، ومما يدعم هذا الرأي أن الزبيدي صاحب تاج العروس ذكر أنه توفي في سنة (١١٠٠هـ)[٤].

كان صالح بن داود الآنسي أحد علماء الزيدية البارزين في عصره، اهتم كثيراً بالشروح المختلفة لمؤلفات الزيدية الكبرى على عادة العلماء في عصره، وكان لاشتغاله بالقضاء أثره الكبير في مؤلفاته، فكان من بينها كتاب أسماه «المسائل المرتضاة فيما يعتمده القضاة»[٥]. وأثر اشتغاله بهذه المهنة في كتاباته على نحو ما سنرى في المخطوطة، إذ هو

---

(١) ورد اسم مؤلف «فتح الملك المعبود» في فهرس مخطوطات المكتبة المغربية، صالح بن داود الآنسي دون اللقب صلاح الدين، ويوافقني في أن صلاح الدين لم تكن إلا لقباً لصالح بن داود، المحقق اليمني الأستاذ عبد اللّه الحبشي، وأنتهز هذه الفرصة لأقدم له شكري على معاونته الطيبة لي، كما أشكر فضيلة العلامة اليمني الشيخ أحمد علي زبادة والقاضي محمد عبد الرحمٰن الطير أمين المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء... انظر فهرس مخطوطات المكتبة الغربية، ص ٦٨٧ وعن لقب صلاح الدين أنظر هامش (١) ص ١٨.

(٢) الشوكاني: البدر الطالع، ط: دار المعرفة بيروت، جـ ٢، ص ١٠٣، أيمن فؤاد: مصادر تاريخ اليمن، ص ٣٢٩، الحبشي: مصادر الفكر، ص ١٢٧.

(٣) أيمن فؤاد: مصادر تاريخ اليمن، ص ٣٢٩.

(٤) الحِبْشي: مصادر الفكر، ص ١٢٧.

(٥) الشوكاني: البدر الطالع، جـ ٢، ص ١٠٣.

ينزع دائماً نحو الدليل لإثبات روايته وتحقيقها. وشيوخ الآنسي كثيرون منهم إبراهيم بن يحيى السحولي، والسيد أحمد بن علي الشامي والإمام المتوكل على الله إسماعيل. وينسب الآنسي إلى قرية حدقة التي عاش بها آخر أيامه وتوفي بها سنة (١١٠٠هـ)(١).

اليهود في اليمن:

انتشرت اليهودية في اليمن منذ زمن بعيد، وفي القرآن الكريم إشارة في سورة النمل إلى ذلك، فقد ورد في ختام الآيات الكريمة التي تروي قصة سبأ على لسان ملكتهم قوله تعالى: ﴿**قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين**﴾.(٢) وهناك إشارات إلى انتشار هذه الديانة في اليمن بعد ذلك على يد (تبان أسعد أبو كرب)، وهو أحد ملوك حمير(٣). وبعده وفي القرن السادس الميلادي واصلت اليهودية انتشارها على نطاق واسع زمن يوسف ذي نواس الحميري، حتى إن هذا الملك أجبر المسيحيين من مواطني شعبه اليمني على اعتناق اليهودية(٤).

وبعد انتشار الإسلام في الجزيرة العربية وغيرها من بقاع العالم شرقاً وغرباً، ظل اليهود في اليمن يدخلون ضمن نطاق الأقليات الدينية التي تعيش في داخل التكوين الشعبي لبلاد اليمن. ويروي لنا الدكتور أحمد فخري أنه كانت هناك لليهود في اليمن حوالي ٣٥٩ قرية، وكانت هذه القرى تبنى إما وحدها بعيدة عن قرى جيرانهم من المسلمين، أو كانوا يكونون لأنفسهم حياً خاصاً بهم داخل كل مدينة أو بلدة كبيرة(٥).

وأشارت إحصائية عند المؤرخ الرازي في كتابه «تاريخ مدينة صنعاء» إلى عدد الدور التي يشكل مجموعها حي اليهود في هذه المدينة، والإحصائية كانت في صفر سنة (٣٨١هـ) في زمن حاكمها أبي جعفر أحمد بن قيس بن الضحاك، وتذكر الإحصائية أن عدد دور مدينة صنعاء كان «ألف دار وأربعين داراً منها خمسة وثلاثون داراً لليهود»(٦).

---

(١) المصدر السابق: نفس الصفحة، الحبشي: مصادر الفكر، ص ١٢٧

(٢) سورة النمل: الآية ٤٤

(٣) د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ط ١٩٧٢، ص ٣٣٤.

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٥) د. أحمد فخري: اليمن ماضيها وحاضرها. ط: معهد الدراسات العربية، ١٩٥٧، ص ٧٥.

(٦) الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق، حسين العمري، عبد الجبار زكار، ط: أولى، ١٩٧٤، ص ١١٤.

وفي ضوء حرية العقيدة التي منحها الإسلام لأهل الذمة، تمتع اليهود في اليمن بكافة حقوق المواطنة التي يتمتع بها غيرهم من المواطنين المسلمين، فقد بقي هؤلاء اليهود يمارسون عوائدهم وتقاليدهم، ولم يميز بينهم وبين مجاوريهم من العرب أي شيء غير الدين[١]. وهذا يعبر عن روح التسامح التي عامل بها اليمنيون المسلمون غيرهم من أهل الذمة من اليهود في مجتمعهم.

فقد كان اليهود الذين يقيمون بين القبائل اليمنية في هضاب اليمن يتمتعون بحماية تلك القبائل، بل ربما تهاونت القبيلة اليمنية في الثأر والانتقام لأحد أفرادها، وربما لا يغضب له إلا فرع واحد هو أهله الأقربون، ولكن إذا اعتدى أي غريب على يهودي، فإن القبيلة كلها تهب للانتقام له، لأن ذلك اعتداء على شرفها وكرامتها، واتهام لها بأنها تقاعست عن حماية أهل الذمة الذين أوجب الإسلام حمايتهم[٢].

وكانت لغة اليهود في اليمن هي اللغة العربية، ولكنهم حافظوا بطبيعة الحال على الرطانة اليهودية، لأنهم كانوا يستعملونها في صلواتهم، وفي كتابة بعض وثائقهم ونصوصهم الدينية، وغيرها من الوثائق الخاصة بالمعاملات اليومية بينهم[٣]. وقد رأيت بعضاً من هذه الوثائق المكتوبة بالعبرية، وهي محفوظة بمتحف ومكتبة قسم الآثار بجامعة صنعاء، وهي واضحة، عثر عليها مخبأة في جدران بعض المباني والدور القديمة بمدينة صنعاء في المنطقة المعروفة بقاع اليهود، ورأيت وثيقة أخرى من نفس النوع في المتحف الوطني بصنعاء.

وفي ظل عدالة الإسلام وسماحته انكمشت اليهودية في اليمن إلى أدنى حد، حيث دخل فريق من هؤلاء اليهود في الإسلام، وانقطعت صلتهم بديانتهم، وأصبحوا ضمن البنية الاجتماعية في مجتمع اليمن الإسلامي الجديد[٤]. ولدينا إشارة في المصادر اليمنية

---

(١) د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ص ٣٣٥.

(٢) د. أحمد فخري: اليمن ماضيها وحاضرها، ص ٣٧.

(٣) وعند الرازي في كتابه عن تاريخ مدينة صنعاء إشارة إلى بعض الظواهر اللغوية التي كانت تميز لغة اليهود في اليمن، فيقول: «واليهود يبدلون في لغتهم العبرية ضاد العربية المعجمة صاداًمهملة، فيقولون عن الأرض (أرص)، لأن لسانهم لا يعرف الضاد الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، ص ١٣٠.

(٤) محمد بن علي الأكوع: الوثائق السياسية اليمنية، ط: أولى، ١٩٧٦، ص ١٢٩.

تدل على أن إقبال اليهود على الدخول في الإسلام لم يقتصر على الأزمان الأولى التي انتشر فيها الإسلام في اليمن، وإنما تتابع دخولهم في الإسلام حتى في الفترات المتأخرة.

وتأتي هذه الإشارة عند الخزرجي ـ صاحب العقود اللؤلؤية ـ وعلى وجه التحديد في زمن بني رسول، ففي يوم الأربعاء التاسع من شهر رمضان «أسلمت امرأة من اليهود ودانت بدين الحق، وتبرأت من كل دين خالف دين الإسلام، وكان زوجها من الإسرائيليين، فألزمه حاكم الشريعة المطهرة بتسليم صداقها الذي تستحقه عليه فسلمه في مجلس الحكم، وفرق الحاكم بينهما فرقة لا اجتماع بعدها إلا أن يسلم هو»[١].

وسجلت المصادر إيجابيات طيبة في روح التسامح التي عامل بها المسلمون أهل الذمة من اليهود في المجتمع اليمني، فإذا تابعنا ما ورد في هذه المصادر وجدنا أن المسلمين لم يجدوا غضاضة في أن تحمل مدينة جبلة عاصمة دولة الصليحيين في اليمن (٤٣٩هـ ـ ٥٣٢هـ) اسمها من اسم يهودي كان يبيع الفخار في الموضع الذي بنيت فيه دار العز. إذ المعروف أن عبد الله بن محمد الصليحي هو الذي اختط مدينة جبلة سنة (٤٥٨هـ)، عندما ولاه أخوه علي بن محمد الصليحي حصن التعكر، بعد استيلائه على مخلاف جعفر[٢].

بل أن اليهود الوافدين على اليمن تمتعوا أيضاً بروح الأمن والطمأنينة في المجتمع الإسلامي في اليمن، الذي حمل للأقلية الدينية اليهودية كل الاحترام، الأمر الذي جعل المماليك في مصر يرسلون هدية إلى الرسوليين في اليمن، كان من بينها طبيب يهودي، وقد توفي هذا الطبيب اليهودي كما أشار الخزرجي في اليمن، في ربيع الأول (سنة ٧٩٩هـ)[٣].

وهكذا تمتع اليهود بالأمن في ظل جميع القوى السياسية في اليمن، سواء كانت هذه القوى ـ كما رأينا ـ قوى إسماعيلية (صليحية)، أو قوى سنية كالرسوليين، أو قوى

(١) الخزرجي: العقود اللؤلؤية، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٨٣، ص ٢١٨، الخزرجي: العسجد المسبوك، ط: وزارة الإعلام والثقافة اليمنية، ص ٤٨٢.

(٢) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، تحقيق: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ط ١٩٦٨، جـ ١، ص ٢٦١.

(٣) الخزرجي: العقود اللؤلؤية، جـ ٢، ص ٢٤٣، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٤٩٤.

شيعية زيدية[1]. وبالنسبة لهذه الأخيرة، يروي يحيى بن الحسين في كتابه غاية الأماني :أن الإمام الناصر بن محمد الزيدي ـ الذي تلقب بالمنصور بالله ـ لما استقر في حصن هران سنة (٨٤٠هـ) جاءه يوماً رجل من اليهود ـ وكان من المشتغلين بالحساب والتنجيم ـ فقال له: «قم لقبض صنعاء فقد اقتضى الحساب أنك تصلي الفجر في مسجد وهب، والظهر والعصر في جامع صنعاء، والمغرب في القصر من غير لا ريبة ولا طعنة[2]، وتمضي الرواية إلى مداها ولكنها على كل حال تعكس ما تمتع به اليهود من أمن وطمأنينة ومعاملة طبيعية عادية في المجتمع الإسلامي في اليمن.

ولكن القوى الإسلامية في اليمن على اختلاف مشاربها وميولها السياسية وقفت بالمرصاد لأية انحرافات من جانب هذه الأقلية اليهودية في اليمن، وكانت تسدد إليها ضربات رادعة لتصرفاتهم الملتوية وانحرافاتهم التي كانت تشكل ـ في بعض الأحيان ـ انتهاكاً خطيراً لحقوق المواطنة التي منحها لهم المجتمع الإسلامي، حيث غدت سلوكياتهم في بعض الأحداث التي وقعت من جانبهم أمراً يشكل خطراً كبيراً على المجتمع الإسلامي في اليمن وتقاليده الإسلامية.

فعندما قامت دولة الأئمة الزيدية في صعدة سنة (٢٨٤هـ) اضطر الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين إلى اتخاذ إجراءات من شأنها المحافظة على سلامة بيت المسلمين، الذي تعرض للإفلاس نتيجة لانتهاكات مباشرة من أهل الذمة ـ ومن بينهم اليهود ـ حيث عمد هؤلاء اليهود إلى شراء ممتلكات المسلمين وأراضيهم الزراعية، وأدى هذا إلى حدوث خلل في توازن الملكيات الزراعية بين فئات المجتمع، وبطبيعة الحالة اختل بيت المال في دولة الأئمة، لتوقف أعشار المسلمين التي كانت تشكل مصدراً رئيسياً للدخل في بيت المال[3].

ويروي محمد بن سليمان الكوفي عن الإمام يحيى بن الحسين أنه قال له عندما أرسله لقبض جزية اليهود: «فقال لي (الإمام): خذ من مياسيرهم: التجار أربعة وعشرين

---

(١) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ج ١، ص ٢٦١.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص ٥٧٣ـ ٥٧٦.

(٣) العباسي: سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر دمشق، ١٩٨١، ص ٧٤، ٧٥، انظر ترجمة الإمام الهادي في ص ٣٢.

درهماً قفلة، ومن كان منهم يملك أقل من خمسة دنانير فلا تأخذ منه شيئاً، وخذ من أوساطهم اثنى عشر درهماً قفلة، وأما أصحاب الضياع من اليهود والنصارى، فمن كان في يده قديماً بالوراثة من أجداده، ولم يشتر من أموال المسلمين شيئاً فليس لنا عليه سبيل، ومن اشترى منهم من المسلمين فالحكم فيه أن يرده على المسلمين، ويأخذوا ثمنه... لأنكم لو أطلقتم في شراء أموال المسلمين لبطلت أعشار المسلمين وأموالهم»[1].

ووجد الإمام الهادي صعوبة كبيرة في تطبيق القرار، فاجتمع بأهل الذمة، ومن بينهم اليهود، واستشارهم في رد أراضيهم التي اشتروها في ظل الإسلام، فغضبوا لذلك، وفي نفس الوقت رفض الإمام أن يأخذ منهم العشر، حتى لا يتساووا بالمسلمين، لأنه لا زكاة على أهل الذمة[2].

ولذلك عقد الإمام الهادي معهم صلحاً يتملكون بمقتضاه ما شاؤوا من الأرض، شريطة أن يدفعوا عنها ضريبة سماها الإمام التسع، يدفعه أهل الذمة عن الأرض التي تسقى سيحاً أو بماء المطر، ونصف التسع فيما سقي من الأرض بمجهود ومشقة. وضرب الإمام الهادي بهذا الصلح مثالاً عالياً ومقدرة عظيمة في الاجتهاد والرأي، دون الإخلال بقواعد الشرع الحنيف، وأظهر مرونة الموقف الإسلامي تجاه أهل الذمة ـ من اليهود وغيرهم ـ تجاه المشاكل الكبيرة التي ظهرت في وقته، وفي ذلك يقول الإمام يحيى بن الحسين: «وأجزنا لهم شراء ما أحبوا من أموال المؤمنين على تأدية هذا التسع مما سقي سيحاً أو بماء السماء، ونصف التسع مما سقي بالسواني والحظارات والدوالي»[3].

وتعددت مواقف اليهود وانحرافاتهم في اليمن بعد ذلك، ففي سنة (٥٤٧هـ) اضطر الإمام الزيدي أحمد بن سليمان إلى إحراق كنيس لليهود في مدينة صعدة، نتيجة للفساد الذي استشرى في هذه المدينة، وكان لليهود المقيمين في صعدة أثر كبير في استشراء هذا

---

(١) العباسي: سيرة الهادي إلى الحق، ص ٤٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٥، د. عصام الدين عبد الرؤوف: اليمن في ظل الإسلام، ط: دار الفكر العربي، ١٩٨٢، ص ٢٩٠ .

(٣) العباسي: سيرة الهادي إلى الحق، ص ٧٦.

الفساد فيها[1].

وفي سنة (٧٩٣هـ) ظهر رجل يهودي في مدينة تعز أظهر أعمال السحر والشعوذة، وتشبه بالمسلمين مخالفاً بذلك القواعد المعمول بها في المجتمع الإسلامي، مما اضطر السلطات الرسولية في مدينة تعز إلى اتخاذ إجراءات إقامة الحد عليه «فكحل وقطعت يده»[2]، ويبدو أن هذا الحد كان بسبب السرقة التي امتهنها بأعمال السحر والشعوذة. كما منع اليهود من بيع الخمر والاتجار فيها في صنعاء، لما في ذلك من أضرار كبيرة تلحق بالمجتمع الإسلامي من جراء التعامل بالبيع والشراء في هذه المواد المحرمة شرعاً[3].

ولا شك أن هذه التصرفات المنحرفة من جانب أهل الذمة من اليهود وغيرهم، والتي استهدفوا بها الإضرار بالمجتمع الإسلامي وإفساده، كانت دائماً مدعاة إلى أن يشدد كثير من خلفاء المسلمين على عمالهم في الأمصار الإسلامية ـ ومن بينها اليمن ـ على ضرورة عدم تشبه أهل الذمة من اليهود وغيرهم من النصارى بالمسلمين في زيهم وهيئتهم، ومن هؤلاء الخلفاء هارون الرشيد، الذي أرسل رسالة إلى القاضي هشام بن يوسف الأبناوي باليمن يقول فيها: «ثم أن الله تبارك وتعالى قد فرق بين الحق والباطل، وجعل بينهما فاصلاً، فليس لأهل الكفر بالله والشرك به أن يزينوا بزينة أهل الإسلام، ولا يتشبهوا بهم في ملابسهم ومراكبهم ولا يجامعوهم في الأمور التي فرق الله فيها بينهم»[4].

والظاهرة الكبرى التي تستوقف النظر أن اليهود منذ مطلع القرن العاشر الهجري، أضافوا إلى مخططاتهم ـ الرامية إلى إفساد مجتمع المسلمين في اليمن ـ أطماعاً سياسية لتكوين كيان سياسي لهم في اليمن بالقوة المسلحة. وتأتي أول حادثة من هذا النوع في سنة (٩١٥هـ) في زمن سلطان بني طاهر عامر بن عبد الوهاب.

ففي أواخر شهر صفر من هذه السنة أخبرت المصادر[5]، عن ظهور يهودي لم تذكر اسمه في (بيحان) «تغلب وأظهر الطغيان، وانضم إليه عدة من اليهود، ومن أشبههم

---

(١) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ج ١، ص ٣٠٦، ٣٠٧ .

(٢) الخزرجي: العقود اللؤلؤية، ج ٢، ص ١٨٧.

(٣) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ج ٢، ص ٨١٦.

(٤) محمد بن علي الأكوع: الوثائق السياسية اليمنية، ص ٢١٥، ٢١٦.

(٥) عيسى بن لطف الله: روح الروح، منشورات وزارة الإعلام اليمنية، ج ١، ص ٦، ٧، ابن الديبع: الفضل المزيد، تحقيق، محمد عيسى صالحية، ط: أولى، ١٩٨٢، ص ١٣١، ١٣٢.

من أهل العصيان، فشق ذلك على السلطان (عامر)»[1].

وانضم إلى اليهودي بنو عبيد الذين كانوا أعداء للسلطان عامر بن عبد الوهاب، ومن الخارجين على بني طاهر[2]. وتمضي الرواية السابقة فتذكر أن اليهودي كان «يركب الخيل ولا يرهب الليل ويخرج راكباً بالعدة المحلاة بالحفظة والحماة، والتطاول على المسلمين، والتكذيب بكتاب الله المبين، وارتد إليه كل يهودي قد أسلم ومعاهد قد استسلم، ومن خاف من السلطان (عامر) من المسلمين، دخل في ضمن ذلك اللعين، وكان هذا من أكبر الحوادث في الإسلام وأعظمها في الأنام»[3].

والذي يظهر من هذا النص ـ وخصوصاً من عبارته الأخيرة ـ أنه كان لليهود آنذاك اتجاه لإقامة دولة أو كيان سياسي لهم بالقوة المسلحة، يعاونهم في ذلك بعض شراذم الأفاقين من الخارجين على سلطة الإدارة الإسلامية في دولة بني طاهر في اليمن، وأن الحركة كانت ضخمة، وأنها اتخذت طابع التهجم على الإسلام والنيل منه.

وعلى الفور قام السلطان عامر بن عبد الوهاب باتخاذ بعض الخطوات التي تكفل القضاء على حركة اليهود في اليمن، واتخذ لذلك كثيراً من التدابير التي تضمن سرية حركته نحو بيحان معقل اليهودي ومناصريه. فيروي ابن الديبع أن السلطان عامر تجهز إلى بيحان «في عساكر كثيرة من جهات المقرانة فما فوقها، وقدمهم إلى جهات بيحان يوماً بعد يوم موهماً أن لا غرض له سوى طلب الصيد»[4].

وفي نفس الوقت تقدم الأمير شمس الدين علي بن محمد البعداني بجيش سيطر به على منطقة الربع غير المسكون خلف بيحان[5]. ثم تقدم السلطان عامر «موهماً أن غرضه الصيد، فما زال يقطع المسافة بالتصيد يوماً فيوماً حتى بلغ بيحان فدخلها، فلما علم اليهودي بذلك تنحى هو ومن معه إلى الربع الذي هو غير مسكون، فلقيتهم العساكر

---

(١) عيسى بن لطف الله: روح الروح، جـ ١، ص ٦، ٧. بيحان: بالحاء المهملة مخلاف باليمن معروف، ياقوت: معجم البلدان، طبعة دار صادر ـ بيروت، جـ ١، ص ٥٢٣.

(٢) عيسى بن لطف الله: روح الروح، جـ ١، ص ٦، ٧.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحات.

(٤) ابن الديبع: الفضل المزيد، تحقيق: د. محمد عيسى صالحية، ص ١٣٢.

(٥) المصدر السابق، نفس الصفحة.

المنصورة»[1]. ونجح السلطان عامر في إحكام الحصار وقبض على اليهودي، وجميع ما معه ومن معه وأولاده ودوابه، وسائر آلاته وأخذهم أسرى[2].

ويبدو أن اليهود تمادوا في عدائهم للمجتمع اليمني الذي يعيشون فيه، وانتشرت من جراء ذلك في الأوساط العلمية بين علماء الزيدية، وعامتهم مناقشات وأقاويل، ومراجعات حول إجلاء اليهود من اليمن طبقاً لأحاديث الرسول، ﷺ، التي تأمر بإخراج اليهود من جزيرة العرب[3].

وقد حسم الموقف في زمن الإمام شرف الدين، ففي أحداث سنة (٩٤٥هـ) يشير يحيى بن الحسين في غاية الأماني إلى أن الإمام شرف الدين، والقاضي محمد بن عبد الله راوع وضعا مرسوماً يقضي بتبقيتهم (اليهود) على عهدهم ودينهم السابق، وقرروا على هذا إلى الآن (زمن يحيى بن الحسين) وأجمع علماء الفريقين على أن المراد بجزيرة العرب (في أحاديث الرسول ﷺ) الحجاز فقط»[4].

ولكن هل استجاب اليهود في اليمن لهذا الموقف النبيل الذي أظهره الإمام الزيدي، وغيره من علماء ذلك الوقت، حين توقفوا عن إجلاء اليهود، وسمحوا لهم بالإقامة بين ظهرانيهم يتمتعون بحقوق المواطنة الكاملة، التي يتمتع بها غيرهم من المسلمين في اليمن.

الحوادث التاريخية التي أعقبت الفترة السابقة، تشير إلى أن اليهود في اليمن عمدوا

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفة، عيسى بن لطف الله: روح الروح، ج ١، ص ٧،

(٣) (تذكر بعض مصادر التاريخ أن نفس الفترة في شبه جزيرة سيناء شهدت محاولة مماثلة لإقامة دولة يهودية فيها، على اعتبار أنها تضم الوادي المقدس طوى، وحاول اليهود من أجل ذلك تشجيع هجرة الهيود إلى سيناء، ولكن الدولة العثمانية وقفت لهذه المحاولة بالمرصاد، واتخذت جميع الترتيبات التي حالت دون نمو النشاط اليهودي في سيناء، وقضت على هذه المحاولة التي تزعمها يهودي تطلق عليه وثائق هذا العصر اسم (إبراهام اليهودي)، وصدرت الأوامر من القاهرة بناء على فرمانات ثلاث بطرده وزوجته وأولاده وسائر اليهود من سيناء، مع منعهم في قابل الأيام منعاً باتاً من العودة إليها بما فيها مدينة الطور، انظر تفاصيل ذلك عند د. عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ط: الأنجلو المصرية، ١٩٨٠، ج ٢، ص ٩٦٦-٩٦٩).

(٤) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ج ٢، ص ٦٨٤.

(٥) المصدر السابق، نفس الصفحة، انظر ترجمة الإمام شرف الدين في ص ٤١.

إلى أسلوب جديد لإثارة البلبلة والاضطراب في المجتمع اليمني. ومن أوثق المصادر المعاصرة لهذه الفترة والتي تحدثت عن هذه الأحداث بدقة واستفاضة كتاب «طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى» للمؤرخ اليمني عبد الإله بن علي الوزير[١]. وكان هذا الكتاب ـ الذي يؤرخ لليمن منذ سنة (١٠٤٦هـ) وحتى سنة (١٠٩٠هـ) ـ مخطوطاً، حتى تمكن أحد أبناء اليمن النابهين من تحقيقه وإخراجه في صورة جيدة في مايو (١٩٨٥هـ). وسوف نعتمد على ما ورد في هذا الكتاب من وثائق ونصوص حول هذه الفترة التي ثارت فيها مشكلة إجلاء اليهود من اليمن.

تتابعت حوادث الشغب المقصودة من اليهود منذ سنة (١٠٧٧هـ) ففي هذه السنة يشير عبد الإله بن علي الوزير إلى أن اليهود أطلقوا الإشاعات بأن ملكهم المسيح بن داود، قد ظهر واستتب له الملك، وأنهم يريدون اللحاق بإخوانهم ببيت المقدس والشام، وبادروا إلى بيع ممتلكاتهم وأمتعتهم[٢].

علم الإمام أحمد بن الحسن بن القاسم بهذه الأحداث، فأصدر بياناً بمخالفة اليهود لعهد الذمة الذي قطعوه على أنفسهم، وكان لهذا البيان أثره على الرأي العام الذي رأى أن اليهود ـ الذين كانوا يشكلون قوة اقتصادية في المجال الصناعي والزراعي في ذلك الوقت ـ يريدون التأثير على سلامة البنية الاقتصادية للمجتمع الإسلامي في اليمن. وقد دعى هذا المسلك من جانب اليهود أهل كوكبان، وشبام، وحاز، والفرزة، إلى تجريد اليهود مما معهم من الأثاث والحلي والنقود، وذلك لحرمانهم من تحقيق مخططهم والاستفادة من أموالهم في الإضرار بمصالح المسلمين، ويبدو أن هذه المناطق تضررت كثيراً من مسلك اليهود[٣].

---

(١) عبد الإله بن علي الوزير: تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، ط أولى ١٩٨٥، انظر مقدمة التحقيق.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٢٣، انظر ترجمة الإمام أحمد بن الحسن في ص ٢٥،
(كوكبان: جبل حصين إلى الشمال من صنعاء على بعد عشر ساعات للراجل.
شبام: بكسر الشين تحت جبل كوكبان.
حاز: قرية من قرى همدان في شمال غرب صنعاء على بعد خمس ساعات للراجل.
الفرزة: من قرى همدان أيضاً في شمال غرب صنعاء على بعد أربع ساعات للراجل.
عن هذه القرى انظر، الحبشي: مقال عن اليهود، البيان الكويتية، العدد ٩٨ مايو، ١٩٧٤.

وعلى الرغم من هذا، أصدر الإمام أوامره بمنع الاعتداء على اليهود وأموالهم، وطلب إلى رجال الآداب في دولته (الشرطة) معاقبة الذين أخذوا أموال اليهود وأمتعتهم، وهذا يعكس مدى ما كان يتمتع به اليهود من حماية ورعاية في ظل الإدارة الإسلامية في اليمن.

وبعد هذا الحادث بقليل وفي نفس السنة (١٠٧٧هـ)، وقع حادث آخر لا يقل سوءاً عن غيره من الحوادث السابقة، وفيه يقول ابن الوزير: «ولما شرعت نار سخفهم أن تطفئ، وحصل التغافل عن فعلتهم التي لا تخفى، عمدوا إلى رجل منهم فجملوه بأحسن الثياب، وأداروا عليه كؤوس الشراب. ولما أخذه الخمر، وخاضت به الغمرة، طلع إلى القصر الكبير (أحد قصور الإمامة)، ورام أن يتسنم كرسيه والسرير، ويدعو إلى طوعه بالمأمور فيه والأمير. فكلم السيد جمال الدين (نائب الإمام بالقصر) بالعبرانية، بكلام معناه أنه قد تم ملكه فقوض الخيام وأخرج عن القصر وسلم الأمر، فبادر أهل الحضرة بإنزاله... ورفع شأنه إلى الإمام، فعاد جوابه بما فيه كفاية الناس من شره... وضربوا ثمة عنقه وعلق بباب شعوب»[١].

اتخذ الإمام أحمد بن الحسن إجراءات شديدة مع اليهود بعد هذا الحادث، فضاعف من المراقبة على اليهود من قبل رجال الآداب في الدولة ـ المسؤولين عن الأمن ـ وأسقط عمائم اليهود عن رؤوسهم، وزج بكبرائهم في السجون[٢].

وعلى الرغم من أن سنة (١٠٨٤هـ) شهدت شيئاً من التخفيف عن اليهود، فأطلق لهم الإمام أموالهم، ورفع عنهم الزيادات التي فرضت عليهم في الجزية[٣]. فإن الإمام أصدر أوامره في غرة شعبان سنة (١٠٨٨هـ) إلى العز محمد بن المتوكل على الله بإجلاء اليهود عن صنعاء وغيرها من المناطق التي في حوزة الإمام. وأيد الإمام في قراره مجموعة من علماء الزيدية منهم القاضي محمد بن علي قيس الثلاي، والقاضي محمد بن إبراهيم، والقاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال، ومن علماء الشافعية القاضي أبو يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري الشافعي[٤]. واستند هؤلاء العلماء في موافقتهم

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٣.
(٣) المصدر السابق، ص ٣٠٤.
(٤) المصدر السابق، ص ٣٥٢.

لقرار الإمام بإجلاء اليهود إلى حديث رسول الله، ﷺ، الذي يقول فيه: «أخرجوا اليهود من جزيرة العرب»[1]. بينما دعم المعارضون ـ من العلماء وغيرهم ـ لقرار إجلاء اليهود رأيهم بحديث آخر عن رسول ا،لله ﷺ، يقول فيه: «أخرجوا اليهود من الحجاز»[2].

ويبدو أن الإمام أحمد بن الحسن توصل إلى حل وسط في هذه القضية يرضي الطرفين، فأمر بإجلاء اليهود وتجميعهم في ناحية موزع، في أقصى الجنوب الغربي من اليمن بالقرب من مدينة المخا[3]. وذلك لتجميع يهود اليمن في مكان واحد بعيداً عن المناطق الهامة والحساسة في اليمن، وليسهل مراقبتهم والتعرف بسرعة على نواياهم.

أخذ المسلمون في إزالة آثار اليهود وبقاياهم من صنعاء وغيرها من المدن والقرى اليمنية، وكانت كنائسهم ومنازلهم هي أهم هذه البقايا، ولذا هدم المسلمون كنائس البون[4]، وكنيس اليهود بصنعاء، وكانت هذه الكنائس أوكاراً لتخزين الخمور والكتب المعادية للإسلام، التي يستعملها اليهود في نشر سمومهم في المجتمع اليمني المسلم. وفي سنة (١٠٩١هـ)، أقام الإمام أحمد بن الحسن في موضع كنيس اليهود بصنعاء مسجداً اشتهر باسم مسجد الجلاء[5].

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٥٣، (موزع: بفتح الزاي، وهو شاذ في القياس، موضع في اليمن من مدن تهامة. انظر ياقوت: معجم البلدان، ط: دار صادر ببيروت، ١٩٥٧، جـ ٥، ص ٢٢١، المخا: موضع باليمن بين زبيد وعدن بساحل البحر، انظر، ياقوت: معجم البلدان، جـ ٥، ص ٦٧).

(٤) المصدر السابق، ص ٣٥٣، البون: قاع فسيحة من مدنها عمران وريدة تقع إلى الغرب من صنعاء مساحته ٦٠ كيلو متراً، والبون كما يذكر ياقوت قرى: البون الأعلى، والبون الأسفل، ولا يقوله أهل اليمن إلا بالفتح، ياقوت: معجم البلدان، جـ ١، ص ٥١٢؛ وانظر عبد الله الثور هذه هي اليمن، ط القاهرة، ١٩٦٩، ص ٣٨٨.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٦١، محمد بن أحمد الحجري: مساجد صنعاء عامرها وموفيها، ط: ثانية ١٣٩٨، ص ٤٢، وفي جدار مسجد الجلاء سجل القاضي محمد بن إبراهيم السحولي هذه الأحداث مكتوبة بالجص البارز شعراً فقال:

إمامنا المهدي شمس الهدى	أحمد سبط القائم القاسم
له كرامات سمت لم تكن	لها دوي قبل أو قاسمي
لو لم يكن منها سوى نفية	يهود صنعاء أخبث العالم
وجعله بيعتهم مسجداً	لساجد لله أو قايم
قد فاز بالأمر به غانماً	واتفق التاريخ في غانم ١٠٩١هـ

ولم تنته القضية عند هذا الحد، فلم تكد تمضي سنتان على إجلاء اليهود إلى موزع، حتى وصلت الأخبار إلى الإمام أحمد بن الحسن، بسوء حالهم، وضيق أمورهم. ورأى الإمام أنه مسؤول عنهم باعتبارهم أهل ذمة ويعيشون في نطاق دولته، ولذلك أعادهم إلى صنعاء مرة ثانية. ولكنهم عندما عادوا، وجدوا أن أكثر أماكنهم قد بيع[١]. فاختار لهم الإمام موضعاً في غربي منطقة (بئر العزب)[٢]. وسمي هذا الموضع (قاع اليهود)، أو قرية اليهود[٣]. وما زال الموضع يحمل هذا الاسم حتى الآن في مدينة صنعاء. ويبدو أن هذا الإجلاء كان درساً قاسياً ليهود اليمن، حيث عاشوا في اليمن بعد ذلك في هدوء، واحترام للعرض والمال، وأعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون[٤].

الأوصاف المادية للمخطوطة:

غرة المخطوطة أو اللوحة الأولى منها جاء فيها بعد البسملة: «الحمد لله الذي أظهر دين الإسلام على كل دين، وأيده وأعلاه بأئمة هادين مهتدين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، دامغ أنوف الكفرة الجاحدين، وعلى آله الأطهار المنتخبين وبعد: فإن المولى أمير المؤمنين المهدي لدين رب العالمين أيده الله تعالى، لما أمر بإجلاء اليهود المخالفين لما أخذ عليهم في العهود من مداين اليمن وبواديه ومن أقاصيه وأدانيه».

كتبت المخطوطة بخط نسخي معتاد قديم، وبمداد أسود، ولاحظت من خلال قراءة المخطوطة أن الناسخ لم يستخدم التنقيط كثيراً، على الرغم من أن أسلوب الكتابة يمت بصفة وثيقة إلى الخط النسخي الذي يعتمد على التنقيط. ولاحظت أيضاً أن الناسخ حاول إضفاء بعض التعبيرات الزخرفية على بعض الكلمات في المخطوطة، مثال ذلك إلحاق زخرفة بسيطة مضفرة في نهايات بعض الكلمات القليلة بالمخطوطة، كما لجأ الناسخ في بعض الأحيان إلى كتابة كلمات فوق بعضها، مما أكسب المخطوطة طابعاً جميلاً.

---

(١) عبد الإله بن الوزير: طبق الحلوى، ص ٣٥٣.

(٢) (بئر العزب): ربض من أرباض صنعاء في غربيها، انظر العرشي: بلوغ المرام، تحقيق: الأب أنستاس الكرملي، ط: دار إحياء التراث العربي، ص ١٣٨.

(٣) (قاع اليهود): ويقع في غربي بئر العزب، ولليهود فيه سوق خاصة بهم، ولا يقيم في القاع أحد غير اليهود،
المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

وتقع المخطوطة في ثمان ورقات، في كل ورقة صفحتان، عدا الصفحة الأولى ـ صفحة العنوان ـ والصفحة الأخيرة، وحجم الصفحة ٢٥X ١٥سم، وفي كل صفحة ٢١ سطراً، وفي كل سطر ما بين ٩ كلمات، ١١ كلمة.

وصفحة العنوان كتب في أعلاها «فتح الملك المعبود في ذكر إجلاء اليهود»، وتحت العنوان تأليف: الفقيه العلامة صلاح الدين[1] صالح بن داود الآنسي، رحمه الله رحمة الأبرار أنشأها جواباً على من اعترض الإمام المهدي في إجلاء اليهود عن أماكنهم.

وعلى هامش صفحة العنوان عبارات تتحدث عن قضايا بسيطة في علم النحو مكتوبة بخط محمد بن سعيد البشاري، أستبعد أن يكون هو نفسه ناسخ المخطوطة، لمغايرة الخط الذي على الهامش للخط الذي كتبت به المخطوطة. وعلى هذا فالمخطوطة مجهولة الناسخ.

وعلى الصفحة الأخيرة تأتي هذه العبارة نهاية للمخطوطة: «ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك رحمنا الله برحمته وعصمنا عن ارتكاب معصيته بحق محمد وآله آمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

تحليل المادة التاريخية للمخطوطة:

طبقاً لعنوان المخطوطة فإن موضوعها يتناول حادثة إجلاء اليهود من اليمن، ويلاحظ أن قرار الإمام الزيدي المهدي أحمد بن الحسن (ت: ١٠٩٢هـ) صادف معارضة من جانب بعض العلماء وكبار الشخصيات في الدولة، بينما وقف إلى جانب الإمام في قراره عدد من العلماء من بينهم الآنسي، ولذلك فهو يحاول حشد أكبر قدر ممكن من الأدلة التي تؤكد على ضرورة إجلاء اليهود من اليمن، واستمد هذه الأدلة من أحاديث الرسول، ﷺ، وسياسة الخلفاء الراشدين من بعده، وما ذكر في مؤلفات الأئمة الزيدية حتى عصره.

---

(١) وصلاح الدين من الألقاب المركبة والمضافة إلى كلمة الدين، وهذا اللقب أطلق على صلاح الدين الأيوبي حتى أصبح نعتاً خاصاً به، كما أضيفت لهذا اللقب عدة ألفاظ أخرى مثل صلاح الدين والدنيا، ولاحظت ذيوع هذه الألقاب في اليمن بعد الفتح الأيوبي لليمن، وسرى ذلك في بلدان اليمن عل المستويين الرسمي والشعبي، انظر: حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ط: القاهرة، ص ٢٧٩، ٢٨٠.

وكان المنهج التاريخي للآنسي في عرض موضوعه وتحليله غاية في الدقة والأمانة العلمية فيما نقله من نصوص تاريخية عن غيره من المؤرخين كالهمداني. وهو يحدد أمامنا ثلاث اتجاهات حول هذا الموضوع. الاتجاه الأول يؤكد أصحابه على ضرورة إخراج اليهود من جزيرة العرب بمعناها الاصطلاحي عند الجغرافيين، والثاني ينظر إلى إخراجهم من الحجاز على اعتبار أن المراد بالحجاز بعض جهات فقط من الجزيرة العربية، أما الاتجاه الثالث فمستنبط من النصوص والقرائن التاريخية، ويرى هذا الاتجاه إخراج اليهود من ديار الإسلام مطلقاً على أساس أن النصوص الدينية التي أمرت بإجلاء اليهود من جزيرة العرب كانت في زمن الرسول، ﷺ، وديار المسلمين في زمنه، عليه الصلاة والسلام - لم تتعد الجزيرة العربية، فإذا اتسعت ديار الإسلام بعد ذلك وجب تطبيق هذا المبدأ عليها.

استغرق هذا الموضوع خمس ورقات من ورقات المخطوطة الثماني، أما باقي المخطوطة فتحدث فيه الآنسي عن بعض الظواهر الاجتماعية، التي استشرت في المجتمع اليمني منذ نهاية القرن العاشر الهجري، وارتبطت هذه الظواهر بزراعة التبغ أو (التنباك) أو (التتن)، كما يسميه اليمنيون، وزراعة البن، وزراعة القات.

ولا شك أن ظهور هذه الأنواع الجديدة من المزروعات - غير التقليدية في اليمن - أدى إلى ظهور قوى اجتماعية جديدة في الريف اليمني، وهي الفئات المنتجة لهذه الأنواع، والتي تمتلك مساحات واسعة من الأراضي. وباتت هذه القوى تسيطر على الأسواق الداخلية فيما يتعلق بالتتن والقات، وهي الأنواع التي تستهلك محلياً في اليمن، والأسواق الداخلية والخارجية فيما يتعلق بالبن الذي اشتهرت به اليمن قروناً عديدة.

ونظراً لخطورة التتن والقات على الفرد والمجتمع في اليمن، فقد لجأ الآنسي إلى أسلوب التحليل العلمي الدقيق لهاتين الظاهرتين، مدعماً رأيه - بحكم عمله كقاضٍ - بالأدلة الشرعية، فهو يلحق التتن بآلات وأدوات الملاهي، التي تشغل الناس عن آداء أعمالهم، كما أنه يحملهم أعباء اقتصادية فوق طاقتهم، فيوضح لنا أن أوقية التتن في أيامه كانت تباع بثمانية دراهم، وهنا إشارة إلى بعض أنواع الموازين والعملات التي كانت مستعملة في ذلك العصر كالأوقية والدرهم الزيدي.

كما أوضح الآنسي تأثير انتشار شجرة التتن على منتجات الألبان في اليمن في

عصره حيث أثر ظهور هذه الشجرة على المنتج من كميات الألبان والسمن اللازمة للاستهلاك المحلي في اليمن في عصره، لأن هذه الشجرة لها تأثير خطير في تقليل الألبان عند اتخاذها كمرعى للماشية. وذلك رافق انتشار هذه الشجرة ارتفاع شديد في أسعار الألبان والسمن في أسواق اليمن في ذلك الوقت، من أجل هذا كان قرر الإمام المهدي أحمد بن الحسن بقطع شجرة التتن وحظر استعماله أو زراعته.

أما القات فإن ما كتبه الآنسي عنه في هذه المخطوطة يعد وثيقة هامة جداً، تعرف منها أن زراعته انتشرت انتشاراً واسعاً في اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري، وأن كثيراً من العلماء وقفوا منه موقف الرفض، وألفوا في ذلك مؤلفات عديدة، كما كان هناك فريق من العلماء والمسؤولين يحبونه ويقبلون عليه ويدبجون فيه القصائد للتغني به وبأثره وما يجلبه على النفس من متعة وبهجة.

هذا على المستوى الشعبي، أما على المستوى الرسمي فإن الإمامة الزيدية ـ في كثير من الأحيان ـ وقفت إلى جانب العلماء الذين رأوا كراهة في مضغ القات وزراعته. ومن ثم حرمه ونهى عنه بعض الأئمة كالإمام شرف الدين الذي أمر بقطع شجرة القات. والنص يشير إلى أن مزارع القات كانت ـ على الرغم من ذلك ـ تمد بيت المال بمبالغ ضخمة من العشر المأخوذة زكاة على منتجات هذه المزارع.

وينبغي أن نشير إلى أن الآنسي وهو يرصد ملاحظاته التاريخية عن تأثير هذه المنتجات الزراعية على البنية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع اليمني، قد اهتم ـ بطبيعته الفقهية ـ بمدى حل هذه الأنواع أو حرمتها وموقف الشريعة الإسلامية منها.

ولا شك أن الإشارة إلى هذه الظواهر الاجتماعية تؤكد أن هذه الأمور كانت تؤرق بال العلماء في ذلك العصر، لما لها من مردودات خطيرة على الفرد والمجتمع في اليمن في ذلك الوقت.

بسم الله الرحمن الرحيم رب أعن

الحمد لله الذي اظهر دين الاسلام على كل دين ونشره واعلاه بالهداة من مهتدين والقلوب والسلام على سيد الاولين والاخرين دامع انوف الكفرة الجاحدين وعلى آله الاطهار المنتجبين وبعد فان المولى امير المؤمنين المهدي لدين رب العالمين ايده الله تعالى شانيه وبصالح عباده لما امر باجلاء اليهود المخالفين لما اخذ عليهم في العهود من مدائن اليمن وبوادية ومن اقاصيه وادانيه مكة ذلك كثير من اولي البصائر والساداة الاكابر ولوحش من ذلك الاقصا به بعض الهوام ولا مكان له ذلك ولا سند له من اسباب المدارك برغبة الفوز برضا الله والمسارعة الى امتثال امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والامر بذلك ليس بعجيب ولا مستحدث غريب بل هو الذي ذكره الايمة الاعلام والسادات العظام والذي نص عليه علي ال القسام والسلام والله سبحانه يقول ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فقال صلى الله عليه وآله وسلم اخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يجتمع في جزيرة العرب دينان وكان من آخر ما تكلم به وقال صلى الله عليه وسلم اخرجوا اليهود الحجاز واهل نجران من جزيرة العرب وقال صلى الله عليه

لا يكون قبلتان في بلد واحد وفي رواية لا يصلح قبلتان في ارض واحدة وجزيرة العرب معروفة وحدها من عدن ابين الى تخوم الشام طولا ومن عمان الى جدة عرضا وسميت بلاد العرب جزيرة لاحاطة البحار بها بحر فارس من جهة المشرق وبحر الحبش من جهة المغرب والفرات من جهة الشمال وله حكم البحار وانه كان تجار بالايريغ عليهم بالسفن قال بعض المورخين هو اسم لجبل السراة وهو اعظم جبال العرب واذكرها وهو ممتد من قعر اليمن الى اطراف الشام سمته العرب حجازا لانه حجز بين الغور وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر وعلى هذا يدخل في الحجاز كثير من اليمن ولما اطلقه على مكة والمدينة وما بينهما فلا يعقل بتسميته بذلك والغالب في الاسماء اهمالها والله اعلم ولعل وجه الحكمة في امر النبي صلى الله عليه وآله وسلم باخراجهم من جزيرة العرب تشريفهم وتشريف بلادهم عن اجتماع دينين فيها واتحاد قبلتين لشرفهم به صلى الله عليه وآله وسلم وتنزيه الحرمين الشريفين عن قربهم ومما يرشد الى ذلك قوله الله سبحانه انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ولانه صلى الله عليه وآله وسلم علم باعلام الله انه لا مصلحة في بقائهم فيها او انه يكون نكاية في الاسلام واهله تمامعه ما

تا تم

صفحات من نص مخطوطة الآنسي

عليه بعضهم في ذلك وأما القات فبدعة لعات
بدعة الدين في وجه الكراهة وقد جمع فيه بعض الأئمة
مؤلفا سماه تحذير الثقات عن أكل الكفتة والقات
وكذلك الإمام شرف الدين عليه السلام له تأليف
في تحريمه وذكر أنه من المغيرات ونهى عنه وأمر
بقطع شجره في جميع النواحي وشدد في ذلك فإن مع
هذا فإنه كان يدخر من معشر أن نزلت المال له
كم فلم يلتفت إلى ذلك ولم يجعل وجها مرخصا هذا
معنى كلامه إذا لم يحضر ونقد رسم هذا الكلام
لفظه وعارضه في ذلك ولده عبد الله وأشياعه
بتصنيف تضمن حله ومدحه ولا يزالون مختلفين
إلا من رحم ربك رحمنا الله برحمته وعصمنا عن
ارتكاب معصيته بمحمد وآله آمين ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الصفحة الأخيرة من نص مخطوطة الآنسي

التحقيق



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أظهر دين الإسلام على كل دين، وأيده وأعلاه بأئمة[1] هادين مهتدين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، دامغ[2] أنوف الكفرة الجاحدين وعلى آله الأطهار المنتخبين[3] وبعد.

فإن المولى أمير المؤمنين المهدي[4] لدين رب العالمين، أيده الله تعالى بتأييده وبصالحي عباده، لما أمر بإجلاء[5] اليهود المخالفين لما أخذ عليهم من العهود في مداين اليمن وبواديه، ومن أقاصيه وأدانيه[6] وأنكر،[7] ذلك كثير من أولى البصائر والسادات الأكابر وأوحش من ذلك الإصابة ببعض الفواقر[8].

ولا وجه لنكارة ذلك ولا نعده من أسباب المهالك، بل فيه الفوز برضى الله،

---

(١) في الأصل (بايمة).

(٢) في الأصل (دامع).

(٣) في الأصل (المتحين).

(٤) الإمام المهدي هو أحمد بن الحسن بن القاسم، بويع بالإمامة بعد وفاة الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم، ويعد أحمد بن الحسن أكبر قائد أنجبته الأسرة القاسمية، استمر في الإمامة حتى وفاته في سنة (١٠٩٢هـ)، ويعد من أشجع الأئمة وأشدهم رأياً وأعظمهم تدبيراً حتى أنه عرف (بسيل الليل)، وهو الذي أجلى اليهود عن مدينة صنعاء ورأيت في متحف صنعاء الوطني الخوذة التي كان يلبسها على رأسه في حروبه، وقد كتب على مقدمتها (برسم صفي الدين أمير المؤمنين أحمد بن الحسن، انظر الواسعي: فرجة الهموم، طبعة القاهرة ١٣٤٦، ص ٢٢٢، عبد الله الشماحي: اليمن الإنسان والحضارة، ط ١٩٧٢، ص ١٤٦، محمد يحيى الحداد: اليمن، طبعة دار الهنا ١٩٧٦، ص ٣٢٩.

(٥) في الأصل (بإجلا).

(٦) في الأصل (وإذاميه).

(٧) في الأصل (مكر).

(٨) في الأصل (العوامر)، (جمع فاقرة، والفاقرة الداهية، بمعنى الدواهي (أو المصائب) كما في قوله تعالى: ﴿**تظن أن يفعل بها فاقرة**﴾ انظر محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، منشورات دار الحياة - بيروت، جـ ٣، ص ٤٧٤).

والمنازعة إلى امتثال أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والأمر بذلك ليس بعجيب ولا مستحدث غريب[١]. بل من الذي ذكره الأئمة الأعلام والسادات العظام[٢] والذي نص عليه وعلى آله الصلاة والسلام. والله سبحانه يقول: ﴿**وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[٣]. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب»[٤]. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يجتمع في جزيرة العرب دينان»[٥]. وكان من آخر ما تكلم به. وقال صلى الله عليه (وسلم): «أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب»[٦]. وقال ﷺ[٧]: «لا تكون قبلتان في بلد واحد». وفي رواية: «لا يصلح قبلتان في أرض واحد»[٨].

وجزيرة العرب معروفة وحدها من عدن أبين[٩] إلى تخوم الشام طولاً، ومن عمان[١٠] إلى جدة[١١] عرضاً، وسميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة البحار بها، بحر

---

(١) في الأصل (عريب).

(٢) في الأصل (العطام).

(٣) سورة الحشر: الآية(٧).

(٤) ذكر الترمذي هذا الحديث برواية عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله، ﷺ، قال: «لئن عشت إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب» وبرواية أخرى عن عمر، رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله، ﷺ، يقول: «لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، فلا أترك فيها إلا مسلماً» الترمذي: صحيح الترمذي، طبعة المطبعة الأزهرية ١٩٣١، جـ ٧، ص ١٠٧، ١٠٨.

(٥) أخرج البيهقي من حديث مالك عن ابن شهاب أن رسول الله، ﷺ، قال: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب» ابن الأمير: سبل السلام، ط ١٩٨٠، ص ١٣٦٧.

(٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى برواية «أبي عبيدة بن الجراح، انظر: البيهقي السنن الكبرى، طبعة حيدر أباد الدكن بالهند سنة ١٣٥٦هـ، جـ ٩، ص ٢٠٨.

(٧) ما بين حاصرتين إضافة لتمام المعنى.

(٨) الحديث بروايته: أخرجه أبو داود بقوله: «حدثنا سليمان بن داود العتكي، حدثنا جرير، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله، ﷺ: «لا تكون قبلتان في بلد واحد» انظر: أبو داود: سنن أبي دود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: دار الكتب العلمية ببيروت، جـ ٣، ١٦٥.

(٩) عدن أبين: عدن بالتحريك وآخره نون مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند (المحيط الهندي) من ناحية اليمن، وتضاف عدنٌ إلى أبين، وهو مخلاف، عدن من جملته. وقال عنه الهمداني عدن جنوبية تهامية وهي أقدم أسواق العرب. ياقوت: معجم البلدان، ط: دار صادر ودار بيروت، جـ ٥، ص ٨٩.

(١٠) عُمان: بضم أوله، وتخفيف ثانيه، وآخره نون، اسم كورة وهي في شرقي هجر، وهي تشتمل على بلدان كثيرة، وقصبة عمان: صحار، المصدر السابق، جـ ٤، ص ١٥٠.

(١١) جدة: بالضم والتشديد بلد على ساحل بحر اليمن (البحر الأحمر)، وهي فرضة مكة، بينها وبين مكة=

فارس من جهة المشرق، وبحر الحبشة من جهة المغرب، والفرات من جهة الشمال، وله حكم البحار - وإن كان جارياً - لأنه يعبر عليه بالسفن.

قال بعض المؤرخين هو اسم لجبل السراة، وهو أعظم جبال العرب وأذكرها، وهو ممتد من قعر اليمن إلى أطراف الشام، سمته العرب حجازاً لأنه حجز بين الغور وهو هابط، وبين نجد وهو ظاهر. وعلى هذا يدخل في الحجاز كثير من اليمن[١]. وأما إطلاقه على مكة والمدينة وما بينهما فلا يعقل بتسميته لذلك[٢] والغالب في الأسماء[٣] أنها معللة والله أعلم.

ولعل وجه الحكمة في أمر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بإخراجهم[٤] من جزيرة العرب تشريفهم[٥] وتشريف بلادهم عن اجتماع دينين فيها، واتخاذ قبلتين لشرفهم به - صلى ا، عليه وآله وسلم - وتنزيه الحرمين الشريفين عن قربهم ومداناتهم. يرشد إلى ذلك قول الله سبحانه: ﴿**إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام**﴾[٦]. أو لأنه - صلى الله عليه وآله وسلم - علم بإعلام الله أنه لا مصلحة في بقائهم فيها أو أنه يكون نكاية في الإسلام وأهله، سيما مع تقارب زمان أشراط الساعة وقرب خروج الدجال،[٧] وهم أعظم جنده[٨] وأنصاره كما ورد به الخبر، وقد قال - صلى الله عليه وآله وسلم -: «لا تقوم حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم الا سلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر

= ثلاث ليالٍ، وبين جدة وعدن نحو شهر، المصدر السابق، جـ ٢، ص ١١٤، ١١٥، الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٨٤.

(١) هذا التفسير الجغرافي لمنطقة نجد والحجاز وتهامة نقله الآنسي عن الهمداني، انظر المصدر السابق ص ٨٥.

(٢) في الأصل، (لذالك).

(٣) في الأصل، (الأسما).

(٤) في الأصل، (بإحراجهم).

(٥) في الأصل، (تسريفهم).

(٦) سورة التوبة: الآية (٢٨).

(٧) انظر الأحاديث التي وردت عن الرسول، ﷺ، حول خروج الدجال في سنن أبي داود، جـ ٤، كتاب الفتن والملاحم، ص ٩٤، ٩٥، وفي صحيح مسلم، بشرح النووي، طبعة المطبعة المصرية ومكتبها، الجزء الثاني، ٢٢٣-٢٣٨.

(٨) في الأصل (حدة).

والشجر: يا مسلم يا عبد اللّه هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر»[1] رواه مسلم عن أبي هريرة، وفي البخاري قريب منه.

والفرقد هو العوسج[2]، فإذا أخرجوا من جزيرة العرب كانت العرب في راحة من مقابلتهم في أوساط ديارهم، وإن قاتلوهم في أطرافها مع سائر[3] المسلمين كانوا في أمن من ورائهم والله أعلم.

وقوله، ﷺ: «أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب»[4] غير معمول بمفهومه، وهو عدم إخراج غيرهم من غير الحجاز لأنه مفهوم لقب، وليس[5]، من التخصيص كما قيل، لأن ذكر بعض أفراد العام الموافقة له في الحكم لا يقتضي[6] التخصيص على الصحيح. قال الإمام المهدي[7] في المعيار[8]: وذكر حكم الجملة لا يخصصه ذكره لبعضها، إذ لا يمتنع تعليق الحكم بالجملة ثم يذكره لبعضها تأكيداً لا تخصيصاً. انتهى، وهذا من أمثلته والله أعلم.

ومثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أيما[9] أهاب دبغ[10] فقد طهر»، وقوله في

---

(١) ورد هذا الحديث في فتح الباري بشرح البخاري بروايتين إحداهما عن أبي هريرة عن رسول الله، ﷺ، أنه قال: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: «يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله»، والأخرى عن عبد اللّه بن عمر قال: قال رسول الله، ﷺ: «تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر، فيقول يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله» انظر، ابن حجر: فتح الباري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد اللّه بن باز، ط: المملكة العربية السعودية، ج ٦، ص ١٠٣.

(٢) العوسج: نوع من شجر الشوك له ثمر أحمر مدور، كأنه خرز العقيق، وهو شجر كثير الشوك، الزبيدي: تاج العروس، ص ٢، ص ٧٤.

(٣) في الأصل (ساير).

(٤) انظر هامش (٦)، ص ٢٦.

(٥) في الأصل (ولش).

(٦) في الأصل (معص).

(٧) هو الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى ينتهي نسبه إلى الهادي يحيى بن الحسين ولد في مدينة ذمار سنة (٧٦٤هـ) وتوفي في سنة (٨٤٠هـ) وهو من أشهر علماء الزيدية وأكثرهم تأليفاً، من مؤلفاته البحر الزخار ومتن الأزهار في فقه الأئمة الأطهار، زبارة: أئمة اليمن، ص ٣١٢، ٣١٦.

(٨) هو كتاب «معيار العقول في علم الأصول للإمام أحمد بن يحيى المرتضى، المرجع السابق، ص ٣١٦.

(٩) في الأصل (أنما).

(١٠) في الأصل، (دلع)، أخرجه أبو داود، برواية عن ابن عباس، رضي الله عنه، قال: «سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «إذا دبغ الإهاب فقد طهر»، انظر أبو داود: سنن أبي داود، ج ٤، ص ٦٦.

جلد ميتة: «دباغها طهورها»[١] وغير ذلك لعدم التعارض بينهما، إذ لا منافاة بين العام والخاص، والموجب للتخصيص هو التنافي، إذ يمتنع العمل بهما من كل وجه معه فيصار إلى التخصيص ليحصل العمل بهما من وجه. مثال التنافي: اقتلوا المشركين[٢]، لا تقتلوا أهل الذمة. وهنا (أي في قضية إخراج اليهود من اليمن)[٣] لا تنافي بينهما وأفردهم بالذكر تأكيداً واهتماماً بإخراجهم لمزيد حنثهم، وشدة عدواتهم، وعظيم شوكتهم في ذلك الزمان، وكون مساكنهم بالقرب من الحرمين الشريفين.

على أن بعض اليمن أو أكثر مما ينطبق عليه اسم الحجاز كما ذكره بعض المؤرخين[٤]. وما قيل إنه لم ينقل عن أحد من الخلفاء أنه أجلى من كان في اليمن من أهل الذمة ولا تكلم في إجلائهم[٥]. وإنما أجلى عمر يهود خيبر إلى تيماء[٦] وأريحا[٧] من أرض الشام، وكذلك من كان من أئمة أهل البيت في اليمن فإنهم قروا[٨] أهل الذمة على ذمتهم، وقبلوا منهم الجزية سلف يعقبهم خلف إلى زماننا هذا، وما ذاك لأنهم فهموا أن المراد بجزيرة العرب مكة واليمامة والمدينة ومخاليفهما ووج[٩] والطائف[١٠] وما ينسب إليهما، ولو لم يحمل على ذلك لكان قد انطبق[١١] الخلفاء والأئمة والعلماء

(١) أخرجه أبو داود، المصدر السابق، ج ٤، ص ٦٦.
(٢) في الأصل (المسركين).
(٣) ما بين حاصرتين إضافة لتوضيح المعنى.
(٤) في الأصل (المورخين).
(٥) من أصحاب هذا الرأي الإمام الشافعي الذي قال في هذا الشأن «ولا أعلم أحداً أجلى أحداً من أهل الذمة من اليمن، وقد كانت بها ذمة وليس اليمن بحجاز فلا يجليهم أحد من اليمن ولا بأس أن يصالحهم على مقامهم باليمن» انظر: محمد بن إسماعيل الأمير: سبل السلام، ج ٤، ص ١٣٦٧.
(٦) تيماء: بالفتح والمد، بليد في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٧.
(٧) أريحا: بالفتح ثم الكسر، وياء ساكنة، والحاء مهملة، وهي مدينة الجبارين في الغور من أرض الأردن بالشام، بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس في جبال صعبة المسلك، المصدر السابق: ج ١، ص ١٦٥.
(٨) في الأصل، (قرروا).
(٩) وج: بالفتح ثم التشديد، وهو وادي وج الذي عرف بالطائف، المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٦١.
(١٠) الطائف: بعد الألف همزة في صورة الياء ثم فاء، والطائف هو وادي وج وهو بلاد ثقيف، بينها وبين مكة إثنا عشر فرسخاً، المصدر السابق، ج ٤، ص ٨، ٩.
(١١) في الأصل، (الطيق).

وأهل الولايات على مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وحاشاهم[١].

فحق أن الخلفاء المتقدمين على أمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - لا حجة في جميع أفعالهم وأقوالهم وتصرفاتهم لعدم استحقاقهم للخلافة، ولو سلم أن في ذلك حجة بانضمام الاجتماع السكوتي في جميع الصحابة والتابعين، لم يتم إلا مع سماع قول أو مشاهدة فعل يفيد تقرير اليهود في اليمن، وعدم وجوب إجلائهم[٢]، ولم ينقل إلا مجرد الترك والسكوت عنهم لأعذار[٣] وصوارف مانعة. أما أبو بكر فمدته قصيرة، ومع ذلك اشتغل بقتال أهل الردة، وناهيك من عذر. وأما عمر فقد أجلى يهود خيبر، وبقية في الحجاز إذا كان المراد به صقعاً معروفاً غير جبل السراة، وتركه اليهود(باليمن محمول على ما ذكر من الأعذار كجهاد فارس والروم وغيرهما).[٤] وهو أهم من النظر[٥] في إجلاء[٦] اليهود.

وأما عثمان فما كان اهتمامه إلا بجمع الأموال وتفريقها في بني أمية، وإقطاعهم صوافي المسلمين يخضمونها خضم[٧] الإبل النهم[٨]، وعد ذلك من العرب برغمة[٩]، حيث وصل أرحامه وبني أبيه، ونكاية أولياء أمير المؤمنين وشيعته، كأبي ذر وعمار ومحمد بن أبي بكر، وكبراء أهل الكوفة كالأشتر النخعي[١٠] ونظائره، وغير ذلك من أحداثه التي تشاغل بها عن الاهتمام بصلاح أمور الإسلام والمسلمين، التي من أهمها امتثال أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والمسارعة إلى إخراج اليهود من جميع جزيرة العرب، فكيف يجعل تركهم لذلك حجة.

---

(١) في الأصل، (اوحاشاهم).
(٢) في الأصل، (اجلابهم).
(٣) في الأصل، (لاعدار).
(٤) مابين حاصرتين إضافة لتوضيح المعنى.
(٥) في الأصل، (النظر).
(٦) في الأصل، (اجلا).
(٧) الخضم: الأكل بأقصى الأضراس، أو هو ملء الفم بالمأكول، أو الأكل بجميع الفم، انظر الزبيدي: تاج العروس، ج ٨، ص ٢٧٩.
(٨) النهم: الذي لا يشبع، المصدر السابق، ج ٩، ص ٨٧.
(٩) في الأصل، (برعمه).
(١٠) هو مالك الأشتر بن الحارث النخعي، عن مكانته زمن عثمان، رضي الله عنه، انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ط بيروت ١٩٦٥، ج ٣، ص ١٠٧، ١٠٨، ١٣٤، ج ٥، ص ٥١٨.

وأما أمير المؤمنين علي فأعذاره أوضح من الشمس، فإن أوقاته وأيام خلافته استغرقها[١] في قتال الناكثين، ثم القاسطين، ثم المارقين[٢] فكيف يمكنه النظر في هذه البوائق واللواحق[٣]. وإلا فهو القائل: لأن مكن الله وطابي[٤] وفي رواية أخرى، لئن أبقاني الله، لأقتلن[٥] رجالهم، ولأسبين ذراريهم، ولآخذن أموالهم لأنهم نقضوا عهدهم، وخالفوا شرطهم».

وكذلك من بعده من أئمة العترة الطاهرة شغلوا بما هو أهم وألزم، وهو جهاد الظالمين والكفرة والملحدين. وقد قال الهادي إلى الحق[٦] في الأحكام، بعد ذكر ما يوجد من أهل الذمة. إنما يوجد ذلك[٧] منهم إذا لم تكن[٨] تظهر كلمة حق وتثبت لهم[٩]، وتخفق راية صدق، فأما إذا أظهر[١٠] الله إمام حق رأيت لهم أن يدعوهم إلى الإسلام، فإن أبوا فقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم، واصطفى أموالهم لأنهم نقضوا العهد وقت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر مثله في التقرير عن المنصور بالله[١١]. وهذا الكلام يدل على أنه لا ذمة لهم وأنهم على أصل الإباحة لنقضهم ما عوهدوا عليه، وإنما أخذه[١٢] الجزية منهم

---

(١) في الأصل، (استغرقه).
(٢) في الأصل، (المارقين).
(٣) في الأصل، (والواحق).
(٤) وطابي: الوطب سقاة اللبن، ولعل المعنى يفهم هنا مما قيل في معنى (صفر الوطاب)، أي خلو أساقية من الألبان، الزبيدي؛ تاج العروس، جـ ١، ص ٥٠٣، ٥٠٤.
(٥) في الأصل، (لأبقاني الله لأقتل).
(٦) هو الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي، مؤسس دولة الأئمة الزيدية في صعده سنة (٢٨٤هـ) انظر يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ ١، ص ١٦٧، ١٦٨، وعلي بن محمد العباسي، سيرة الإمام الهادي إلى الحق، ط ثانية ١٩٨١، ص ١٧.
(٧) في الأصل (ذالك).
(٨) في الأصل (سكن).
(٩) في الأصل (واتت).
(١٠) في الأصل (اطهر).
(١١) المنصور بالله هو الإمام القاسم بن علي بن محمد نسبه يصل إلى الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، توفي سنة ١٠٢٩هـ، وهو مؤسس الدولة القاسمية الزيدية، وأعلن دعوته في سنة (١٠٠٦هـ)، انظر عيسى بن لطف الله: روح الروح، طبعة ثانية، ١٩٨١، جـ ٢، ص ٤٩، د. أحمد صبحي: الزيدية، طبعة منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٨٠، ص ٧٥٢.
(١٢) في الأصل (أحده).

لعدم التمكن من قتلهم وسبي ذراريهم وهو كلام أي متكلم

إذا قالت حزام صدقوها فإن القول ما قالت حزام[1]

وقال الإمام يحيى عليه السلام[2] عند قوله بجواز نكاح الكتابية: وهذا إذا كانت في بني إسرائيل ولم يبدلوا شيئاً[3] من دينهم، ولا في كتبهم. فأما هؤلاء بعد المبعث فقد غيروا[4] وأبدلوا وحرفوا، فلا يجوز نكاح حرائرهم ولا وطأ ملك اليمين[5] منهم، لتغيرهم ومخالفتهم ما عوهدوا عليه فيهم كأهل الحرب في تحريم نكاح نسائهم، ولا ينفعهم قراءة[6] التوراة والإنجيل.

قال عليه السلام، وإن أمكن الله وطأتي[7] في اليمن قتلت أكثرهم لامتناعهم عن الجزية والصغار، وأجليت الباقين عن جزيرة العرب، ومثل الكلام عن اليمن، فقد قال صلى الله عليه (وسلم)[8]: «لا يجتمع في جزيرة العرب دينان»[9]. وهذا مثل كلام الهادي في أنه لا ذمة لهم ثابتة، وإنما منع من إخراجهم عدم التمكن منهم[10]. وأخذه الجزية على جهة الاضطرار. وكذلك غيرهم من الأئمة. فإنهم لم يتمكنوا من إنفاذ أحكام الشريعة إلا في أماكن قليلة في قطر اليمن، لاشتغالهم بمقابلة آساد الفساد[11]، وأرباب

---

(١) البيت قيل: هو لديسم بن طارق أحد شعراء الجاهلية، والصواب، كما في اللسان مادة (رق ش) أنه للجيم بن صعب، وفي البيت شاهد نحوي، عنه انظر ابن هشام: شذور الذهب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة: المكتبة التجارية، ١٩٦٨، ص ١٣٢.

(٢) الإمام يحيى هو يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ولد سنة (٦٦٩هـ) في مدينة صنعاء، وكانت دعوته للإمامة سنة (٧٢٩هـ) في صعدة وبلاد الظاهر والشرف، وكان من العلماء الأجلاء أصحاب التصانيف الكثيرة، توفي سنة (٧٤٩هـ) انظر، زبارة: أئمة اليمن، ج ١، ص ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠.

(٣) في الأصل، (شيا).

(٤) في الأصل، (عمر).

(٥) في الأصل، (اليمن).

(٦) في الأصل، (قراة).

(٧) في الأصل، (وطابي). والقائل هنا الإمام يحيى بن حمزة.

(٨) ما بين حاصرتين إضافة لتمام المعنى.

(٩) انظر هامش رقم (٥)، ص ٢٦.

(١٠) في الأصل، (إخراجكم الله منهم عدم التمكن).

(١١) في الأصل، (الفسادد).

العناد، فلا حجة مع هذه الاحتمالات، وظهور الأعذار المانعة، كما أفصح به كلام أمير المؤمنين[١]، وكلام الإمامين الأعظمين[٢].

على أنه يحمل تقرير الخلفاء والأئمة السابقين ليهود اليمن على ظهور مصلحة حالية عن معارضة مفسدة، وليس تقريرهم في أعصارهم، يستلزم تقريرهم على ذلك الأبد بل لكل إمام نظرة واجتهاده على حسب ما يهدي إليه الدليل، ويظهر له من المصلحة الراجحة إلا أن ينقل أن مصالحتهم بالجزية[٣] مؤبدة، وقلنا إنه يصلح تأبيد[٤] المصلح والأصل عدم ذلك.

وأما حمل جزيرة العرب على مواضع خاصة كمكة[٥] والمدينة وما والاهما فبعيد مخالف للظاهر، ومن فهم أن المراد به ذلك، لم يكن فهمه له حجة على من فهم خلافه، فإن العلماء لم يزالوا يستنبطون[٦] أدلة وعللاً للحكام على حسب ما يفهمون من الخطابات الشرعية والموضوعات اللغوية من غير تناكر، لا سيما عند المصوبين، وأيضاً فإنه[٧] يمكن أن يريد النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم، بقوله: «أخرجوهم من جزيرة العرب»[٨] من بلاد الإسلام، فعبر عن بلاد الإسلام بجزيرة العرب، إذ لم يكن قد دخل في الإسلام إلى موته ﷺ إلا العرب. وكانت الفتوحات لبلاد العجم من بعد (لم تبدأ)[٩] ويدل على هذا التأويل[١٠]، قوله ، :صلى الله عليه وآله وسلم، «لا يصلح قبلتان في بلد واحد»[١١]، وقوله ، صلى الله عليه وسلم، : «المؤمن والمشرك لا تبرأ آثارهما»[١٢] وهذا تأويل حسن يندفع به كثير من الإيرادات والاعتراضات والله أعلم.

---

(١) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.
(٢) الإمامان هما الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، والإمام يحيى بن حمزة.
(٣) في الأصل، (بالحرمه).
(٤) في الأصل، (ماسد).
(٥) في الأصل، (كمله).
(٦) في الأصل، (يستنبطوا).
(٧) في الأصل، (فإن).
(٨) حول هذا الحديث، انظر، هامش (٤)، ص ٢٦.
(٩) ما بين حاصرتين إضافة لتمام المعنى.
(١٠) في الأصل، (الناويل).
(١١) حول هذا الحديث انظر، هامش (٨)، ص ٢٦.
(١٢) لم أعثر لهذا الحديث على أثر فيما توفر لدى من كتب الحديث.

وقول الله سبحانه وتعالى: **﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾**[١] الآية. وإن استلزم عموم الأماكن في قبول إعطاء الجزية والكف عنهم، فالمراد في غيرجزيرة العرب، بدليل ما تقدم وإلا لزم جواز[٢] تبقيتهم [٣] بإعطاء الجزية في الحرمين والمعلوم خلافه، وحقيقته أن عموم الأماكن مخصص إن لم ينزاح[٤] ورود المخصص، وأن يزاح[٥] كان ناسخاً لبعض ما يتناوله[٦] العام، وكذلك حديث معاذ وأمره ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بقبوله الجزية من يهود اليمن إذ أعطوها، والكف عنهم حكمه منسوخ، باعتبار المكان لتأخر حديث (أخرجوهم من جزيرة العرب).

هذا وزماننا هذا قد مكن الله وله الحمد وطأة[٧] أئمة أهل البيت في اليمن ونواحيه ومدائنه وضواحيه[٨]، وحقق فيه لآياتهم، وظهرت فيه كلمتهم بالحق، والرجا - في الله سبحانه - امتداد ذلك وانتشاره في أقاليم الأرض، وظهور كلمة الحق والمحقين في طول البسيطة والعرض، فعلى الإمام بلوغ أقصى جهده في اجتهاده، والنظر في شأن هؤلاء اليهود، وما يتعلق بهم في بقائهم من المصالح، وما يعارضها[٩] من المفاسد، والعمل بأرجح من ذلك والجميع بعد ذلك تبعاً له و**﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾**[١٠].

وهذا إذا كان لهم عهد باق لم يصدر منهم ما يوجب نقضه، وإلا كانوا على أصل الإباحة في أموالهم ونفوسهم، ولم يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، كما مرت الإشارة إليه في كلام الإمامين الأعظمين»[١١].

---

(١) سورة التوبة: الآية (٢٩).
(٢) في الأصل (حراز).
(٣) في الأصل (تبقيتهم).
(٤) في الأصل، (سراح).
(٥) في الأصل (مراح).
(٦) في الأصل (ساوله).
(٧) في الأصل، (وطأت).
(٨) في الأصل، (وضياحيه).
(٩) في الأصل، (يغارضها).
(١٠) سورة النساء: الآية (٥٩).
(١١) الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، والإمام يحيى بن حمزة.

وإذا رأى المولى إخراجهم من قطر اليمن لم يلزم حمايتهم، وحفظهم في الطرقات إلا في الأماكن التي تحت وطأته، وينفذ فيها أوامره ونواهيه حتى يبعدوا من أقطارها. ولا يلزم فيما وراء[١] ذلك كما هو الظاهر من فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يهود بني قينقاع، وبني النضير، فإنه لما أجلاهم أمنهم[٢] على نفوسهم وذراريهم، وما أقلت رواحلهم من أموالهم، ما عدا السلاح والحلقة، وهي الدروع، فخرجوا مسلمين ولم يفعل أنه أصحبهم من يحميهم في الطرق، ولا أنه شرط لهم ذلك، فلحق بعضهم بالشام، وبعضهم بخيبر، وذلك أيضاً لا يلزم تسليم قيمة دورهم وأرضهم، ولا يسلم لهم ما يبلغهم من الزاد[٣]. كل ذلك لعدم الدليل، وهو أيضاً ظاهر[٤] فعل النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم، في إجلاء من ذكر من اليهود، وإن كان أجلاهم بسبب نقضهم[٥] العهد. فقد جمعهم استحقاقاً لخلا(ف)[٦] أولئك[٧] بالنقض، وهو بالنص. هذا إذا كان لهم عهد لم ينقض، وأما إذا كان على ما فهم من كلام الهادي[٨]، والإمام يحيى[٩] من نقضهم العهد فأملاكهم فيئ. والتحقيق أنها فيئ[١٠] من وجه آخر، وهو أن الأئمة كان فتحهم لجميع اليمن بالعهد والغلبة. بعد أن كان دار حرب، فملك بجميع ما فيه من منقول وغيره حتى النساء[١١] والذراري من غير فرق بين المسلمين والكافرين. وهذا معلوم بالأدلة النيرة[١٢] وهي مذكورة في كتب الأئمة، وموضوعاتهم وجواباتهم وليس هذا موضوع ذكرها.

---

(١) في الأصل، (ورا).
(٢) في الأصل، (منهم).
(٣) في الأصل، (الراد).
(٤) في الأصل، (طاهر).
(٥) في الأصل، (بعضهم).
(٦) في الأصل، (لحلا)، وما بين الحاصرتين إضافة لتمام المعنى.
(٧) في الأصل، (أولايك).
(٨) الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (ت: ٢٩٨هـ).
(٩) الإمام يحيى بن حمزة (ت: ٧٤٩هـ).
(١٠) في الأصل، (مي).
(١١) في الأصل، (النسا).
(١٢) في الأصل، (الديرة).

ويلحق بذلك الكلام في بدعة التتن[١]، أعفى[٢] الله أثره فإن الإمام[٣] ـ أيده الله تعالى ـ نهى عن بيعه واستعماله، وأمر بقطع شجره وإعدام أثره. وما أحسنه من أمر، وأشرفه من نهي ثلج به صدور الأفاضل، وأقر به عيون ذوي المروآت[٤] الأماثل، إذ لم تزل حلوقهم به سحية[٥]، وعيونهم منه قذية، واستعمال هذه الشجرة من البدع المحدثة المستنكرة عند أفاضل الناس وذوي مروءاتهم[٦]، وقد ورد شر الأمور محدثاتها ولله القائل:

وخير أمور الناس ما كان سنة[٧] وشر الأمور المحدثات البدائع

والبدعة قال بعض العلماء يدخلها الأحكام الخمسة[٨]، وبدعة التتن لا تخلو[٩] إما أن تكون مباحة، أو مكروهة إن لم تكن محظورة، فإن كانت مباحة فللإمام المنع من بعض المباحات لمصلحة عائدة عليهم في إصلاح دينهم ودنياهم[١٠]، لأن الإمام للرعية بمنزلة الأب المشفق، وروي في السنة[١١] عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «من ولي من أمور المسلمين شيئاً[١٢] ولم يحطهم

---

(١) شجرة التتن هي نوع من شجر الدخان الذي اشتهر في اليمن باسم (التنباك)، وكان ظهور هذه الشجرة في اليمن في سنة (٩٩٩هـ)، وقد أرخ بعض الأدباء اليمنيين لتاريخ ظهورها في اليمن شعراً فقال:

قائل لي عن الدخان أجنبي هل له في كتابكم إيماء؟

قلت ما فرط الكتاب بشيء ثم أرخت (يوم تأتي السماء) سنة ٩٩٩هـ

والتبغ (التتن) في اليمن أنواع منها: (الحموصي)، (الجميري)، (الخبتص)، انظر: زبارة: أئمة اليمن جـ ١، ص ٥٠٦، انظر: العرشي: بلوغ المرام، ص ٤٢١.

(٢) في الأصل (أعصى).

(٣) هو الإمام المهدي أحمد بن الحسين بن القاسم (سبق التعريف به).

(٤) في الأصل (المروات).

(٥) سحية: السحاية ما انقشر من الشيء كسحاءة النواة، وسيل ساحية أن تقشر كل شيء وتجرفه يعني أن هؤلاء كثيراً ما تحدثوا بخطورة هذه الشجرة وضررها، ابن منظور، لسان العرب، ط، دار لسان العرب، بيروت، جـ ٢، ص ١١٢.

(٦) في الأصل، (مروايهم).

(٧) في الأصل، (سه).

(٨) عن الأحكام الخمسة انظر: علي حسب الله: أصول التشريع الإسلامي، دار المثقف العربي، طبعة سادسة ١٩٨٢، ص ٣٨٣ـ ٣٨٩.

(٩) في الأصل، (محلوا).

(١٠) في الأصل، (وسايهم).

(١١) في الأصل، (السنا).

(١٢) في الأصل، (شيا).

بعيد، فإن البركة فيه مرفوعة، ولذا تناهت قيم الألبان والسمون، ولا يعرف هذا إلا عند ظهوره وانتشاره، حتى كاد يطبق الناس على استعماله، واتخاذه كالغذاء[١] فهذا ما أمكن من استخراج وجوه الكراهة، وفي بعضها ما يبلغ كراهة الحظر التي لا تبقى لترك المنع معها معذرة[٢].

هذا وأما بدعة قهوة[٣] البن فهي بدعة مستحسنة، استحسنها الفضلاء والعلماء والأئمة، وما رآه المسلمون حسن، فهو عند الله حسن[٤]، وليس فيها من وجوه الكراهة ما في التتن لطيب رائحة البن عند إنضاجه بالنار، وعدم شغله[٥] عن المهمات الدينية والدنيوية. لأنه يتناول القدر المحتاج إليه في أسرع وقت أوجبه[٦]، وكذلك باقي وجوه الكراهة، فإنها غير متحققة فيها، وقد ألف بعض العلماء مؤلفاً[٧] في كراهيتها أو تحريمها ورد عليه بعضهم في ذلك.

وأما القات[٨]، فبدعة تقارب بدعة التتن في وجوه الكراهة، وقد جمع بعض العلماء مؤلفاً[٩] سماه «تحذير الثقات عن أكل الكفتة والقات» وكذلك الإمام شرف الدين[١٠]، له تأليف في تحريمه وذكر أنه من المغيرات، ونها عنه، وأمر بقطع شجره في

---

(١) في الأصل، (كالعداء).

(٢) في الأصل، (معدره).

(٣) في الأصل، (فهو)، يروي زبارة أن شجرة البن ظهرت في اليمن سنة (٩٥٠هـ)، انظر، زبارة: أئمة اليمن، جـ ١، ص ٤٢٢، ٤٢٣.

(٤) والاستحسان عد الشيء حسناً، وأخذ به الحنابلة وأكثر الحنفية، انظر علي حسب الله، أصول التشريع الإسلامي ص ٢٠٤.

(٥) في الأصل، (شغلها) والتعديل لاستقامة المعنى.

(٦) في الأصل، (أوحبه).

(٧) في الأصل، (مالقا).

(٨) شجرة القات: شجرة تمضع بعض أوراقها، ظهرت هذه الشجرة في اليمن سنة ٩٥٠هـ، انظر، زبارة: أئمة اليمن، جـ ١، ص ٤٢٢، ٤٢٣.

(٩) في الأصل، (مولفا).

(١٠) هو الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين المهدي لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى الحسني، ولد بحصن حضور الشيخ من أعمال كوكبان شبام في ١٥ رمضان سنة (٨٧٧هـ)، وتوفي في سنة (٩٦٥هـ). وكانت دعوته للإمامة باليمن سنة (٩٣٢هـ). عيسى بن لطف الله: روح الروح، جـ ١، ص ١١.

بالنصيحة كما[1] يحوط أهل بيته فليتبوأ[2] مقعدة من النار»[3]. قال فيه: دل ذلك على أنه يجب على الإمام أن ينصح رعيته في الدين والدنيا، ولا يجوز له أن يدع حياطهم من كل ما يتوهم[4] من المكاره إذا كان يمكنه دفعه، وإن كانت مكروهة فللإمام المنع منها بالأولى.

وبيان الكراهية فيه من وجوه، منها نتن رائحته نتناً[5] واضحاً[6] فيلحق[7] بالثوم ونحوه من البقول ذوات الروائح الكريهة، ومنها شغله عن ذكر الله وعن الصلاة في أوقاتها، لأن المولعين به لا يقفوه على حد، وما شغل عن ذكر الله وطاعته، كان أقل أحواله الكراهية، فيلحق[8] بآلات الملاهي الملهية عن المهمات في الدين والدنيا، ولأجل أنها سميت[9] ملاهي، إدخاله النقص في أعمال المعايش، التي يرتزق منها، لأنه لا يوقف منه على حد، بل يستغرق استعماله وقتاً ممتداً، يؤثر في إدخال النقص في الأعمال، ولذا نرى[10] أحدهم يتخذ قصبة[11] طويلة يمتص بها وهو في خلال العمل، ومنها إنفاق أموال كبيرة قد تبلغ الأوقية ثمانية دراهم فيما لاحظ له في تغذية الجسد، وإنما هو شبيه الضريع ـ طعام أهل النار ـ لا يسمن ولا يغني من جوع وهذا من الإسراف والسفه المنهى عنها، وقد عجز عنه عند بعض العلماء دفعاً للإسراف.

ومنها ما يقال إن له تأثيراً في تقليل (ألبان)[12] المواشي، وتقليل بركته، وهو غير

---

(١) في الأصل، (حكما).

(٢) في الأصل، (فليتبو).

(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من أمتى أحد ولي من أمر الناس شيئاً لم يحفظهم بما حفظ به نفسه وأهله إلا لم يجد رائحة الجنة» رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، جـ ٥، ص ٢١١، وقال رواه الطبراني في الصغير والأوسط.

(٤) في الأصل، (سومهم).

(٥) في الأصل، (نما).

(٦) في الأصل، (ونصيحا).

(٧) في الأصل، (ما ملحق).

(٨) في الأصل، (فللحق).

(٩) في الأصل، (سميمت).

(١٠) في الأصل، (نرا).

(١١) قصبة: خرطوم.

(١٢) في الأصل، (الألبان) والتعديل لاستقامة المعنى.

جميع النواحي، وشدد في ذلك (قال)[1]: ومع هذا فإنه كان يدخل من معشراته لبيت المال مال كثير، فلم يلتفت إلى ذلك، ولم يجعله وجهاً مرخصاً. هذا معنى كلامه إذ لم يحضر وقت رقم[2] هذا الكلام لفظه.

وعارضه في ذلك ولده عبد اللّه[3]، وأنشأ فيه (القات) قصيدة[4]، تتضمن حله، ومدحه. ولا يزالون مختلفين إلا من رحم بك، رحمنا الله برحمته وعصمنا عن ارتكاب معصيته، بحق محمد وآله آمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) ما بين الحاصرتين كلمة زائدة عن المعنى في الأصل.

(٢) يقصد أن مؤلفات الإمام شرف الدين لم تكن معه حين الكتابة، وما كتبه كان مما يحفظه في الذاكرة.

(٣) وعبد اللّه بن الإمام شرف الدين، اشتهر في أيامه (بعبد اللّه بن الإمام)، وكان من علماء عصره وشعرائه، اختلف في الرأي مع والده حول القات، ورأى حله، وله قصيدة كبيرة في مدح القات وحله سماها السايرة منها قوله:

أدر غصون يواقيت من القات زبرجديات أوراق وريقات

يحلو تناوله قلبي ورؤيته طرفي وحلو به حالي وأوقاتي

زبارة: أئمة اليمن، جـ ١، ص ٣٧٠، ٣٧٢، ٤٤٢، ٤٤٣.

(٤) في الأصل، (تعقيده).

المصادر والمراجع

١ ـ ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم
الكامل في التاريخ ـ الجزء الثالث، طبعة دار صادر بيروت، ١٩٦٥.

٢ ـ أحمد سوسة: (دكتور) العرب واليهود في التاريخ. طبعة دمشق، ١٩٧٢.

٣ ـ أحمد صبحي: (دكتور)، الزيدية ـ نشر منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٠م.

٤ ـ أحمد فخري: (دكتور)، اليمن ماضيها وحاضرها، طبعة معهد الدرسات العربية، ١٩٥٧.

٥ ـ ابن الأمير: محمد بن إسماعيل (ت: ١١٨٢هـ)، سبل السلام من جمع أدلة الأحكام، تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي ـ دار الجيل، طبعة ١٩٨٠م.

٦ ـ أيمن فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي نشر: المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٧٤.

٧ ـ البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى ـ الجزء التاسع، طبعة حيدر أبار الدكن بالهند، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

٨ ـ الثور: عبد الله: هذه هي اليمن، طبعة القاهرة ١٩٦٩م.

٩ ـ الحبشي: عبد الله: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، نشر: مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء.

١٠ ـ ابن حجر: شهاب الدين أبي الفضل العسقلاني (٧٧٣ـ ٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح البخاري، الجزء السادس ـ تحقيق عبد العزيز بن عبد الله باز. طبعة المملكة العربية السعودية.

١١ ـ الحجري: محمد بن أحمد، مساجد صنعاء عامرها وموفيها، مكتبة اليمن الكبرى، طبعة ثانية، ١٣٩٨هـ.

١٢ ـ الحداد: محمد يحيى، اليمن ـ طبعة دار الهنا ١٩٧٦.

١٣ ـ حسن الباشا: (دكتور)، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، طبعة القاهرة ١٩٧٦.

١٤ ـ حسين العمري: (دكتور)، مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، طبعة دمشق ١٩٨٠.

١٥ ـ الخزرجي: أبو الحسن علي بن الحسن(ت: ٨١٢هـ)، العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك نسخة مصورة عن المخطوط الأصلي للمرة الثانية ـ طبعة وزارة الإعلام والثقافة اليمنية (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م) دار الفكر بدمشق.

ـــــــ: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق: محمد بن علي الأكوع ـ طبعة مركز الدرسات والبحوث اليمني ١٩٨٣.

١٦ ـ أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي.

سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٧ ـ ابن الديبع: أبو الضيا عبد الرحمٰن بن علي الديبع الشيباني الزبيدي (ت: ٩٤٣هـ)، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد، تحقيق: د. محمد عيسى صالحية، طبعة أولى ١٩٨٢م ـ الكويت.

١٨ ـ الرازي: أحمد بن عبد الله، تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق حسين العمري، وعبد الجبار زكار طبعة أولى ـ ١٩٧٤م.

١٩ ـ زبارة: محمد بن محمد زبارة الحسني، أئمة اليمن ـ مطبعة النصر الناصرية بتعز، الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م.

٢٠ ـ الزبيدي: محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس. منشورات دار الحياة ـ بيروت.

٢١ ـ الشماحي: عبد الله، اليمن الإنسان والحضارة. طبعة ١٩٧٣.

٢٢ ـ الشوكاني: محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع،

الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ ـ الجزء الثاني.

٢٣ ـ **صالح بن داود:** الآنسي، فتح الملك المعبود في ذكر إجلاء اليهود. مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، مجموع رقم ١٩ تاريخ.

٢٤ ـ **العباسي:** علي بن محمد بن عبد اللّه، سيرة الهادي إلى الحق - يحيى بن الحسين
تحقيق: الدكتور سهيل زكار ـ دار الفكر
طبعة ثانية؛ دمشق ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٥ ـ **عبد اللّه بن علي:** الوزير، تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، طبعة أولى: ١٩٨٥. نشر مركز الدراسات والبحوث اليمني.

٢٦ ـ **العرشي:** حسين بن أحمد، بلوغ المرام في شرح مسك الختام، تحقيق الأب أنستناس الكرملي. دار إحياء التراث ـ بيروت.

٢٧ ـ **عصام الدين عبد الرؤوف:**
(دكتور)، اليمن في ظل الإسلام، دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٨٢.

٢٨ ـ **علي حسب اللّه:** أصول التشريع الإسلامي، دار المثقف العربي، الطبعة السادسة، ١٩٨٢.

٢٩ ـ **عيسى بن لطف اللّه:** روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، منشورات وزارة الإعلام اليمنية. طبعة ثانية مصورة - ١٩٨١.

٣٠ ـ **المالكي:** العربي، صحيح الترمذي بشرح الإمام العربي المالكي، المطبعة المصرية بالأزهر، طبعة أولى ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م.

٣١ ـ **محمد بن علي الأكوع:** الحوالي، الوثائق السياسية اليمنية، طبعة أولى ـ ١٩٧٦، دار الحرية ـ بغداد.

٣٢ ـ **محمد عيسى صالحية:** (دكتور)، المخطوطات اليمانية في مكتبة علي أميري

باستانبول، طبعة أولى ١٩٨٤.

٣٣ ـ النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحواربي الشافعي. صحيح مسلم بشرح النووي ـ الجزء الثاني ـ المطبعة المصرية ومكتبتها بالقاهرة.

٣٤ ـ الهمداني: الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، دار اليمامة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

٣٥ ـ الواسعي: عبد الواسع بن يحيى اليماني، فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن
المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٦هـ.

٣٦ ـ ياقوت: شهاب الدين بن أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان ـ طبعة دار صادر بيروت.

٣٧ ـ يحيى بن الحسين: ابن القاسم بن محمد بن علي (ت: ١١٠٠هـ)، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني. تحقيق: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي ـ القاهرة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

دوريات وفهارس

٣٨ ـ **مجلة المورد البغدادية:** العدد الرابع، ١٩٧٤.

٣٩ ـ **مجلة البيان الكويتية:** العدد ٩٨ مايو ١٩٧٤.

٤٠ ـ **دراسات يمنية:** العدد الرابع يوليو ١٩٨٠
يصدرها مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء.

٤١ ـ **فهرس مخطوطات:** المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ـ طبعة منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٨٧م.

٤٢ ـ **فهرس المكتبة الشرقية** بالجامع المقدس بصنعاء.

٤٣ ـ **فهرس المخطوطات** المصورة بمعهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدولة العربية، الجزء الثاني في مجلدين.

٤٤ ـ **فهرس المخطوطات** المحفوظة بمكتبة مركز الدراسات اليمنى بعدن ـ نسخة خاصة بالأستاذ الدكتور السيد مصطفى سالم سمح لي بالاطلاع عليها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

دولة بني نجاح في اليمن وعلاقاتهم بالصليحيين (٤١٢هـ/١٠٢١م) ـ (٥٥٤هـ/١١٥٩م)

أولاً: قيام دولة بني نجاح

شهد مطلع القرن الخامس الهجري ظهور دولة جديدة فتية في بلاد اليمن، هي دولة بني نجاح، أو الدولة النجاحية، وأفول نجم الدولة الزيادية، التي كانت قد هرمت، وأذنت الأيام بزوالها بعد أن مضى عليها قرنان من الزمان. وتمثل دولة بني نجاح في اليمن، نفس الخط السياسي والمذهبي الذي سارت عليه دولة بني زياد قبلها بقرنين من الزمان.

والمعروف أن الزياديين، أسسوا دولتهم في اليمن سنة (٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، واختطوا مدينة زبيد في الرابع من شعبان من نفس السنة، واتخذوها عاصمة لهم، ومنها سيطروا على سائر بلاد اليمن[١]. وقد عاون الخليفة العباسي المأمون واليه على اليمن محمد بن زياد ـ مؤسس هذه الدولة ـ بقوات من الجند الخرسانية، مكنته من بسط نفوذه على جبال اليمن وتهائمها، وامتد نفوذ بني زياد ـ ممثلي الخلافة العباسية ـ إلى حضرموت، وديار كندة والشحر ومرباط وأبين ولحج وعدن والتهائم وحلي والجند وأعمالها، ومخلاف المعافر، ومخلاف جعفر، وصنعاء وصعدة ونجران وبيحان[٢].

---

(١) الخزرجي: العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، نسخة مصورة عن المخطوط الأصلي ١٩٨١، وزارة الإعلام والثقافة اليمنية، ص ٣١، (زَبِيد بالفتح ثم الكسر، وياء مثناة من تحت، البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، طبعة دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٤، ج ٢، ص ٦٥٨).

(٢) عمارة: تاريخ اليمن، تحقيق: د. حسن سليمان محمود طبعة ١٩٥٧، ص ٣٧، ٣٨، ابن الديبع: قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق: محمد بن علي الأكوع المطبعة السلفية، ٣٢٢، ٣٢٣، صالح حامد العلوي: تاريخ حضرموت، مكتبة الإرشاد بجدة ١٩٦٨م، ج ١ ص ٢٥٣، د. عصام الدين عبد الرؤوف: اليمن في ظل الإسلام، دار الفكر العربي ١٩٨٢، ص ٨٨، ٨٩ (ومن الأسباب القوية التي حدت بالمأمون إلى تولية محمد بن زياد، ظهور بعض الشخصيات العلوية في هذه البلاد، وكان ظهورها نذيراً بالخطر، تداركه المأمون بتعيين محمد بن زياد، الذي نجح في استبقاء اليمن ولاية عباسية.

عمارة: المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق: محمد بن على الأكوع، طبعة ثانية ١٩٧٦، ص ٤٣، =

وبضعف الخلافة العباسية وازدياد سيطرة الأتراك عليها، تحولت التبعية الزيادية للعباسيين إلى تعبية اسمية، تتمثل في حكم بلاد اليمن باسم الخليفة العباسي وإظهار الولاء له كلون من إضفاء الشرعية على حكم الزياديين لليمن، وتجلى ذلك في ذكر اسم الخليفة في الخطبة، ونقش اسمه على السكة[1]، وقد ظهر هذا التطور واضحاً في علاقة الزياديين بالعباسيين خلال عهد إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن زياد، الذي تولى أمر الزياديين بعد أخيه زياد بن إبراهيم، وتلقب بأبي الجيش، والذي طالت مدة حكمه لليمن حتى بلغت ثمانين عاماً، تمكن خلالها من توطيد نفوذ الزياديين على اليمن وحضرموت وجزر البحر، وتشبه بملوك اليمن فركب المظلة وظهر بمظهر الحاكم المستقل[2].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن العباسيين في توجيه سياستهم في بلاد اليمن، عمدوا منذ النصف الثاني من القرن الثالث الهجري إلى تأييد أية قوة سياسية سنية جديدة ناشئة في بلاد اليمن، ومنحها الشرعية بصورة لا تتعارض مع الشرعية السياسية التي منحوها قبل ذلك لحلفائهم الزياديين، وذلك لمواجهة الاتجاهات المذهبية الجديدة التي شرعت في

= ٤٤، ابن خلدون: العبر طبعة دار الكتاب اللبناني ١٩٦٨، المجلد الرابع، ص ٤٥٤ . (حَضْرَمَوت: بالفتح ثم السكون وفتح الراء والميم: اسمان مركبان: ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر، وهي مخلاف باليمن، البغدادي: مراصد الإطلاع، ج ١، ص ٤٩.

ديار كندة: وهي من جبال اليمن مما يلي حضرموت، ابن خلدون. العبر، ج ٤، ص ٤٧٩ .

الشِحْر: بكسر أوله وسكون ثانيه: صقع على بحر الهند من ناحية اليمن بين عدن وعمان، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٢ ص ٧٨٥ .

أَبْيَنْ: بفتح أوله وبكسر: مخلاف باليمن، وإليه تضاف عدن. الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد، دار الكتب العلمية بيروت، طبعة ١٩٨١، ص ٣٠٦ .

لَحج: بالفتح، ثم السكون، وجيم: مخلاف باليمن، البغدادي، مراصد الاطلاع، ج ٣، ص ١٢٠٠ .

حَلْي: بالفتح ثم السكون: مدينة باليمن، على ساحل البحر، بينها وبين مكة ثمانية أيام، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٩٧،

الجَنَد: بالتحريك: ولاية باليمن وكانت اليمن قد قسمت إلى ثلاث ولايات منذ دخولها في الإسلام الجند ومخاليفها، وصنعاء ومخاليفها، وحضرموت ومخاليفها، المصدر السابق، ج ٢ ص ١٦٩ .

صَعْدَة: بالفتح ثم السكون: مخلاف باليمن، البغدادي: مراصد الإطلاع، ج ٢ ص ٨٤١.

بيحان: بالحاء المهملة: مخلاف باليمن، المصدر السابق، ج ١، ص :٢٣٩

(١) عصام الدين عبد الرؤوف: اليمن في ظل الإسلام، ص ٩٠.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٥٤، ٤٥٥، يحيى بن الحسين: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٩٦٨، ص ١٨٩.

الظهور بحدة في بلاد اليمن نتيجة لضعف الخلافة العباسية، وهذه الاتجاهات الجديدة هي الاتجاه الزيدي الشيعي، والاتجاه الإسماعيلي الفاطمي، وكانت هذه القوة السنية الجديدة التي ظهرت في الأفق السياسي لبلاد اليمن هي قوة بني يعفر الحواليين في صنعاء، وكان على رأسهم الأمير محمد بن يعفر بن عبد الرحيم، الذي أخذ البيعة في منطقة نفوذه التي اشتملت على صنعاء ومخاليفها والجند وحضرموت، للخليفة العباسي المعتمد على الله أبي العباس أحمد بن جعفر المتوكل[١]، فلما وصل خبره في سنة (٢٥٧هـ/ ٨٧٠م) إلى المعتمد كما يقول الخزرجي: «كتب إليه بنيابته على صنعاء ومخالفيها»[٢].

وبذلك أصبح في اليمن قوتان تدافعان عن الاتجاه السني، والذي يبدو من روايات الخزرجي أن القوتين نظمتا العلاقة بينهما في ضوء تبعية كل منهما للعباسيين، وقد يكون ذلك بتوجيه من المعتمد العباسي نفسه، أو لشعور بني يعفر بقوة الزياديين[٣]. فيذكر الخزرجي أن الأمير محمد بن يعفر كان، «يوالي ابن زياد، صاحب زبيد ويحمل إليه الخراج[٤]، كما يروي يحيى بن الحسين أيضاً أن بني يعفر في أيام أبي الجيش الزيادي كانوا يخطبون له ويضربون السكة باسمه[٥].

وقد تولى بنو يعفر (الحواليين) مقاومة علي بن الفضل الذي اتجه إلى توحيد اليمن

---

(١) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٣٣، زبارة: أئمة اليمن، مطبعة النصر طبعة ١٩٥٢، ص ٨، والمعروف أن أصحاب الاتجاه الزيدي الشيعي نجحوا في تأسيس دولة شيعية زيدية في صعدة باليمن، تزعمها الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسي (انظر ابن خلدون: العبر ج ٤، ص ٤٥٥ د. محمد عبد الله ماضي: دولة اليمن الزيدية، المجلة التاريخية المصرية، العدد الأول ١٩٥٠، ص ٢٤)، أما الاتجاه الشيعي الفاطمي فكان يمثله علي بن الفضل داعية المذهب الإسماعيلي في اليمن هو وابن حوشب، وبينما أخلص ابن حوشب للدعوة الإسماعيلية وظل على ذلك حتى مات. فإن علي بن الفضل تحول عن المذهب الإسماعيلي عندما علم بذهاب المهدي إلى المغرب لإقامة الدولة الفاطمية هناك، لذا اتجه علي بن الفضل إلى تكوين ملك كبير له باليمن، حكمه بالقوة والعنف مقتدياً في ذلك بأبي سعيد الجنابي الذي استقل هو الآخر بالبحرين، (انظر زبارة: أئمة اليمن، ص ٣٨، ٣٩ الحمادي اليماني: كشف أسرار الباطنية: نشر عزت العطار طبعة ١٩٣٩م، ص ٢٠، ابن الديبع: قرة العيون، ص ١٨٩، ١٩٥).

(٢) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٣٣.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) يحيى بن الحسين: غاية الأماني ص ١٨٩.

تحت قيادته بعد أن رفض كل مظاهر التبعية للمذهب الإسماعيلي[١]، بينما تولى بنو زياد مقاومة سائر القوى السياسية والمذهبية الأخرى المناهضة للنفوذ العباسي وللمذهب السني، مذهب جمهور المسلمين في العالم الإسلامي، وفي اليمن أيضاً في ذلك الوقت.

أدى هذا بطبيعة الحال إلى صراع حاد، أضعف الدولة الزيادية لأن العباسيين الذين كانوا يعانون من سيطرة الأتراك ـ كما قلنا قبل ذلك ـ عجزوا عن معاونة الزياديين في مواجهة هذه المتغيرات الجديدة التي ظهرت في بلاد اليمن، ولذلك وقف الزياديون وحدهم يواجهون تطورات سياسية بالغة الخطورة مزقت وحدة اليمن تحت سيادتهم، وأذنت بظهور قوى سياسية ومذهبية عديدة أثرت تأثيراً قوياً في البناء السياسي والمذهبي لليمن الإسلامي ما زالت أصداؤه تتردد فيه حتى الآن.. ففي صعده ـ كما ذكرنا ـ قامت دولة الأئمة الزيدية. بينما انتشر دعاة الإسماعيلية في مواقع كثيرة من اليمن، وسيطر ابن حوشب وعلي بن الفضل على كثير من بلدانه. وتمكن بنو يعفر (الحواليين) من إقامة دولة لهم في صنعاء[٢].

وعلاوة على ذلك، أصبح مقر الدولة الزيادية نفسه في تهامة عرضة لهجمات قاسية عنيفة من قبل هذه القوى المختلفة، حتى وصلت الدولة الزيادية إلى أقصى درجات الضعف والهزال، ولم يبق لها من نفوذ إلا منطقة تمتد فيما بين شرجة حرض وعدن طولاً، وما بين غلافقة إلى أعمال صنعاء عرضاً.[٣] وقد حدد بعض المؤرخين حجم دولة بني زياد المتداعية في ذلك الوقت، فذكر أنه لم يتجاوز عشرين مرحلة طولاً من الشرجة إلى عدن، وخمس مراحل عرضاً من غلافقة إلى أعمال صنعاء[٤].

---

(١) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٤٣، الحمادي اليماني: كشف أسرار الباطنية، ص ٢٨، أحمد حسين شرف: تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، طبعة ١٩٦٨، ص ٩٠، د. عبد العزيز المقالح: اليمن الإسلامي، ط بيروت ١٩٨٢، ص ١٥٧، ١٥٨.

(٢) د. عصام الدين عبد الرؤوف: اليمن في ظل الإسلام، ص ٩١.

(٣) ابن الديبع: قرة العيون، ص ٣٢٤، (شرجة حرض: من أول أرض اليمن من نواحي مكة، البغدادي: مراصد الاطلاع ج ٢، ص ٨١٨.
غلافقه: بالفتح، بلد على ساحل بحر اليمن مقابل زبيد، وهي مرسى بينها وبين زبيد خمسة عشر ميلاً ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٠٨.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٥٥، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٩٨، ٩٩.

بوفاة الأمير أبي الجيش إسحاق سنة (٣٧١هـ/ ٩٨١م)[١]. فقفز موالي بني زياد من الأحباش إلى قمة السلطة في الدولة الضعيفة المتهالكة، وقلدوا الحكم لطفل صغير يسمى زياداً أو عبد الله أو إبراهيم[٢]. وواضح من روايات معظم المؤرخين أن الطفل الذي نصب على عرش الزياديين كان ابناً للأمير أبي الجيش إسحاق لأنهم يقولون: إن أخته هند التي تولت الوصاية عليه بترتيب من موالي بني زياد الأحباش، كانت بنتاً لأبي الجيش إسحاق[٣]. وينفرد ابن الديبع من بين المؤرخين برواية يذكر فيها أن الوصية كانت عمة للطفل، وهي في نفس الوقت أخت لأبي الجيش إسحاق، وهذا يعني أن الطفل ابن لأبي الجيش وفقاً لجميع الروايات[٤].

ومنذ تلك اللحظة أصبح الطفل وأخته هند في كفالة عبد من عبيد بني زياد اسمه رشيد تولى منصب الوزارة، وكان أستاذاً حبشياً من بين الأستاذين العاملين في الخدمة في بلاط بني زياد،ولكنه لم يلبث مدة طويلة في الوزارة فتوفي بعد فترة قصيرة من توليه[٥].

تولى الوزارة وإدارة شؤون الدولة بعده الحسين بن سلامة، الذي كان وصيفاً نوبياً لرشيد، تمتع بسمعة طيبة، وأثبت براعة فائقة في إدارة الدولة الزيادية، التي انتعشت كثيراً في أيامه واستردت معظم ما فقدته من أراضيها، ونشطت فيها حركة بناء المدن وتعمير المساجد وإنشاء الطرق وحفر الآبار[٦]. ولذلك ظل الحسين بن سلامة يتقلد منصب

---

(١) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٤٠، ابن خلدون. العبر، ج٤، ص ٤٥٥.

(٢) ابن الديبع: قرة العيون، ٣٢٤، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٩٩.

(٣) نفس المصدرين السابقين، ونفس الصفحات، الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، تحقيق عبد الله الحبشي، مركز الدراسات اليمنية طبعة أولى ١٩٧٩، ص ٢٧، اليماني: بهجة الزمن، تحقيق: مصطفى حجازي، طبعة بيروت، ص ٢٨.

(٤) ابن الديبع: بغية المستفيد في تاريخ زبيد، تحقيق: عبد الله الحبشي مركز الدراسات اليمنية ١٩٧٩، ص ٤٠.

(٥) المصدر السابق، نفس الصفحة: الأستاذون مفردها: أستاذ وهؤلاء كانوا من كبار الخدم الذين يختصون بقضاء حاجات الأمراء من بني زياد وخدمتهم على نحو ما كان سائداً في ذلك الوقت في بعض الجهات الأخرى من العالم الإسلامي كالدولة الفاطمية في مصر التي شاع في بلاطها وظائف الأستاذين، انظر المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا تحقيق: الدكتور محمد حلمي محمد أحمد، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية طبعة ١٩٧١/ ١٩٧٣، ج ٢، هامش ص ١٢٥، ١٦٣، ج ٣، ص ٧٤.

(٦) العرشي: بلوغ المرام في شرح مسلك الختام، تحقيق: الأب أنستاس الكرملي، ص ١٤، عمارة: تاريخ اليمن، ص ٤٠، ٤١.

الوزارة ثلاثين عاماً، كان خلالها «عادلاً على الرعية كثير الصدقات والصلات في الله تعالى، مقتدياً بسيرة عمر بن عبد العزيز في أكثر أحواله»[١]. بوفاة الحسين بن سلامة اقتربت الدولة الزيادية من نهايتها المحتومة، حيث لم يكن لبني زياد سوى طفل صغير، يظن عمارة أنه كان يسمى عبد اللّه، كفلته عمته، وتقلد الوزارة لهما أستاذ حبشي من عبيد الحسين بن سلامة اسمه مرجان، وتذكر نفس الرواية لعمارة أنه كان لمرجان عبدان أحدهما (نفيس) والآخر: يدعى (نجاح)، تولى نفيس منصب الوزارة، وأقام في العاصمة الزيادية في زبيد[٢]، متمتعاً بسلطات واسعة ونفوذ مطلق. أما نجاح فكان يتولى الأعمال الشمالية في مدن الكدراء والمهجم، ومور والواديين، وهي سلطة كما نرى محدودة[٣].

ويروي المؤرخون أن نفيساً كان عسوفاً مرهوباً، ويبدو أن ذلك أثار طفل بني زياد وعمته، فجرت بينهما وبين نجاح ـ الذي كان رؤوفاً عادلاً محبوباً من الرعية ـ بعض الاتصالات التي توجس منها نفيس خيفة، فسارع إلى إبلاغ سيده مرجان، فما كان من مرجان إلا أن أمر بالقبض على الطفل وعمته، وأمر نفيساً أن يقتلهما بطريقة مثيرة لا شفقة فيها ولا رحمة[٤]. «فبنى عليهما (نفيس) جداراً وهما قائمان يناشدانه الله عز وجل، حتى ختمه عليهما»[٥]. ويذكر ابن الديبع أن ذلك كان في دار الملك سنة (٤٠٧هـ/ ١٠١٦م)[٦]. وهذا التاريخ اتفق عليه معظم المؤرخين كالخزرجي وابن الديبع[٧]، وهذا

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٠.

(٢) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٤٤، (يذكر ابن الديبع أن الجندي قال: إن اسمه أنيس، ونبه على عدم صحة ذلك، كما أن ابن خلدون والوصابي، ذكرا أن اسمه قيس، ولا صحة لهذا الاسم أيضاً، وإنما الصحيح أن اسمه نفيس، انظر ابن الديبع بغية المستفيد ص ٤٣، ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٥٦، الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٢٩).

(٣) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٤٤، الكدراء: بالمد مدينة باليمن على رأس وادي سهام، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ٣، ١١٥١، المهجم: بلد وولاية من أعمال زبيد باليمن بينها وبين زبيد ثلاثة أيام، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٣٧، ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص ٧٥، ذكر الهمداني أن المهجم كانت سوقاً لقرى لعسان التي في بطن تهامة وهي قريبة من البحر، انظر الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار اليمامة ١٩٧٤، ص ١٢٣، ٢٢٩، ٢٥٨ .
مَوْر: بالفتح ثم السكون، آخره راء ساحل لقرى اليمن بشمالي زبيد. البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ٣، ص ١٣٣١.

(٤) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٤٤، ابن الديبع: قرة العيون، ص ٣٣٢، ٣٣٣، اليماني: بهجة الزمن، ص ٢٩.

(٥) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٤٥.

(٦) ابن الديبع: بغية المستفيد، ص ٤٢.

يعني أن دولة بني زياد استمرت ٢٠٣ سنة[١]. وعلى هذا ينبغي أن نتردد كثيراً أمام رواية عمارة التي تؤرخ لهذا الحادث بسنة (٤٠٩هـ/ ١٠١٨م)، وتجعل عمر دولة بني زياد يمتد في التاريخ إلى ٢٠٥ سنة[٢].

وعلى إثر هذا الحادث الذي أطاح نهائياً ببني زياد، اندلع الصراع قوياً عنيفاً بين نفيس ونجاح الذي كان يرى أن ذلك التصرف من جانب نفيس، يعد غدراً أو خيانة، ولأن نفيساً بعد ذلك بسط نفوذه على ما بيديه من البلاد، وركب المظلة وضرب السكة باسمه[٣].

استنفر نجاح الأحمر والأسود من الناس كما يروي الخزرجي، استعداداً لحرب نفيس[٤]، واحتدمت لمعارك بينهما خلال خمس سنوات. ذكر المؤرخون منها أربع معارك دارت جميعها بالقرب من زبيد، استطاع نفيس أن ينتصر في اثنتين منها وهما يوم رمع، ويوم فشال، وتمكن نجاح من نفيس وانتصر عليه في المعركتين الأخيرتين، معركة يوم العقدة ومعركة يوم العرق، وفي هذه الأخيرة تمكن نجاح من قتل نفيس على باب زبيد، وبلغ عدد القتلى من الفريقين خمسة آلاف. كان ذلك في شهر ذي القعدة سنة (٤١٢هـ/ ١٠٢٢م)[٥]. وعلى هذا فلا صحة لما ذكره اليماني في بهجة الزمن مخالفاً لغيره من المؤرخين، من أن نجاحاً استولى على زبيد بعد هذا الحادث في سنة (٤٢٢هـ/ ١٠٣٠- ١٠٣١م)[٦].

بدأ نجاح على الفور في القضاء على القوى الداخلية المناوئة له، والتي كان على رأسها سيده مرجان، فقبض عليه، ويبدو أن محاكمة عاجلة عقدت لمحاكمته في نفس المكان الذي

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة، قرة العيون، ص ٣٣٣، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٠٤.

(٢) المصادر السابقة، نفس الصفحات.

(٣) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٤٥.

(٤) الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٣٠.

(٥) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٠٤.

(٦) المصدر السابق، نفس الصفحة: عمارة: تاريخ اليمن، ص ٤٥، ابن خلدون: المختصر المنقول من العبر، نشر ضمن تاريخ اليمن لعمارة ت: حسن سليمان محمود، ص ١٩٥٧، ط ١٣٦، ابن الديبع: قرة العيون، ص ٣٣٣، ٣٣٤، (العِرْق: بكسر العين وسكون الراء، موضع في شمالي زبيد بمقدار ميل، المصدر السابق ص ٣٣٣).

(٧) اليماني: بهجة الزمن، ص ٣٠.

فيه الجدار الذي قتل فيه طفل بني زياد وعمته[1]. وقد وجه نجاح إلى سيده في هذه المحاكمة سؤالاً كانت الإجابة عليه هي الحكم الذي حكم به مرجان على نفسه حيث قال نجاح لمرجان: «ما فعلت بمواليك وموالينا؟ قال مرجان: هما في هذا المكان، فأخرجهما نجاح وجهزهماوصلى عليهما وبنى عليهما في العرق، وجعل مرجان موضعهما، فبنى عليه حياً، وأمر من أحضر جثة نفيس فجعلت عند مرجان، وبنى عليهما ذلك الجدار حتى ختمه»[2].

مهد اختفاء مرجان ونفيس من أفق الحياة السياسية في اليمن لظهور شخصية نجاح، والمصادر التي بين أيدينا لا تمدنا بمعلومات وفيرة عن ماضي نجاح، فهي لا تذكر إلا أنه كان عبداً حبشياً، ملفوظاً من جنس يقال له الجزل نسبة إلى جزلى[3]. وبعض المصادر الأخرى ترى أن بني نجاح ينتمون إلى بطن من بطون الحبشة يقال لهم السحرتيون[4].

غير أن أمامنا قرينة تاريخية يمكن أن نفهم منها أن الموطن الأول لنجاح كان جزيرة دهلك، التي كانت تصاقب سواحل الدولة الزيادية[5]. حيث تذكر رواية الخزرجي التي تحدثت عن الموارد المالية للدولة الزيادية في سنة (٣٦٦هـ/ ٩٧٦م)، أن الأمير أبا الجيش إسحاق الزيادي كان يحصل ضرائبه من جزيرة دهلك ـ في نفس السنة ـ وهي عبارة عن خمسمائة وصيف وخمسمائة وصيفة من النوبة والحبش[6]. وأغلب الظن أن هؤلاء كان يجري توزيع بعضهم على بني زياد ومواليهم للخدمة في قصورهم، بعد أن يخضعوا لنظام خاص من التربية والتعليم والتدريب، وقد رأينا أن بعضهم ارتقى في مناصب الخدمة في قصور بني زياد حتى أصبح أستاذاً[7].

---

(١) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٤٥.
(٢) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٠٤.
(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة، ابن الديبع: قرة العيون، ص ٣٣٤.
(٤) اليماني: بهجة الزمن، ص ٦٦.
(٥) ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٩، (دَهْلَك: بفتح أوله وسكون ثانيه ولام مفتوحة وآخره كاف اسم أعجمي معرب، ويقال له دَهْيَك أيضاً، وهي جزيرة في بحر اليمن، وهي مرسى بين بلاد اليمن والحبشة، يروي ابن الأثير أنها كانت تستخدم منفى لنفي بعض الشخصيات غير المرغوب فيها ففي سنة (١٠٠هـ) نفى إليها عمر بن عبد العزيز يزيد بن المهلب، وفي سنة (١٤١ هـ) نفى المنصور العباسي إليها ولد عبد الجبار بن عبد الرحمٰن عامل خراسان، المصدر السابق، نفس الصفحة،
(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، طبعة بيروت ١٩٦٥، ج ٥، ص ٤٨، ٤٩، ص ٥٠٥، ٥٠٦).
(٧) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٩٩.
(٨) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٤٤.

هذا شطر من القرينة، أما شطرها الآخر فيكمن في تصرفات أبناء نجاح، فبعد مقتله سنة (٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م) على يد علي بن محمد الصليحي لاذ أبناؤه الأربعة بالفرار إلى جزيرة دهلك[١] واتخذوا منها مقاماً لهم، ومن أهلها جنوداً وأعواناً، وبفضلها تمكنوا من استعادة ملكهم الذي سلبه منهم علي بن محمد الصليحي، وقد كان جياش بن نجاح يتحدث دائماً عنهم ببني عمنا[٢].

وبلاد اليمن بهذه الظاهرة - ظاهرة استجلاب الموالي من الأجناس الأخرى غير العربية وتنميتها في بلاط حكامها، ووصول هؤلاء الموالي إلى قمة السلطة - تتجاوب مع انتشار هذه الظاهرة في جهات العالم الإسلامي الأخرى، ففي بلاط العباسيين كان هناك الأتراك وفي بلاط الفاطميين ظهر هؤلاء الموالي من الجنسيات المختلفة، وكان منهم الأساتذة بدرجات متفاوتة، وفي بلاط الأمويين في قرطبة كان هناك الصقالبة وغيرهم. وتكاد الظاهرة تتشابه في مناطق أخرى من العالم الإسلامي. وهي هنا في اليمن تجربة متميزة فريدة بعض الشيء، لأن الموالي هنا في اليمن من الأحباش في ظل الزياديين لم يكتفوا بالنفوذ والسلطة، وإنما تطلعوا إلى الملك نفسه، وصنعوا من الظروف ما ساعدهم على تحقيق مآربهم، فحازوا الملك وتوارثه أبناؤهم خالفاً عن سالف.

استولى نجاح على ممتلكات بني زياد التي كان يسيطر عليها مرجان ونفيس، واتخذ لنفسه رسوم الملك، فركب المظلة وضرب السكة باسمه[٣]. وأعلن طاعته لبني العباس، وجرت الاتصالات بينه وبين ديوان الخلافة في بغداد[٤]. «فكاتبوه بالاستنابة ولقبوه

---

(١) المصدر السابق، ص ٥١، ابن خلدون: المختصر المنقول من العبر، ص ١٣٦، ١٣٧.

(٢) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٠٨.

(٣) ابن الديبع: قرة العيون، ص ٣٣٤، الزركلي: الأعلام الطبعة الثالثة، ج ٨، ص ٣٢٤، (كانت المظلة على نحو ما هو معروف عند الفاطميين في مصر - والعباسيين في بغداد في ذلك الوقت تعلو رأس الخليفة، وتعتبر من شارات الخلافة والملك، وكانت تحمل على رأس الخليفة عند ركوبه في المواكب، وهي ذات شكل جميل تشبه الدرقة أو الخيمة، مرصعة بالأحجار الثمينة، لونها يتناسب مع لون ثياب الخليفة في الموكب) انظر: د. عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، الأنجلو المصرية طبعة ثالثة ١٩٧٨، ج ٢، ص ٧٠، ٧١.

(٤) ابن خلدون: المختصر المنقول من العبر، ص ١٣٦، ابن الديبع: بغية المستفيد، ص ٤٥.

بالمؤيد، ولقبوه بنصير الدين، وفوضوا إليه توليه القضاءلمن رآه أهلاً»[١]. وعلى المستوى الرسمي والشعبي خوطب وكوتب بالملك وبمولانا[٢]. كما تضمن كتاب الاستنابة الذي وصل إليه من ديوان الخلافة ببغداد تفويضاً عاماً بالنظر العام في الجزيرة اليمنية[٣]. وهذا يعني أن نجاحاً أصبح الممثل الشرعي للخلافة العباسية في بلاد اليمن.

ولكن الذي يبدو من خلال المعلومات المستمدة من المصادر اليمنية أن نجاحاً لم يتمكن من بسط نفوذ حقيقي له باسم العباسيين إلا على تهامة فقط، أما الجهات الجبلية الأخرى في اليمن فقد اكتفت بعض المصادر بقولها بأن نجاحاً كان قاهراً لأهل الجبال[٤]. بينما ذكرت بعض المصادر الأخرى: أن أهل الحصون والجبال تغلبوا على ما بأيديهم[٥]. وهذا يشير إلى خروج المناطق الجبلية من دائرة نفوذ بني نجاح، ولا نكاد نجد تفسيراً لذلك في المصادر التي بين أيدينا، غير أن رواية نعثر عليها عند اليماني في بهجة الزمن، تذكر: أنه «حين توفي الحسين بن سلامة ـ وزير بني زياد ـ واختلف عبيده، هرب ملوك الجبال من سجنه ولحقوا ببلادهم[٦]».

والذي لا شك فيه أن الحسين بن سلامة ـ وزير بني زياد ـ كان قد جمع ملوك الجبال والحصون عنده في سجون زبيد، ليضمن القضاء على حركاتهم، وليطمئن إلى بقاء مناطقهم تحت سيطرة الدولة الزيادية وسيادتها. وبديهي أن هرب هؤلاء من سجن زبيد، يعنى خروج مناطق الحصون والجبال عن دائر نفوذ بني نجاح، ويعني أيضاً أن بني نجاح لم يتمكنوا من المحافظة على وحدة بلاد اليمن كما كانت في أيام بني زياد، وقد أعطى هذا التمزق للإسماعيلية فرصة جديدة لاستعادة أمجاد دعوتهم ـ التي كانت قد خبت بعد وفاة أكبر دعاة الإسماعيلية في اليمن ابن حوشب سنة (٣٠٢هـ/ ٩١٤م)،

---

(١) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(٢) عمارة: المفيد، ص ٨٦.

(٣) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٠٤.

(٤) ابن الديبع: بغية المستفيد، ص ٤٥، الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٣٠.

(٥) ابن الديبع: قرة العيون، ص ٣٣٤، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٠٤.

(٦) اليماني: بهجة الزمن، ص ٣٠، (يغلب استعمال لفظ الملك في كثير من المصادر اليمنية، والملك عند مؤرخي هذه المصادر، من ملك ولو وادياً من وديان اليمن، وملوك الجبال في هذا النص بهذا المعنى الذي جرى في عرف المؤرخين، انظر: صالح بن حامد العلوي: تاريخ حضرموت، ج ١، ص ٦٣ .

ومقتل علي بن الفضل مسموماً سنة (٣٠٣هـ/ ٩١٥م)،[١] - على يد داعية جديد هو علي بن محمد الصليحي. وسوف يكون لاستعادة المذهب الإسماعيلي نشاطه وحيويته مرة ثانية في اليمن أثره البالغ على شكل التطور للحياة السياسية في دولة بني نجاح.

وهذه المناطق التي لم تخضع لبني نجاح وأصبحت مستقلة لا تدين بالولاء لهم هي عدن، وأبين، والشحر، وحضرموت، وهذه سيطر عليها بنو معين، وحصون السمدان، والدملوة، وصبر، وذخر، والتعكر، ومخلاف، جعفر، ومخلاف عنة، ومخلاف المعافر، أصبحت في حوزة بني الكرندي من حمير. فضلاً عن ذلك تغلب الحسين بن التبعي على معاقل حب، وعزان، وخدد، والشعر، والسحول، والشوافي. وبسط بنو وائل بن عيسى نفوذهم على قلاع وحاظة، وحصونها يريس ودهران ويفور وشعب عزان والخضراء[٢].

---

(١) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ٢٠٨، ابن الديبع: قرة العيون، ص ٢١٣، (قاتل علي بن الفضل طبيب بغدادي، فصده بمبضع مسموم، وكان ذلك باتفاق مع أسعد بن أبي يعفر. انظر: الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٤٢، ٤٣).

(٢) ابن الديبع: قرة العيون، ص ٣٣٤- ٣٤٠، (السمدان: حصن باليمن عظيم الخطر. ياقوت معجم البلدان ج ٣، ص ٢٤٦.

الدُمْلُوَة: بضم أوله وسكون ثانية وضم اللام وفتح الواو: حصن عظيم باليمن، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ٢، ص ٥٣٤.

صَبِر: بفتح أوله وكسر ثانية، جبل شامخ عظيم مطل على قلعة تعز فيه عدة حصون وقرى باليمن، وبه قلعة تسمى صَبِر، المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٣٢.

ذَخِر: بالفتح ثم الكسر، أي كسر الخاء المعجمة ثم راء: بلد باليمن، ينسب إليه جبل معروف، المصدر السابق: ج ٢، ص ٥٨٤.

التَعْكُر: بضم الكاف، وراء: قلعة حصينة مكينة باليمن، من مخلاف جعفر مطلة على ذي جبلة، ليس باليمن أحصن منها، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ٣٤.

مخلاف عُنَّه: بضم أوله وتشديد ثانيه: من مخاليف اليمن، المصدر السابق: ج ٤، ص ١٦٢، ١٦٣.

حَبّ: بالفتح وتشديد ثانيه: قلعة مشهورة بأرض اليمن: المصدر السابق: ج ٢، ص ٢١١.

عزان: من حصون تعز، في جبل صبر باليمن، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ٢، ص ٩٣٨.

خَدد: حصن في مخلاف جعفر باليمن، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٤٨.

السُحول: بالضم وآخره لام: قرية باليمن، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٩٥.

الشَوَافي: بفتح الشين المعجمة والواو وبعد الألف فاء، ثم ياء تشبه ياء النسبة: حصون باليمن، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ٢، ص ٧١٨.

وُحاظه: بضم الواو والظاء معجمة: مخلاف باليمن، نسب إلى وُحاظة وهي قبيلة من حمير، المصدر السابق: ج ٣، ص ١٤٢٧.

وهكذا أصبح الكيان السياسي الناشئ الجديد لبني نجاح - بعد استقطاع هذه الأجزاء الضخمة من الحصون والجبال والقلاع والمدن - يكاد ينحصر في المنطقة الممتدة فيما بين أعمال ابن طرف وعدن[1]. واكتفى نجاح من زعماء هذه الجهات بما ذكره بعض المؤرخين من أنهم كانوا يعظمون دولته[2].

والمعلومات شحيحة جداً في المصادر اليمنية وغيرها عن الفترة التي حكمها نجاح مؤسس الدولة النجاحية - فهي لا تذكر إلا أنه حكم مدة بلغت أربعين سنة امتدت من سنة (٤١٢هـ/ ١٠٢١م) - (٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م)، اهتم خلالها بإحياء أعمال من تقدمه[3]. وتكتفي بالتعرض للأحداث اليمنية التي جرت في المناطق الأخرى من اليمن - وهي أحداث لا تهم كثيراً في هذه الدراسة - دون أن تشير إلى أية أحداث داخلية أو خارجية زمن نجاح، وتقصر حديثها عن نهاية نجاح التي ارتبطت بظهور شخصية الداعي الإسماعيلي علي بن محمد الصليحي، الذي وجه اهتمامه إلى إحياء الدعوة الإسماعيلية مرة أخرى في اليمن[4].

وكانت مقاليد الدعوة قد انتقلت إليه بعد وفاة سليمان بن عبد الله الزواحي، ومعروف أن العلاقة بين علي بن محمد الصليحي وسليمان الزواحي قد نمت بطريقة سرية، حيث كان سليمان الزواحي - داعية الإسماعيلي في جبل حراز - يذهب دائماً لزيارة محمد الصليحي والد علي، الذي كان قاضياً سنياً له رئاسة في قومه، مطاعاً في جماعته، وخلال هذه الزيارات كان سليمان يخلو بعلي الصليحي، ويطلعه على ما عنده من العلوم حتى استماله، وغرس في قلبه محبة المذهب الإسماعيلي.

= دَفران: بفتح أوله وسكون ثانيه، وآخره نون: من قرى اليمن، ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٩١
يفور: من حصون حمير في مخلاف جعفر، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ٣، ص ١٤٨١.
الخضراء: حصن باليمن من جبل وصاب من أعمال زبيد، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٧١)

(١) عماره: تاريخ اليمن، ص ٩٢، أعمال ابن طرف هذه بالقرب من وادي بيش بالمخلاف السليماني، عمارة: المفيد، ص ١٢٤، ١٢٥).

(٢) الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٣٠، ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، طبعة ليدن ١٩٥١، ص ٧٢، عمارة: المفيد، ص ١٩١.

(٣) العرشي: بلوغ المرام، ص ١٥.

(٤) د. محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، طبعة ١٩٧٦، ص ٨٠.

وقبل موت سليمان الزواحي أوصى بجميع كتبه لعلي بن محمد الصليحي وأعطاه مبلغاً كبيراً من المال، كان قد جمعه من أهل مذهبه[1]. وقد أثرت هذه الوصية كثيراً في نفس علي الصليحي، إذ وجد نفسه على الرغم من صغر سنه مسؤولاً عن الدعوة والمذهب. حيث يروي أبو مخرمة: أنه بعد وفاة سليمان «رسخ في ذهن الصليحي من كلامه ما رسخ، فعكف على درس الكتب، وكان ذكياً فلم يبلغ الحلم حتى تضلع في معارفه التي بلغ بها وبالجد السعيد غاية الأمل البعيد، فكان فقيهاً في مذهب الإمامية مستبصراً في علم التأويل»[2].

ظلت حركة إحياء المذهب الإسماعيلي تتقدم في سرية كاملة على يد علي بن محمد الصليحي مدة خمس عشرة سنة، حتى إذا كانت سنة (٤٢٩هـ/ ١٠٣٧ـ ١٠٣٨م)، ثار في رأس جبل مسار، وهو أعلى قمة في قمم جبال حراز[3]. وبعض المؤرخين ذكر أنه ثار في سنة (٤٣٩هـ/ ١٠٤٨م)[4]. ويكاد التاريخ الأول يكون هو الأقرب إلى الصحة، لأنه يتفق مع ما رواه المقريزي ـ الذي أفرد موسوعة ضخمة لتاريخ الفاطميين ـ حيث ذكر أن علياً بن محمد الصليحي ثار في اليمن، وروى ذلك في أحداث سنة (٤٢٩هـ/ ١٠٣٧ـ ١٠٣٨م)[5]. وأيد المقريزي في هذا أبو الفدا[6]. ومن ناحية أخرى فإن هذا التاريخ يتفق

---

(١) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٤٧، ٤٨، د. عبد المنعم ماجد: الإمام المستنصر بالله الفاطمي، الأنجلو المصرية ١٩٦١ ص ١٠٣، (ذكرت بعض المصادر اليمنية وغيرها أن اسم الداعي كان عامر بن عبد الله الزواحي)، انظر يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ٢٤٨، أبو مخرمة: تاريخ ثغر عدن، طبعة ليدن ١٩٣٦، ج ٢، ص ١٥٩، أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، طبعة دار المعرفة بيروت، ج ٢، ص ١٨١ـ ١٨٣ .

حَراز: بالفتح وتخفيف الراء، آخره زاي: مخلاف باليمن، قرب زبيد، البغدادي: مراصد الاصلاع، ج ١، ص ٣٨٩.

(٢) أبو مخرمة: تاريخ عدن، ص ١٦٠.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٥٦، العرشي: بلوغ المرام، ص ٢٤، الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٣٢، (مسار مسور: حصن من أعمال اليمن، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ٣، ص ١٢٧٢.

(٤) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ٢٤٧، عمارة: تاريخ اليمن، ص ٥٠، الحمادي اليماني: كشف أسرا الباطنية، ص ٤٢، ٤٣، ابن الديبع: قرة العيون، ص ٢٤٣، (ويروي ابن الأثير أنه ظهر في اليمن سنة (٤٤٧هـ)، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٦١٤، ٦١٥).

(٥) المقريزي: اتعاظ الحنفا، تحقيق: د. محمد حلمي محمد أحمد، ج ٢، ص ١٨٧.

(٦) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ١٨٢.

أيضاً مع التاريخ الذي ذكر في المخطوطة الأصلية لكتاب تاريخ اليمن لعمارة، وكتابه الأخير المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، حيث نص المحققان في هوامش التحقيق على أن التاريخ في الأصل هـ (٤٢٩هـ/ ١٠٣٧ـ ١٠٣٨م)[١]. ويبدو أن هناك التباساً حدث في النقل بين الرقمين (٤٢٩هـ) و(٤٣٩هـ)، وهذا شيء ممكن لتشابه الرقمين.

وقد كان لظهور علي بن محمد الصليحي في رأس مسار المنيعة مدعاة إلى استفحال أمره وتجمع الشيعة حوله من أنحاء اليمن، الذين سارعوا إليه يمدونه بالمال والرجال. يروي ابن الديبع ويشاركه في ذلك عدد من المؤرخين أن علياً الصليحي «لم يزل شأنه يظهر شيئاً فشيئاً حتى استفحل أمره، ووصله الشيعة من أنحاء اليمن وجمعوا له الأموال الجزيلة»[٢].

ومن الطبيعي أن يثار هنا سؤال عن موقف النجاحيين من حركة إحياء المذهب الإسماعيلي، التي قام بها علي بن محمد الصليحي؟ والحقيقة أن المصادر تواجه هذا التساؤل بالصمت!! ولكن من بين سطورها نستشف بعض الحقائق التي تظهر معالم موقف بني نجاح من علي بن محمد الصليحي. فبنو نجاح ـ كما ذكرنا ـ لم تكن لهم سيطرة فعلية على مناطق الجبال ومن بينها المنطقة التي ثار فيها الصليحي، وكما رأينا قبل ذلك أيضاً، كان نجاح يكتفي من أصحاب النفوذ والسلطة في مناطق الحصون والجبال بإظهار الولاء الاسمي له لخلق جو من التعايش السلمي بينه وبينهم باعتباره الممثل الشرعي للخلافة العباسية في اليمن. فضلاً عن ذلك فإن علياً الصليحي التزم السرية الكاملة لحركته الإسماعيلية، كما يروي المؤرخون، ولم يعلن عن حقيقتها، لأنه كان يخشى عليها أن تتعرض لأية مخاطر وهي لا تزال في مهدها، والتقية أمر مقرر في صلب المذهب الإسماعيلي[٣].

ويضيف المؤرخون في هذا السبيل ما يدعم وجهة النظر هذه، حيث كانت العلاقة بين نجاح وعلي بن محمد الصليحي حتى آخر لحظة في حياة نجاح تسير وفق هوى

---

(١) عمارة: تاريخ اليمن، هامش ص ٥٠، عمارة: المفيد هامش ص ١٠١.

(٢) أبو مخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص ١٦٠، ابن الديبع: قرة العيون، ص ٢٤٤، العسجد المسبوك، ص ٥٦، ٥٧.

(٣) يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ص٢٤٨، (يروي يحيى بن الحسين في أحداث سنة (٤٣٩هـ) أن كثيراً من الناس كانوا يتحدثون أن علياً الصليحي سيملك اليمن، وكان (علي) إذا سمع من أحد ينكره غاية الإنكار، كما يروي الخزرجي أن علياً بن محمد كان «يخاف نجاحاً صاحب زبيد ويسكن لأمره في الظاهروهو في الباطن يعمل في قتله» وهذا يعكس ولا شك السرية الكاملة التي أحاط بها الصليحي الدعوة الإسماعيلية في ذلك الوقت. المصدر السابق، نفس الصفحة، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٥٧).

الصليحي، فكان على أتم ما يكون من المودة مع نجاح، وفي هذا الشأن يروي عمارة أن علياً الصليحي بقي وهو «كاتم لما يضمر من الدعوة، وكان يخاف نجاحاً صاحب تهامة وكان يكافئه ويلاطفه ويستكين لأمره»[1].

وهذا النص وغيره مما ذكره المؤرخون، يعني أن أمر استيلاء الصليحي على رأس مسار في جبال حراز في نظر نجاح كان لا يحتاج منه إلى موقف معادٍ لعلي بن محمد الصليحي، لأن علياً كان يظهر الولاء لنجاح ويبطن غيره، ولأنه ربما نظر نجاح إلى تصرفات علي بن محمد الصليحي الجديدة في جبال حراز على أنها تسير في إطار التصرفات العسكرية، التي كان يحركها العامل القبلي في مناطق الجبال في اليمن، ولأنها لا تمثل اعتداءاً صارخاً على الحدود المعروفة لدولة بني نجاح.

وقد استغل الصليحي ذلك استغلالاً سياسياً بارعاً، فعن طريق هذه المودة نفذ إلى صميم بلاط نجاح، وهو بمدينة الكدراء عن طريق جارية جميلة، أهداها إليه سنة (٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م)، استطاعت هذه الجارية بما لها من جمال ودلال على سيدها الجديد نجاح أن تطعمه طعاماً مسموماً، توفي على إثر تناوله. وتخلص علي بن محمد الصليحي بهذه الحيلة من أعتى الخصوم الذين يقفون حجر عثرة، في سبيل حركة إحياء المذهب الإسماعيلي من جديد في بلاد اليمن[2].

فضلاً عن ذلك كله، فالدعوة الإسماعيلية ظلت تسير في نطاق السرية الكاملة، حتى أرسل علي بن محمد الصليحي كتبه في سنة (٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م) إلى الخليفة المستنصر الفاطمي يستأذنه في إظهار الدعوة في بلاد اليمن[3]. ورافقت هذه الكتب هدية جليلة منها سبعون سيفاً قوائمها من عقيق، فقبل المستنصر الهدية «وأمر له برايات، وكتب له الألقاب، وعقد له الولاية، وأذن له في نشر الدعوة»[4].

---

(١) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٥١.

(٢) العرشي: بلوغ المرام، ص ١٥، ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٤٦، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ٢٥٣. O, Leary A Short History Of The Fatimide Khalifate. P.202.

(٣) المقريزي: اتعاظ الحنفا، تحقيق د. محمد حلمي محمد أحمد ج ٢، ص ٢٥٩، د. عبد المنعم ماجد: الإمام المستنصر بالله الفاطمي، ص ١٠٤، (روى يحيى بن الحسين والخزرجي: أن ذلك كان في سنة (٤٥٣هـ) والأقرب إلى الواقع أن تكون المراسلة قد تمت في نفس السنة التي قتل فيها نجاح، انظر غاية الأماني، ص ٢٥٣، العسجد المسبوك: ص ٥٧).

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة، الحمادي اليماني: كشف أسرار الباطنية، ص ٤٣، باختصار.

ثانياً: الصراع بين النجاحيين والصليحيين

بعد الكارثة التي حلت ببني نجاح، والتي أسفرت عن اغتيال رأس الأسرة النجاحية، بدت العلاقات بين النجاحيين والصليحيين سافرة العداء، وبصفة خاصة بعد أن وصلت الكتب بولاية علي بن محمد الصليحي على بلاد اليمن من قبل الخلافة الفاطمية. إذ كان وصول مرسوم الولاية الذي تضمن أمراً بنشر الدعوة الإسماعيلية وإظهارها ـ بداية لمرحلة طويلة من الصراع المرير بين النجاحيين ـ ممثلي الخلافة العباسية وحماة المذهب السني في اليمن ـ وبين الصليحيين ممثلي الخلافة الفاطمية والمدافعين عن المذهب الإسماعيلي[1].

وقد حرص الفاطميون في مصر على دعم وتأييد علي بن محمد الصليحي في اليمن، الذي استفاد كثيراً من الحالة النفسية التي كان عليها كثير من العرب الرافضين لسيطرة الأحباش على مقاليد الحكم والسيادة في اليمن، وكانت حالة هؤلاء العرب المعيشية قد وصلت إلى درجة كبيرة من التدهور والفقر، فاجتمع إلى علي الصليحي خلق كثير من هؤلاء العرب الجائعين[2].

والذي يتضح من الأحداث التي جرت بعد ذلك في اليمن، أن علياً الصليحي كان يتعامل مع القوى السنية المتمثلة في بني نجاح في تهامة بغاية الحذر، فكان لا يخطو خطوة نحوهم إلا بعد أن يستأذن الخلافة الفاطمية في مصر وعلى رأسها المستنصر، فبعد مقتل نجاح في سنة (٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م) ظل علي الصليحي ثلاث سنوات يدعم موقفه المذهبي والعسكري في جبال اليمن، حتى إذا كانت سنة (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م) لم يبق أمامه إلا أن يهاجم النجاحيين في تهامة، فأرسل «إلى المستنصر يعلمه ما هو عليه من ظهور الكلمة ويستأذنه في النزول بالعساكر إلى تهامة (حيث بني نجاح)، ومقاتلة أهلها، وهي أرض سهول تجاور ساحل البحر الأحمر، فأذن له وذلك في إبان وزارة اليازوري»[3].

---

(١) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٥١ Stookey, W., YEMEN, The Politics Of Yemen Arab Republic, (1978), P, 61.

(٢) عبد المنعم ماجد: الإمام المستنصر بالله الفاطمي، ص ١٠٣.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

وكانت الأمور في زبيد بعد مقتل نجاح تنذر بالخطر، لأن أبناء نجاح الأربعة الذكور وهم سعيد وجياش ومعارك ومنصور وابنته الذخيرة، كانوا جميعاً دون البلوغ،[١] وتولى وصايتهم وإدارة شؤون الدولة مولى لأبيهم يدعى كهلان[٢].

لم يبد كهلان من جانبه أية مبادرة لدفع الأخطار القادمة على الدولة النجاحية من جانب الإسماعيلية الصليحيين، حتى إذا كانت سنة (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م) اكتسحت جيوش الصليحي تهامة كلها، واستولت على زبيد عاصمة بني نجاح وعلى كل ممتلكاتهم في تهامة[٣]، واضطر أبناء نجاح إلى مغادرة زبيد على عجل متجهين إلى جزيرة دهلك، عدا أخاهم الأكبر معارك، الذي تذكر معظم المصادر أنه قتَل نفسه،[٤] بينما ينفرد العرشي في بلوغ المرام برواية يذكر فيها أن علياً الصليحي هو الذي قتله[٥]. ولم تنته سنة (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م) حتى «استولى الصليحي على اليمن سهله ووعره وبره وبحره»[٦] وتمكن بذلك من بسط نفوذه على بلاد اليمن كلها، وهو الأمر الذي علق عليه أحد المؤرخين بأنه «أمر لم يعهد مثله في جاهلية ولا إسلام»[٧].

على أن هذه الوحدة اليمنية التي تمكن علي بن محمد الصليحي من تحقيقها، كانت وحدة تعتمد على القهر بالقوة العسكرية، ذلك أن نزعة الاستقلال التي كانت تكمن لدى أمراء اليمن، عادت تتحرك في نفوسهم، وأصبحوا يتطلعون إلى استعادة ما كانوا يتمتعون به من نفوذ في مناطقهم، لأن اليمانية، بفعل العامل القبلي، لم يألفوا الخضوع لحكومة واحدة تسوسهم، أو الانتظام في سلك دولة موحدة[٨]. علاوة على ذلك فقد كان الشعور العام عند الكثيرين من اليمانية هو شعور الرفض الشديد للمذهب

---

(١) الخزرجي: العسجد المسبوك، ١٠٥، ابن الديبع، بغية المستفيد، ص ٤٦، (يذكر ابن خلدون أنهم كانوا ثلاثة أبناء سعيد وجياش ومعارك، ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٦١، ٤٦٢).

(٢) عمارة: المفيد، ص ١٩٢.

(٣) المصدر السابق: ص ١١٩، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٠٦.

(٤) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٠٦، Stooky, OP. Cit, P. 62. (ويروي ابن خلدون أن سعيداً وجياشاً أقاما في دهلك يتعلمان القرآن والآداب، ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٦٢).

(٥) العرشي: بلوغ المرام، ص ١٥.

(٦) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ٢٥٤.

(٧) عمارة: المفيد، ص ١٤٩.

(٨) د. عصام عبد الرؤوف: اليمن في ظل الإسلام، ص ١٤٩.

الإسماعيلي، وذلك لأنهم كانوا إما سنيين، وإما زيديين يعارضون المذهب الإسماعيلي ويعتبرونه مخالفاً، وفي مبادئه خروج على تعاليم الإسلام الحنيف، ومن ثم بدأت حركة المقاومة للمذهب الإسماعيلي وممثليه من الصليحيين، ففي صنعاء يروي يحيى بن الحسين: «أن الصليحي لما استقر في صنعاء بلغه أن أهلها يجتمعون في المساجد ويتذاكرون قبح سيرته، وربما خاضوا في شيء من أمر عقيدته، وأنه قد يعيد مذهب علي بن الفضل بصفته، فشق عليه ذلك وتألم منه كثيراً، فأمسك أياماً، ثم أمر بتسمير أبواب المساجد ومنع من دخولها»[1].

وفي تهامة وقف بنو نجاح على رأس حركة المقاومة ضد الصليحيين الإسماعيلية، وعلى الرغم من أن بني نجاح كانوا في دهلك، فإنهم لم يفقدوا كثيراً من الأعوان والأتباع في عاصمتهم السابقة زبيد، وكانت زبيد هي الأخرى تغلي برفض المذهب الإسماعيلي، لأنها ـ كما ذكرنا ـ كانت معقلاً للمذهب السني. ولذلك حاول أسعد بن شهاب ـ عامل الصليحي على زبيد ـ أن يخفف من وطأة المذهب الإسماعيلي على أهل زبيد، فسار «فيهم سيرة مرضية وترك لأهل السنة أحوالهم، وعامل من في زبيد من الحبشة وأرباب الدولة النجاحية معاملة حسنة»[2].

وواضح مما ذكره عمارة أن ولاية أسعد بن شهاب لم تكن على مدينة زبيد وحدها، وإنما كانت تشمل المنطقة الممتدة من وادي حرض حتى عدن[3]، وهي كما نرى تضم كل ما كان في حوزة بني نجاح تقريباً.

وعلى الرغم من سياسة التقرب إلى أهل السنة التي انتهجها أسعد بن شهاب في زبيد وما حولها، فقد ظلت قلوب الناس معلقة ببني نجاح، وعقدوا عليهم كثيراً من الآمال. ولدى المؤرخين كثير من الإشارات التي تؤكد أن بني نجاح في دهلك كانوا على اتصال بعاصمتهم زبيد، عن طريق بعض الأعوان والشخصيات الهامة في المدينة وأن تقاريراً كاملة عن تحركات علي الصيليحي كانت تنتقل إليهم. ويبدو أن ذلك قد تم في ضوء الحريات الكثيرة التي منحها أسعد بن شهاب لأهل السنة والأحباش في زبيد. فتذكر

---

(١) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ٢٥.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٥.
(٣) عمارة: المفيد، ص ١٢٣.

رواية أبي مخرمة أن أخبار الصليحي كانت عند سعيد الأحول بن نجاح «في كل وقت وحين من جواسيس له بزبيد وأعمالها»[١]. وتخبرنا رواية الخزرجي أن جياش بن نجاح تنكر ودخل زبيد «واستخرج وديعة كانت له عند بعض أصدقائه وعاد إلى دهلك»[٢]. كما ثبت لدى عمارة ـ الذي عاصر بعض أحداث هذه الدولة ـ أن سعيداً الأحول ظل فترة طويلة مختفياً في زبيد قبل تنفيذ مخططه بقتل علي بن محمد الصليحي سنة (٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م)، فكان يختفي في زبيد «عند الرئيس مُلاعب الخولاني وهو سوقه (أي من الطبقة الدنيا)، إلا أنه كان محباً لآل نجاح، واحتفر سعيد نفقاً (سرداباً سرياً) بين دور ملاعب كان يسكنه أكثر الأوقات»[٣]. وهذا الروايات كلها تعني أن زبيداً ـ رغم أنها كانت في حوزة الإسماعيلية ـ كانت أيضاً في متناول بني نجاح.

وقد جرى على ألسنة العامة في ذلك الوقت أن سعيداً الأحول بن نجاح سيقتل علي بن محمد الصليحي. ويعزي بعض المؤرخين ذلك إلى أقوال رددها بعض المنجمين وأهل الملاحم[٤]، وينبغي ألا نعول كثيراً على أن ما ذكر في هذا الشأن كان من أقوال المنجمين. ولكن يبدو أن الأمر لم يتعد ما قام به بعض الأدباء الشعبيين من أهل الملاحم، في ذلك الوقت من ترديد بعض الأساطير والملاحم الشعبية التي تصور أحلام العامة وآمالهم في عودة بني نجاح إلى الحكم مرة ثانية، وهذه الملاحم الشعبية ترددت في كل مكان «حتى لا يخلو سوق ولا طريق من ذلك»[٥].

وقد صورت هذه الملاحم سعيداً الأحول، وجعلت منه بطلا شعبياً يقتل علي بن محمد الصليحي[٦] ومما يؤكد ذلك أن المؤرخين تحدثوا عن أثر الأسطورة الشعبية ـ التي ترجمت أحلام الشعب ـ حين وصلت إلى مسامع الصليحي وإلى آذان سعيد الأحول، ومن هذه الروايات التي سجلها المؤرخون عن هذا الموقف رواية الخزرجي التي تقول:

---

(١) أبومخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص ١٦٢.

(٢) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٠٦، (يذكر عمارة أن اسمه عبد الرحمٰن بن طاهر القيبي، عمارة: تاريخ اليمن، ص ٩٢).

(٣) عمارة: المفيد، ص ١٩٢، ١٩٣ وانظر: ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٦٢، الذي ذكر ذلك باختصار شديد.

(٤) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٠٦.

(٥) الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٤٧.

(٦) اليماني: بهجة الزمن، ص ٥٣.

«وبلغ ذلك الصليحي فاستشعره، وبلغ سعيداً (الأحول) فترقت إليه همته وتهيأ لأسبابه»[1] ويروي ابن الديبع نفس الرواية بشيء من التفصيل فيقول: «فكان قد ظهر على ألسنة المنجمين وأهل الملاحم أن سعيداً الأحوال قاتل علي الصيلحي، فاستشعره وصورت له صورة الأحول على جميع حالاته، وبلغ سعيداً ذلك فترقت إليه همته وتهيأ لأسبابه»[2].

وهذه الرواية السابقة كما نرى تشير إلى أمرين أولهما: أن الأسطورة الشعبية تركت أثرها الكبير في بلاط الصليحي على إثر ذيوعها على ألسنة العامة، واضطر البلاط إلى تصوير سعيد الأحول بأوصافه للصليحي في جميع حالاته ـ كما تفعل أجهزة الشرطة في عصرنا ـ حتى يتعرف عليه علي الصليحي إذا ما حاول قتله: وثانيهما: أن الأسطورة الشعبية أحدثت أثرها من نفس سعيد الأحول ونمّت فكر قيامه باغتيال علي الصليحي وشجعته وحفزت همته لتنفيذها، فأخذ يتربص الدوائر بعلي الصليحي حتى يقتله.

أخذ سعيد الأحول يتابع من مكمنه في زبيد تحركات الصليحي، وكان الصليحي قد أرسل إلى المستنصر الفاطمي يستأذنه في السفر إلى مصر للقائه، فأرسل إليه المستنصر يأذن له بالمجيء إلى مصر، وكان ذلك في جمادى الآخرة من سنة (٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م)[3]، وفي التاسع من ذي القعدة سنة (٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م) بدأ علي الصليحي رحلته إلى مصر، وعزم على أن يقوم في أثناء هذه الرحلة بالحج وزيارة الأراضي المقدسة التي كان قد أخضعها قبل ذلك بسنوات إلى السيادة الفاطمية[4].

---

(١) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(٢) ابن الديبع: بغية المستفيد، ص ٤٧.

(٣) د. عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، دار المعارف، ١٩٧٧ ص ٢٠٢، وانظر أيضاً: ويستنفيلد: جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها، ترجمة د. عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان، الأنجلو المصرية ١٩٨٠، ص ٤٦، ٤٧.

(٤) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٠٦، ابن الديبع: قرة العيون، ص ٢٤٦، (يبدو أن التاريخ الذي ذكر في هذه الرواية هو تاريخ تحرك ركب علي بن محمد الصليحي من زبيد في اتجاه مكة، لأن بعض المصادر تذكر أن سعيداً الأحول ترك زبيد لقتل علي الصليحي في مساء نفس التاريخ، ويؤيد ذلك أن الصليحي قتل بعد هذا التاريخ بثلاثة أيام في الثاني عشر من ذي القعدة سنة (٤٥٩هـ) عند المهجم، وبين المهجم وزبيد ثلاثة أيام كما يذكر البغدادي في مراصد الاطلاع. انظر: يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ٢٥٧، عمارة: تاريخ اليمن، ص ٩٣، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ٣، ص ١٣٣٧).

والذي لا شك فيه أن أخبار هذه الترتيبات كلها قد وصلت إلى مسامع سعيد الأحول، بدليل أن سعيداً الأحول أرسل إلى أخيه جياش في أول شهر شوال، قبل خروج الصليحي إلى مصر بأكثر من شهر، يخبره بتطورات الموقف، ويدعوه للقدوم بمن معه من رجال إلى سواحل زبيد[١].

أما علي الصليحي فقد خرج من عاصمته صنعاء بعد أن ولى عليها ابنه المكرم - في حراسة ألفي فارس ومعه من آل الصليحي مائة وستون[٢] «خشية أن يثب أحدهم على ابنه المكرم»[٣] وأخذ معه في صحبته «ملوك اليمن الذين أزال ملكهم خوفاً أن يثوروا بعده في البلاد»[٤]، كما صحب معه زوجته أسماء بنت شهاب أم ابنه الملك المكرم[٥].

انطلق سعيد الأحول بن نجاح من زبيد وراء علي بن محمد الصليحي بعد خروجه منها، ومعه سبعون رجلاً «لا فرس مع واحد منهم، ولا سلاح إلا مسامير الحديد مركبة في الجريد»[٦].

ويروي عمارة عن أحمد بن فلاح صاحب ديوان التحقيق بزبيد في ذلك الوقت، أن سعيداً الأحول بن نجاح قتل جندياً وأخذ فرسه وركبه[٧]. أما جياش أخوه فقد نزل بقواته التي قدم بها من دهلك، والمؤرخون يختلفون في عدد هذه القوات، فبعضهم يذكر أنهم كانوا أربعمائة[٨]، وبعضهم يرى أنها بلغت خمسة آلاف جندي من الرجال الأحباش مسلحين بالحراب[٩]، وهذه الرواية الأخيرة هي الرواية التي نقلها ابن الديبع عن رواية

---

(١) الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٤٧.

(٢) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٥٥، (ذكر الوصابي أنهم مائة وسبعون الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٣٦).

(٣) العرشي: بلوغ المرام، ص ١٥، د. محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٨٤.

(٤) اليماني: بهجة الزمن، ص ٥٣.

(٥) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٥٥.

(٦) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٧) المصدر السابق، ص ٩٣.

(٨) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ٢٥٦.

(٩) ابن الديبع: قرة العيون ص ٢٥٣.

جياش بن نجاح التي ضمنها كتابه الذي ألفه عن زبيد بعنوان (المفيد في أخبار زبيد)[١].
وهذه الرواية قد يكون فيها شيء من الصحة، فقد ذكرها عدد من مؤرخي اليمن[٢] كما أن هذه الأعداد تتناسب مع المهمة التى سيقوم بها أبناء نجاح، ولأن الإقدام على مثل هذه المهمة بأعداد قليلة أمر محفوف بالمخاطر، خاصة إذا علمنا أن سعيداً الأحول وجياشاً يقدمان بهذه المهمة على إحياء دولة.

شعر أسعد بن شهاب بخطورة الموقف، وتقول بعض الروايات إنه أرسل إلى الصليحي يخبره بهذه التطورات الجديدة، وإن الصليحي «سير من ركابه خمسة آلاف حربة من الحبشة وقال: خذوا رأس الأحول وأخيه ومن معهما»[٣]. والروايات الأخرى تذكر أن أسعد بن شهاب عندما علم بخروج سعيد وجياش لقتل الصليحي سير «من ركابه خمسة آلاف حربة. . . وقال لهم: خذوا رأس الأحول وأخيه»[٤] وهذه الرواية الأخيرة هي التي نعتقد صحتها، لأن الصليحي، وكما عرفنا قبل ذلك، لم يكن معه ذلك العدد، فكما نعلم من روايات المؤرخين لم يكن معه أكثر من ألفين من الجنود.

على كل حال تجنب سعيد الأحول وجياش الاشتباك مع هذه القوة، وسلكا طريق الساحل وتجنبا الجادة السلطانية التي انتشرت فيها هذه القوات[٥]. وبعد مسير ثلاثة أيام تمكن جياش بن نجاح وسعيد الأحول من الدخول إلى طريق المخيم ـ الذي عسكر فيه الصليحي ـ عند موضع يعرف ببئر أم معبد بالمهجم[٦]. وكان الوقت وقت قيلولة، مما ساعدهم على اقتحام المعسكر بسهولة، حيث اعتقد من بالمخيم أنهم من الحراس والعسكر. ولم يتعرف عليهم إلا عبد الله الصليحي أخو محمد بن علي، ولكن بعد أن

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة، العرشي: بلوغ المرام، ص ١٦، الزركلي: الأعلام ج ٢، ص ١٤٧.
(٢) اليماني: بهجة الزمن، ص ٥٣، ٥٤، ابن الديبع: بغية المستفيد، ص ٤٧، أبو مخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص ١٦٢.
(٣) الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٤٧، أبو مخرمة: تاريخ ثغرعدن، ص ١٦٢، مع خلاف في اللفظ.
(٤) ابن الديبع: قرة العيون، ص ٥٤.
(٥) عمارة: تاريخ اليمن ص ٩٣.
(٦) العرشي: بلوغ المرام، ص ١٥، ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٦٢، ابن المجاور: صفة بلاد اليمن، ص ٧٥.

فات الأوان، وتمكن سعيد وجياش ومن معهم من قتلهما والسيطرة على الأمور بالمخيم. كان ذلك في الثاني عشر من ذي القعدة سنة (٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م)[١]. وقد أرخ بعض المؤرخين لهذا الحادث بأنه كان في سنة (٤٧٣هـ/ ١٠٨٠ـ ١٠٨١م)[٢]. ويبدو أن عمارة هو الذي أوقعهم في هذا الخطأ، حيث ذكر هذا التاريخ في أول الأمر، ثم عاد بعد ذلك وذكر سنة (٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م) تاريخاً لهذا الحادث، وقال: «وهي رواية صحيحة»[٣]. وهذا التاريخ الأخير هو الصحيح لأنه يتفق مع المصادر المصرية، التي أكدت هذا التاريخ الأخير، ومن بينها اتعاظ الحنفا للمقريزي، الذي ذكر مقتل الصليحي في أحداث سنة (٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م)[٤].

ظل سعيد الأحول في المهجم ثلاثة أيام، تم خلالها الاستيلاء على أموال الصليحي وذخائره وخزائنه، وكان قد حمل معه منها الكثير[٥]. وغنم (الأحول) في ذلك اليوم ألفي فرس بعددها وثلاثة آلاف حمل وما يتبع ذلك[٦]. وجرت بين سعيد الأحول وبين الخمسة آلاف الذين أرسلوا لتأمين الطريق لعلي الصليحي - مراسلات انضموا على إثرها إليه[٧]. وقد أشار الخزرجي إلى أنهم كانوا من بقايا مماليك بني نجاح من الأحباش، ومنهم من تربطه صلة قرابة ببني نجاح[٨]، وكان انضمامهم إلى سعيد الأحول أحد العوامل الهامة في تطور الأمور بسرعة في صالح بني نجاح.

---

(١) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٠٦، ١٠٧، اليماني: بهجة الزمن، ص ٥٣، ٥٤، أبو مخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص ١٦٢، Stooky, OP. Cit, P. 65 66.

(٢) الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٤٧، ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٦، أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ١٨٢، (هناك رواية أخرى قدمها يحيى بن الحسين ذكر فيها أن الحادث كان في سنة ٤٥٨هـ)، انظر يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ٢٥٥، ٢٥٦).

(٣) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٥٥، المفيد، ص ١٢٦.

(٤) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٧٣، ٢٧٤.

(٥) أبو مخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص ١٦٣.

(٦) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٠٧.

(٧) أبو مخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص ١٦٣، (قال لهم رسول الأحول على لسانه: «إن الصليحي قد قتل وأنا (الأحول) رجل منكم والعز عزكم فأطاعوا» انظر عمارة: المفيد، ص ١٩٧).

(٨) الخزرجي: العسجد المسبوك، . ص ١٠٦، حسين فيض الله الهمداني: الصليحيون والحركة الفاطمية، طبعة ١٩٥٥م، ص ١٠٠.

مال سعيد الأحول - بعد الانتصارات التي حققها - إلى القسوة في التعامل مع الصليحيين الذين كانوا مع علي بن محمد، وأصابه شيء من الغرور تحدث عنه أخوه جياش الذي قال: «عزت نفس الملك سعيد من حسد، وشمخ بأنفه علي وأنا ابن أمه وأبيه، ذلك أني أشرت إليه أن يحسن إلى السيدة أسماء بنت شهاب (زوجة علي الصليحي)، ويعفوا عمن قدر عليه من آل الصليحي وغيرهم من أبناء الملوك، وأن يكتب إلى ولدها المكرم: إنا أدركنا ثأرنا واسترجعنا ملكنا، وقد أحسنا إليك وحملنا إليك بصيانة والدتك والعفو عن بني عمك، وقلت له: يا مولانا لئن فعلت ذلك لا نازعتك قحطان في ملك تهامة، ولئن كرهت ذلك لتهجن حفائظها ولتطلبن بثأرها، فإنهم أهل نفوس أبية وهمم عربية»[1].

لم يعبأ سعيد الأحول بنصيحة جياش - الذي كان أكثر منه إدراكاً لواقع الأمور - وجمع آل الصليحي وقتلهم رمياً بالحراب[2]. وأسر زوجة علي بن محمد الصليحي أسماء، وأركبها هودجاً وجعل أمامها رأس زوجها وأخيه طيلة الطريق من المهجم حتى زبيد، وجعل إقامتها في حراسة مشددة في دار شخار بزبيد. ونصب الرأسين أمام نافذتها[3].

على إثر عودة بني نجاح إلى زبيد وأعمالها، قطعت الدعوة للفاطميين في مصر على منابر الدولة النجاحية، وأعيدت دعوة بني العباس[4] وتلقب سعيد الأحول بنصير الدولة[5]. وسعى إلى تدعيم وجوده العسكري، بعد أن دعم موقفه السياسي بالدعوة للعباسيين، فاستقدم عدداًكبيراً من الأحباش من بني جنسه، وتم ذلك عن طريق إرسال الأموال الضخمة إلى الحبشة، حيث قام بشراء عشرين ألفاً من العبيد، وساعده على ذلك ما استحوذ عليه من أموال الصليحيين في المهجم، وما وجده من أموال في زبيد[6].

وفي تلك الأثناء كانت الدولة الصليحية - التي ترأسها الملك المكرم خلفاً لوالده

(١) المصدر السابق ص ١٠٧، المرجع السابق، ص ١٠١.
(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٦٢، ابن الديبع: بغية المستفيد، ص ٤٧.
(٣) المصدر السابق، ص ٤٧، ٤٨.
(٤) المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٧٤.
(٥) عمارة: تاريخ اليمن، ص ١٤١، ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٦٣.
(٦) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٠٨.

علي الصليحي ـ تعاني من بعض الفتن والثورات الداخلية التي اندلعت، تحركها العوامل القبلية والرغبة في التحلل من الارتباط بالإسماعيلية، وباتت الدولة مهددة بالتفكك والتصدع، حيث ثارت بعض قبائل حراز واتجهت إلى الاستيلاء على حصن مسار، كذل ثار أهل منطقة الهان، وتمكن المكرم من مباغتة هذه القبائل، وإحباط الفتن التي تعمدت إثارتها[١]، وأستعان على ذلك بفلول الجند والقادة الذين وصلوا إلى صنعاء من حادث المهجم[٢].

وكانت أهم المشكلات التي واجهته، مشلكة أسر والدته، السيدة الحرة أسماء بنت شهاب، ومما زاد الأمر سوءاً وألهب الموقف اشتعالاً في صنعاء ـ عاصمة الصليحيين ـ وصول رسالة إلى المكرم من والدته تقول له فيها إني صرت حبلى من العبد الأحول، فإن أدركتني قبل أن أضع وإلا فهو العار الذي لا يزول[٣]، وكانت أسماء قد تعمدت أن تذكر هذا الأمر ـ الذي لم يحدث ـ كي تثير في ابنها ومن معه من سائر العرب عوامل الغيرة والنخوة والإباء.

فقرأ المكرم رسالتها على الناس وهو على المنبر، واستثار حفائظهم، وضجوا بالبكاء، وخرج المكرم من صنعاء في ثلاثة آلاف فارس غير الراجل منهم، بعد أن حالفهم وخطب فيهم وحرضهم على القتال واستنصرهم[٤]. وعند قرية التُربية في شرقي زبيد، توقف المكرم حتى استكمل توافد الجند والقوات عليه[٥]. وهناك وضع خطة للهجوم على زبيد التي وصلت إليها الأنباء بقدوم المكرم، فقسم المكرم جيشه إلى قلب وميمنة وميسرة[٦]، أما سعيد الأحول فخرج إلى المكرم على عجل من زبيد في عشرين

---

(١) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ٢٥٨، حسين بن فيض الله الهمداني: الصليحيون والحركة الفاطمية، ص ١٢٥.

(٢) د. عصام عبد الرؤوف: اليمن في ظل الإسلام، ص ١٥٦.

(٣) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٥٦.

(٤) الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٣٦، حسين بن فيض الله: الصليحيون والحركة الفاطمية، ص ١٢٠.

(٥) أبو مخرمة: تاريخ ثغر عدن، ج ٢، ص ٨، التُربية: بضم التاء المثناه من فوق بعدها راء وياء تحتية، وباء موحدة وهاء، بلدة كبيرة عامرة من ملحقات مدينة زبيد، ابن الديبع: قرة العيون، هامش ص ٢٥٧، ٢٥٨.

(٦) عمارة: المفيد، ص ١٣١، ١٣٢.

ألفاً من العبيد، ودارت بينهما معركة طاحنة عند باب الشبارق ـ من أبواب مدينة زبيد ـ تمكن جيش المكرم الذي كان يبدو أكثر كفاءة في فنون الحرب والقتال، من هزيمة قوات سعيد الأحول من العبيد، الذين لا يعرفون سوى حمل الحراب، وكانوا حديثي العهد بالحرب مع العرب، حيث لم يمض على تواجدهم في زبيد أكثر من عام، وكان لذلك أثره في إلحاق هزيمة فادحة بهم[١]. حيث «وقف المكرم في القلب، فقاتلت الحبشة قتالاً شديداً ساعة من نهار، ثم انطوى عليها الجناحان فانكسرت الحبشة، وطحنتهم الخيل طحن الرحى، وأتى القتل على أكثرهم»[٢].

ومما يؤيد هذا الرأي، موقف الملك المكرم الصليحي من هؤلاء المجلوبين الجدد من الأحباش، حديثي العهد والخبرة بالمواطن الجديدة التي نزلوا إليها في زبيد، وغيرها من الأعمال التابعة لبني نجاح، فبعد انتهاء المعركة قال المكرم لجنده وقادة جيشه: «اعلموا أن عرب هذه الناحية يستولدون الجواري السود، فالجلدة السوداء تعم العبد والحر، ولكن إذا سمعتم من يسمي العظم عزماً، فهو حبشي فاقتلوه، ومن سماه عظماً فهو عربي، فاتر[٣]

أما سعيد الأحول ومن معه من بني نجاح، فتذكر روايات المؤرخين أنه كان قد أعد خيلاً جيدة مضمرة على الباب الغربي من زبيد ـ باب النخل ـ فركبها فيمن سلم من أصحابه وخواصه، وأهل بيته وسار عليها إلى البحر، حيث أعدت هناك سفن حملتهم جميعاً إلى جزيرة دهلك[٤].

بهذه الأحداث تقلص حكم بني نجاح مرة ثانية، وعادوا إلى منفاهم التقليدي في دهلك، أما ممتلكاتهم، فعادت ثانية إلى الصليحيين، وأقام المكرم في زبيد أياماً ينظم شؤونها، ثم انتقل بوالدته أسماء إلى صنعاء، بعد أن ترك زبيد والأعمال التهامية في ولاية

---

(١) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٥٨، الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، ص ١٢٢، أبو مخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص ٨.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٥٩.

(٤) أبو مخرمة: تاريخ ثغر عدن، ص ٨، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ٢٥٩، اليماني: بهجة الزمن، ص ٥٥، ابن الديبع: قرة العيون، ص ٢٥٩.

خاله أسعد بن شهاب مرة ثانية[1].

انتعش المكرم بعد هذا الانتصار الساحق على بني نجاح، فأمر بضرب الدنيار الملكي، وكتب عليه: الملك السيد المكرم، عظيم العرب، سلطان أمير المؤمنين[2]. ولكن يبدو أن تطورات جديدة حدثت بعد عودة المكرم إلى صنعاءببضع سنين، حيث تتحدث المصادر بأن المكرم بعد انتصاره في زبيد، وعودته إلى صنعاء فوض أمور إدارة الدولة إلى زوجته السيدة الحرة أروى بنت أحمد بن جعفر الصليحي، وذلك على إثر إصابته بالفالج[3].

والذي يبدو أن هذه الإصابة كانت بتأثير المعركة التي خاضها مع سعيد الأحول، حيث يروي المؤرخون، أن المكرم بعد أن هزم قوات بني نجاح، ودخل زبيد، توجه إلى دار شخار التي أسرت فيها أمه السيدة أسماء. «فكان أول فارس تحت طاق أسماء. . . فسلم عليها فلم تعرفه، وقالت من أنت؟ فقال: أحمد بن علي. فقالت: أحمد بن علي في العرب كثير، وأمرته أن يرفع المغفر (عن وجهه) فرفعه. فقالت: مرحباً بمولانا المكرم، فأصابته ريح ارتعش لها واختلج وجهه، فكان كذلك سنين كثيرة حتى مات»[4].

ومعظم المؤرخين يربط بين إصابته بالفالج - الذي يبدو وأنه اشتمل على جزء كبير من وجهه - وتنازله عن ممارسة أعباء الحكم لزوجته السيدة الحرة أروى، ويبدو أن هذه التطورات الجديدة التي طرأت على البيت الصليحي وأسرارها انتقلت بسرعة إلى بني نجاح في دهلك - الذين كانوا لا يعدمون وسيلة للتجسس على الصليحيين، ورصد تحركاتهم - كما ذكرنا قبل ذلك - وأعتقد أن هذه الأحداث تفسر السبب في أن سعيداً الأحول عاد إلى مهاجمة زبيد مرة أخرى سنة (٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م)[5] واستولى عليها

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٦٠، ٢٦١، ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٦٣.

(٢) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٦٠.

(٣) العرشي: بلوغ المرام، ص ٢٦، ابن الديبع: بغية المستفيد، ص ٥٠ د. عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، ص ٢٠٦.

(٤) اليماني: بهجة الزمن ص ٥٢، وانظر عمارة: تاريخ اليمن، ص ٥٨، مع خلاف في اللفظ.

(٥) أبو مخرمة: تاريخ ثغر عدن، ج ٢، ص ٩، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ٢٧١، الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٣٨، أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ١٨٢، (ذُكر أن استرداد زبيد كان في سنة سبع وتسعين، ولعله خطأ مطبعي أو خطأ في النقل)، ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٦٣.

وطرد منها أسعد بن شهاب، واستعاد ممتلكاته وسيطرته على الأعمال التهامية بعد أن شعر بمرض المكرم وعجزه، وحرص زوجته السيدة أروى على عدم القيام بأي عمل عسكري غير مضمون النتائج ضد بني نجاح في ذلك الوقت لاستعادة زبيد[1].

وترتب على هذه التطورات الأخيرة نتائج كانت ذات خطر كبير على الخلافة الفاطمية في مصر، حيث يذكر المقريزي أنه في سنة (٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م)، خلع اسم المستنصر وآبائه من مكة والمدينة، وكتب اسم المقتدي (الخليفة العباسي)[2]، وهذا يعكس مدى اعتماد المستنصر الفاطمي في مصر على أعوانه الصليحيين في اليمن لبسط نفوذ الخلافة الفاطمية على أنحاء الجزيرة العربية، وبخاصة على الحجاز، حيث الحرمان الشريفان ومكان الصدارة الدينية الكبرى، الذي يكون لمن يتولى الإشراف على شؤونها في نظر المسلمين[3].

فضلاً عن ذلك فقد كان هناك أثر كبير على تجارة الفاطميين في البحر الأحمر، فعودة بني نجاح إلى السيطرة على ممتلكاتهم، كان يعني فقد السيطرة الفاطمية على المداخل الجنوبية الهامة للبحر الأحمر حيث كان البحر الأحمر يتحول إلى بحيرة فاطمية عندما يمتد نفوذ الصليحيين فيحتوي ممتلكات بني نجاح في زبيد وتهامة.

وهذا يلقي بعض الأضواء على أثر العامل الاقتصادي، إلى جانب العامل المذهبي في احتدام الصراع بين النجاحيين والصليحيين، إذ إن القوة التي كانت تسيطر على شواطئ البحر الأحمر الجنوبية، ومداخل هذا البحر كانت تجني من وراء تجارة المرور في تلك المنطقة مكاسب اقتصادية هائلة، وهذه المكاسب ولا شك كانت تدعم موقفها السياسي على أرض اليمن، وقد يساعدنا على تأكيد ذلك أن علي بن محمد الصليحي اشترط على من يتولى زبيد وأعمالها أن يقدم للخزانة الصليحية مبلغاً محدداً من المال في كل سنة، حيث أقسم ألا يوليها «إلا لمن وزن له مائة ألف دينار»[4]. وبعض الروايات

---

(١) أبو مخرمة: تاريخ ثغر عدن، ج ٢، ص ٩.

(٢) المقريزي؛ اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٣٢٤.

(٣) د. عبد المنعم ماجد: الإمام المستنصر بالله الفاطمي، ص ١٠٥.

(٤) عمارة: المفيد، ص ١٢٠.

الأخرى تذكر أن والي زبيد حمل بعد ذلك إلى الصليحي في بعض السنين بعد أن دفع أرزاق الجند وغيرها من الأسباب اللازمة ألف ألف دينار[1]. وفي كلتا الحالتين كان هذا المبلغ ضخماً جداً في ذلك الوقت، كما أنه يعكس الثراء الاقتصادي الذي تمتعت به هذه المنطقة التجارية الهامة. ولذلك نلاحظ احتدام الصراع دائماً بين الصليحيين والنجاحيين، بينما لم يرق الصراع بين الصليحيين والزيدية إلى هذا المستوى من العنف والإصرار، لأن المناطق التي بسط الزيدية نفوذهم عليها لم يكن لها ثراء تهامة وموقعها، واستفاد الزيدية كثيراً من هذا الصراع في دعم موقفهم وتثبيت أقدام دعوتهم في جهات اليمن.

ولذلك لم يكد يمضي عامان على استيلاء سعيد الأحول على زبيد وتهامة حتى استطاعت السيدة أروى الصليحية استدراج سعيد الأحول إلى كمين أعدته له بالاتفاق مع الحسين بن التبعي صاحب حصن الشعر، حيث أمرت الحسين بن التبعّي بأن يكاتب سعيداً الأحول ويقول له: «إن المكرم قد أصابه الفالج وعكف على الملذات ولم يبق أمره إلا بيد امرأته وأنت (سعيد الأحول) اليوم أقوى ملوك اليمن، فإن رأيت أن نطبق على ذي جبلة ـ عاصمة الصليحيين ـ أنت من تهامة، ونحن من الجبل فتستريح منه وترجع إليكم البلاد بأسرها، فافعل فدولتكم أحب إلى المسلمين»[2].

ويفهم من هذا النص أن بعض الأجزاء من دولة بني نجاح كانت حتى هذه اللحظة ما تزال تحت سيطرة الصليحيين، وأن بني نجاح كانوا يحظون بتأييد كبير على المستوى الشعبي باعتبارهم المنافحين عن المذهب السني ضد محاولات المد الإسماعيلي.

انطلت الحيلة على سعيد الأحول، وتقول بعض المصادر: «فحسن موقع ذلك عند

---

(١) ابن الديبع: قرة العيون، ص ٢٤٨، (أشاد ابن خلدون بثراء المنطقة أيام أبي الجيش إسحاق الزيادي فقال نقلاً عن ابن سعيد: رأيت مبلغ جبايته (أبو الجيش) وهو ألف ألف مكررة مرتين وثلثمائة ألف وستة وستون ألفاً من الدنانير العشرية، ما عدا ضرايبه على مراكب السند، وعلى العنبر الواصل بباب المندب وعدن وأبين، وعلى مغائص اللؤلؤ، وعلى جزيرة دهلك ومن بعضها وصائف ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٥٦).

(٢) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٦٣، ٦٤، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٦٢، مع خلاف في اللفظ، (حصن الشعر: وهو حصن قيظان عند نقطة التقاء حدود المخاليف الثلاثة المعروفة بمخلاف بعدان ومخلاف الشعر ومخلاف يحصب، عمارة: المفيد، هامش ص ١٤٤، الجعدي: طبقات اليمن، ص ٣١٨).

سعيد واستخفه الفرح[١]، فخرج إلى ذي جبلة ومعه ثلاثون ألف مقاتل مسلحون بالحراب، بعد أن استخلف على زبيد أخاه جياش بن نجاح، وذلك في الموعد الذي اتفق عليه مع الحسين بن التبعي[٢].

وكانت أروى قد كلفت أبا الفتوح بن أسعد بن شهاب وعمران بن الفضل بأن يقطعا طريق العودة وراء سعيد الأحول، فيسيرا ومعهما ثلاثة آلاف من الجند خلف سعيد الأحول بعد خروجه من تهامة ويتبعاه منزلاً بمنزل، حتى يحكما الحصار عليه عند أرض الموقعة[٣]، فلا يستطيع الهرب بالانسحاب من أرض المعركة، ولما نزل الأحول بقواته تحت حصن الشعر أطبق الجيشان عليه فقتل هو ومن معه، ولم ينجو من المعركة إلا ألفان لاذوا بالفرار، كان ذلك في سنة (٤٨١هـ/ ١٠٨٨ـ ١٠٨٩م)[٤].

سار أسعد بن شهاب وعمران بن الفضل بعد المعركة بمن معهما من قوات إلى زبيد، فاستولى عليها أسعد بن شهاب بينما هرب منها جياش بن نجاح إلى الهند، ومعه الوزير خلف بن أبي طاهر الأموي.

مكث جياش في الهند تسعة أشهر حتى هدأت الأحوال، فعاد إلى عدن ومعه جارية هندية كان قد اشتراها هناك في الهند وحملت منه[٥]. ومن عدن بدأ جياش يمهد لاستعادة ما ضاع من بني نجاح، فأمر وزيره خلف بالذهاب إلى زبيد عن طريق الساحل، وأمره أن يطلق في زبيد إشاعة بين الناس بأن جياشاً بن نجاح قد مات في الهند، وأن يطلب الأمان لنفسه من السلطات الحاكمة في زبيد، وبهذه الطريقة يستطيع خلف أن يحمل لجياش أخبار زبيد دون أن يشك فيه أحد، كما أن تحركات جياش بعد ذلك عندما

---

(١) ابن الديبع: قرة العيون، ص ٢٦٤.

(٢) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ٦٢، ٦٣، ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٦٣، العرشي: بلوغ المرام، ص ٢٦.

(٣) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٦٤.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة، الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ١٤٧، (وتذكر رواية عمارة أن أم المعارك زوجة سعيد الأحول كانت معه، وهي التي تعرفت على رأس زوجها سعيد من بين القتلى، وقد صلبت رأس الأحول بالقرب من الطاقة التي أسرت فيها أم المعارك، وكانت أروى تقول عند صلب رأس سعيد «ليت لك عيناً يا مولاتنا أسماء حتى تنظري رأس الأحول تحت طاقة أم المعارك» المفيد، ص ١٤٥.

(٥) ابن الديبع: قرة العيون، ص ٢٦٣.

يعود إلى زبيد تكون في مأمن، بعد علم الناس أنه مات، فلا يشك في شخصيته أحد[1].

مهدت هذه التدابير التي اتخذها جياش ووزيره خلف لأن يتنقل في مدن اليمن في سهولة ويسر دون أن يفطن إليه أحد، فيخبرنا صاحب غاية الأماني أن جياشاً صعد إلى ذي جبلة متغرراً، قد تزيا بزي الهنود من تطويل الأظافر وإسبال الشعر ووضع خرقة على أحد العينين، فكشف من أحوال المكرم، وعرف حقيقة أمره. ثم انحدر إلى زبيد[2].

ويبدو أن المعلومات التي جمعها من ذي جبلة ـ عاصمة دولة الصليحيين في ذلك الوقت ـ كانت مشجعة له على المضي في مخططة، حيث رأى المكرم «وما هو عليه من العكوف على لذاته، واضطراب جسمه وتفويض الأمر إلى زوجته،[3] وفي زبيد ـ التي انتقل إليها على عجل ـ اجتمع مع وزيره خلف الذي أكد إليه كثرة أولياء بني نجاح، ومواليهم في زبيد وما حولها وأنهم لا يحتاجون إلا إلى زعامة تقودهم»[4].

وكانت الدار التي يختفي فيها جياش ـ في زبيد ـ قريبة من دار علي بن القم وزير أسعد بن شهاب، وتمكن جياش من التسلل إلى مصطبة علي بن القم حيث مجلسه، وعلم من خلال هذا المجلس أن هناك خلافاً بين أسعد بن شهاب وابن القم، حتى إن جياشاً سمع علياً بن القم يوماً وهو يقول: «لو وجدت كلباً من آل نجاح لملكته زبيد»[5] وسمعه يقول أيضاً: «عجل الله علينا بكم يا آل نجاح»[6].

وكان الحسين بن علي، ابن الوزير القمي، يميل إلى جياش لشغفه بلعب الشطرنج معه، كثيراً ما كان يستدعيه لملاعبته، وكان جياش يتظاهر لابن الوزير بالعجز عن مقاومته في اللعب، حتى أظهر جياش في بعض الأيام مهارته في اللعب أمام ابن الوزير، وسد عليه أبواب الشطرنج حتى غلبه، فلطمه ابن الوزير، فقام جياش ثائراً وهو يقول: «أنا أبو

---

(١) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ٢٧٢، ٢٧٣، (وتقول رواية عمارة أنه مكث في الهند ستة أشهر، عمارة: تاريخ اليمن ، ص ٩٦) .

(٢) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ٢٧٣، (ذي جِبْلَة: بالكسر، مدينة باليمن تحت جبل صبر، وتسمى ذات النهرين البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ١، ص ٣١٣).

(٣) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٩٧.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة، يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ٢٧٣.

(٥) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٦) المصدر السابق، نفس الصفحة.

الطامي»[1] وبعض المصادر تقول: إنه نهض غاضباً على إثر ذلك فتعثر في مشيته فقال: أنا جياش بن نجاح.

على جاري عادته[2] فسمعه علي بن القم قال جياش: فوثب «خلفي حافياً يجر رداءه حتى أدركني فأمسكني وأخرج المصحف فحلف لي بما طابت به نفسه وحلفت، وليس معنا أحد ثم أمر ابن القم بإخلاء دار الأعز - ابن الصليحي - وفرشت وعلقت ستورها، ونقلت الجارية الهندية إليها، وحمل إليها الوصائف والوصفان، وماعون وأثاث، وعاقني عنده إلى أن أمسي الليل، ثم أذن لي بالانصراف فدخلت فوجدت الجارية قد وضعت فيما بين المغرب والعشاء ولدي الفاتك»[3].

وفي أثناء ذلك كله لم تنقطع الصلة بين جياش ومواليه من الأحباش في زبيد وأعمالها حيث تمكن هو ووزيره خلف خلال فترة قصيرة من تجنيد خمسة آلاف جندي بحرابهم بطريقة سرية حول المدينة وفي الحارات داخل زبيد. وقام جياش بتوزيع عشرة ألاف دينار عليهم كانت له عند أحد أصدقائه بزبيد، وأصبحت هذه القوة في انتظار أوامر جياش بالانقضاض على ممثلي الصليحيين في زبيد وانتزاع الأمر منهم[4].

وفي نفس مساء الليلة التي ترك فيها جياش علي بن القم، حضر إليه هذا الأخير، وقال له: إن بعض أخبار جياش قد وصلت إلى أسعد بن شهاب، فاتفق الاثنان على تنفيذ الانقلاب فوراً. وأمر جياش بضرب الطبول والأبواق، وثارت معه عامة أهل المدينة.[5] وهذا يعني أن بني نجاح لم يفقدوا تأييد الرأي العام خلال صراعهم مع الصليحيين الإسماعيلية. فلم يأت الصباح إلا وقد تسلم جياش دار الإمارة بما فيها، وأخرج أسعد بن شهاب وأحسن إليه، وسيره بجميع ما ملك من أهل ومال.[6] وأرخت المصادر لهذه الأحداث بسنة (٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م)[7].

---

(١) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ٢٧٣.

(٢) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٠٩.

(٣) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٩٨، ٩٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٩٨، ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٦٤.

(٥) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١١.

(٦) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٩٩.

لم يكن رد الفعل قوياً على هذه الأحداث الجديدة من جانب الصليحيين، فلم يتعد رد المكرم الصليحي وزوجته أروى على ذلك إلا القيام ببعض الإغارات على أعمال زبيد، وهذه الإغارات لم تظهر لها نتائج عسكرية مؤثرة على بني نجاح،[١] وظلت الأمور هكذا حتى وفاة المكرم سنة (٤٨٤هـ/ ١٠٩١م)[٢].

وما إن تزوجت السيدة أروى الصليحية من الداعي أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي، وأسندت إليه أعباء بسط نفوذ الدولة، حتى نشط إلى مواجهة بني نجاح وساعده على ذلك مجاورة مناطق نفوذه وعمالاته لتهامة ـ أرض بني نجاح ـ ولذلك كانت الحرب سجالاً بينه وبين جياش بن نجاح «فكان إذا دخل الشتاء نزلت العرب تهامة وارتفع جياش عن البلاد، فيقيم بها نواب سبأ يجبون خراجها، ويعدلون في الرعية ويحتسبون للعمال بما قبضه منهم جياش في مدة الصيف والخريف، فإذا سخنت البلاد ارتفعت العرب إلى الجبال فيدخلها حينئذ جياش، تارة بقتال وتارة بدونه، وبدخوله تنشر المصاحف ويظهر الفقهاء ويتطاول العلماء، ويحتسب أيضاًجياش للرعايا بما قبضه منهم سبأ ونوابه في مدة الشتاء والربيع»[٣].

وهذا يؤكد ولا شك ما سبق أن ذكرناه من أن العامل الاقتصادي كان محركاً أساسياً لحركة الصراع بين النجاحيين والصليحيين، فضلاً عن العامل المذهبي. ويكشف أيضاً عن الخصائص الاستراتيجية ـ إذ جاز استخدام هذا التعبير ـ للمنطقة التي كانت تحتلها دولة بني نجاح، فهي إلى جانب أهمية أراضيها، كمحطات لتجارة المرور، فهي دولة تمتلك مناطق زراعية ورعوية وفيرة، تنعكس آثار غناها بوضوح على أية قوة سياسية تستمد عناصر بقائها من السيطرة عليها.

ولم يتخلص النجاحيون من وطأة الداعي أبي حمير سبأ الصليحي على دولتهم إلا

(١) ابن الديبع: قرة العيون، ٣٤٥، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١١٠، ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٤٦٤، الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ١٤٧.

(٢) عمارة: تاريخ اليمن، ص ٩٩.

(٣) أبومخرمة: تاريخ ثغر عدن، ج ٢، ص ٩.

(٤) ابن الديبع: قرة العيون، ص ٢٦٦، انظر، الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٤١، باختصار شديد.

عن طريق خطة أشار بها الوزير خلف بن أبي الطاهر على جياش بن نجاح، وقد نفذ الاثنان الخطة بمنتهى الدقة، حيث طلب خلف من جياش أن يعتقله ويصادر ممتلكاته، ويقوم بتعيين وزير آخر هو محمد بن الغفاري[١].

وتتابع الأحداث بعد ذلك، فينقب خلف جدار السجن ويهرب إلى الداعي سبأ، فيصطفيه سبأ نكاية في جياش، وهناك أخذ خلف يحسن لسبأ النزول إلى تهامة والاستيلاء عليها نهائياً، على أن يستعين سبأ بخبرته ومكائده لقطع دابر جياش[٢].

وفي نفس الوقت جرت مراسلات سرية بين خلف وجياش، يطلب فيها خلف منه أن يتظاهر بالتراخي والعجز، وأن يكتب إلى الداعي سبأ يساومه على نصف البلاد أو على قدر معلوم من المال، وأن يشترط على سبأ في مقابل ذلك إبعاد الوزير خلف بن الطاهر من عنده.[٣] وهنا استحكمت أطماع الداعي سبأ في القضاء على جياش، وأعد جيشاً من ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل، وعند باب زبيد كانت جيوش جياش على أهبة الاستعداد بقيادة القائد ريحان الكهلاني، فأخذت جيوش الداعي سبأ على غرة، فهلك الجميع قتلاً بالحراب[٤] «وهرب سبأ منها تلك الليلة راجلاً في غمار الناس، حتى لقي آخر الليل من حملة، فلم تعد العرب تهامة بعدها»[٥].

في أعقاب ذلك بدأت الدولة النجاحية تتمتع بحالة من الاستقرار السياسي... والاقتصادي والاجتماعي والمذهبي، وتلقب جياش بن نجاح بالملك المكين وبالملك العادل[٦]، وأقام الخطبة للعباسيين،[٧] وتوقفت الحروب بين بني نجاح والصليحيين لانشغال الصليحيين في مشاكلهم الداخلية، وانتعشت البلاد اقتصادياً لوفرة الأموال التي كانت تنفق في الحروب، وأصبحت زبيد وتهامة تتعامل مع السلطة الشرعية التي كانت تحكمها قبل ذلك، وهي سلطة سنية تتسق مذهبياً مع مذهب عامة الدولة، بعد أن عانى

---

(١) عمارة: المفيد، ٤٩، عمارة: تاريخ اليمن، ص ٦٦.
(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة، الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٤١.
(٣) عمارة: المفيد، ص ١٤٩.
(٤) المصدر السابق؛ نفس الصفحة، ابن الديبع: بغية المستفيد، ص ٤٩.
(٥) عمارة: المفيد، ص ١٤٩، ١٥٠، وانظر: Stooky, Op. Ciy, P. 75, 76.
(٦) ابن الديبع: بغية المستفيد، ص ٥٤، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١١٠.
(٧) ابن خلدون: العبر، ج ٢، ص ٤٦٤، عمارة: تاريخ اليمن، ص ١٤٣.

أبناؤها طويلاً من الازدواج المذهبي بازدواج السلطة بين الصليحيين الإسماعيلية والنجاحيين السنية. وقد أتاح هذا الاتساق للفقهاء والعلماء حرية فكرية، فانعكس ذلك على الأوضاع العلمية والثقافية، ونال العلماء والفقهاء والشعراء مكانة عظيمة في الدولة، بعد أن كانوا في طيات النسيان في ظل الإسماعيلية[١].

والمصادر شحيحة بالمعلومات عن الفترة التي حكمها جياش، والتي قدرها بعض المؤرخين بحوالي ست عشرة سنة، من سنة (٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م) حتى سنة (٤٩٨هـ/ ١١٠٤ـ ١١٠٥م)، وهي السنة التي توفي فيها جياش[٢]. وبعض المصادر تذكر أن وفاته كانت في سنة (٥٠٠هـ/ ١١٠٦ـ ١١٠٧م)[٣].

وهذه الفترة الطويلة خلت من أي مظهر للصراع مع الصليحيين، عدا ما ذكرناه. واكتفت المصادر خلال هذه الفترة بالحديث عن جياش نفسه كواجهة لهذه الدولة، فذكرت أنه كان أديباً شاعراً محباً للعلم والعلماء.[٤] يروي الخزرجي في هذا الشأن، أن عمارة رأى: «ديوان شعره مجلداً ضخماً، وله (جياش) ترسل متوسط بعيد الكلفة رأيت منه(عمارة) عدة مجلدات، وهو الذي صنف كتاب المفيد في أخبار زبيد، وهو كتاب متسع الإفادة، وقد قلت نسخه في البلاد، وربما عدمت في أكثر الجهات»[٥].

وقد اعتمدت هذه الدراسة عن بني نجاح على القطع والفقرات التي نقلها المؤرخون في كتبهم من كتاب المفيد لجياش، وقد يسد الباحثون ثغرات كبيرة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والإدارية، إذا ما عثروا على إحدى نسخ هذا الكتاب. ولجياش رسالة كتبها إلى معلم ولده وهي رسالة هامة في بناء شخصية الطفل المسلم، وتحديد العلاقة بين الطفل ومعلمه وهي تعكس خبرة فريدة لجياش: في هذا المجال التربوي في ذلك الوقت[٦].

---

(١) ابن الديبع: قرة العيون، ص ٢٦٦، ٣٤٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٤٥، الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٥٤، الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ١٤٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٦٤، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١١٠، عمارة: تاريخ اليمن، ص ١٠٠.

(٤) الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، ص ١٠٤.

(٥) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١١٠.

وينفرد عمارة من بين المؤرخين بذكر عدد من الشعراء الذين تألقوا في هذه الفترة، وسجلت بعض أشعارهم شيئاً من أحداث الصراع بين بني نجاح والصليحيين، إلى جانب أغراض أخرى كثيرة. ومن هؤلاء الشعراء الحسين بن علي القمي[1] وأحمد بن محمد العثماني[2]، والشيخ إسماعيل بن محمد المعروف بابن النوقا، الذي نال وزارة القلم لجياش بن نجاح ولأبنائه من بعده[3]، والقاضي أبو محمد الحسن بن أبي عقامة الذي كان فقيهاً شاعراً إماماً في العربية واللغة[4].

---

(١) المصدر السابق، ص ١١٠، ١١١، ابن الديبع: قرة العيون، هامش ٣٤٦، انظر ملحق رقم (١).

(٢) عمارة: المفيد ص ٢٤٦، ٢٤٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٨، ٢٨٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨٤.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٨٨.

ثالثاً: عصر نفوذ الوزراء وسقوط الدولة

(٤٩٨هـ/ ١١٠٤ـ ١١٠٥م) ـ (٥٥٤هـ/ ١١٥٩م)

دخلت الدولة النجاحية بعد وفاة جياش بن نجاح إلى مرحلة جديدة من مراحل تطورها السياسي، حيث انتقلت الدولة من عصر سلطة الملوك المطلقة ـ الذي استمر من سنة (٤١٢هـ/ ١٠٢١م) حتى سنة (٤٩٨هـ/ ١١٠٤ـ ١١٠٥م) ـ إلى عصر نفوذ الوزراء العظماء، الذي بدأ منذ هذا التاريخ الأخير وحتى سقوط الدولة في سنة (٥٥٣هـ/ ١١٥٨م)[١]. وتميزت هذه الفترة بضعف ملوك بني نجاح لصغر سنهم أو حداثتهم، ولذلك تركوا تدبير أمور الدولة وتوجيهها إلى وزرائهم، وهذا النوع من الوزارة هو الذي عرف بوزارة التفويض، والذي أشار إليه ابن خلدون بقوله: «وزارة تفويض، وهي حال ما يكون الوزير مستبداً عليه (أي على الملك أو السلطان)»[٢].

استفحل شأن هؤلاء الوزراء، وعلا نفوذهم، حتى إن بعضهم اتخذ لنفسه مظلة للركوب، وضرب السكة باسمه[٣]. ولم يعد لملوك بني نجاح إلى جانب هؤلاء الوزراء سوى بعض شكليات الملك، ولذلك لم يكن هناك في الدولة في الغالب سوى وزير واحد يستبد بشؤون الملك والإدارة، وإذا وجد وزير آخر، فهو مجرد موظف كبير في الدولة يأتمر بأمر الوزير المستبد الغالب على الحكم[٤]، وهذه الظاهرة تعني أن الدولة أخذت طريقها نحو الانهيار والسقوط. وأصبحت هذه الفترة الأخيرة من حياة الدولة النجاحية تقترن سياسياً بهؤلاء الوزراء الغالبين المستبدين بها أكثر من اقترانها بملوكها الذين كانوا إما صغاراً محجوبين بهؤلاء الوزراء، أو كباراً، ولكنهم في حقيقة الأمر مجردون من السلطة، ومن أشهر الوزراء الذين عرفتهم الدولة النجاحية في هذه الفترة أنيس الفاتكي. وأبو منصور من الله الفاتكي، وأبو منصور مفلح الفاتكي، وإقبال الفاتكي وسرور الفاتكي.

---

(١) عمارة: تاريخ اليمن، ص ١٤٤.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج ١، ص ٤٢٣.

(٣) عمارة: المفيد، ص ٢١٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨٤.

١ ـ وزارة أنيس الفاتكي

في أعقاب وفاة جياش بن نجاح تردى البيت النجاحي في صراع أسرى حول الملك، فدار الصراع بين فاتك بن جياش ـ ابن الهندية ـ وبين أخويه إبراهيم وعبد الواحد اللذين كانا فيما يبدو من أم أخرى غير أم فاتك[١]. ودارت بين الثلاثة حروب محدودة، تمكن فاتك بحنكته السياسية من استرضاء أخيه عبد الواحد، فأصدر أمراً بالعفو عنه، وبذل له كثيراً من الأموال التي أغنته، وأرضته عن المطالبة بالملك[٢]. أما إبراهيم ففر لاجئاً إلى أحد الزعماء العرب، وهو أسعد بن وائل بن عيسى الوائلي الكلاعي الحميري[٣]. وتسببت أحداث هذا التنافس في علو كعب عبيد فاتك بن جياش - وممارستهم لكثير من السلطات، وبعد ثلاث سنوات فوجئ الجميع بموت فاتك بن جياش، ولم يكن له من الأبناء سوى طفل صغير يدعى منصور، وهنا تجددت أطماع عمه إبراهيم الذي تمكن من الحصول على مساعدة أسعد بن وائل، فأمده بجيش تحرك به نحو زبيد، وفي نفس الوقت خرجت القوات الرسمية للدولة لملاقاة إبراهيم بن جياش عند الهويب من وادي زبيد[٤] للدفاع عن ولي العهد الشرعي منصور بن فاتك، الذي فضل عبيد فاتك توليته الأمر ليتمتعوا بمزيد من السلطة، والسيطرة في ظل الملك الطفل. ولما وجد عبد الواحد بن جياش خلو مدينة زبيد من عبيد فاتك، استهوته هو الآخر فكرة الثورة والاستيلاء على زبيد وتمكن فعلاً من الاستيلاء على دار الإدارة، فخرج «الأستاذون والوصفان بمولاهم منصور بن فاتك، وأدلوه من سور زبيد ليلاً خوفاً عليه من عمه عبد الواحد بن جياش»[٥].

أحدث استيلاء عبد الواحد بن جياش أثراً سيئاً في نفس أخيه إبراهيم، الذي يئس من الحصول على الملك، فقرر الرحيل إلى الحسين بن أبي الحافظ الذي كان سيداً في

---

(١) الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٥٤، (يذكر الوصابي: أن جياشاً ترك ستة من الأبناء هم الفاتك، ومنصور، وإبراهيم، وعبد الواحد، ومعارك، والذخيرة، المصدر السابق، نفس الصفحة).

(٢) ابن الديبع: بغية المستفيد، ص ٥٤.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) ابن الديبع: قرة العيون، ص ٣٤٩.

(٥) ابن الديبع: بغية المستفيد، ص ٥٥

منطقة الجريب[1]. أما منصور بن فاتك فقد رحل في عبيده وعبيد أبيه إلى المفضل بن أبي البركات، صاحب حصن التعكر، وإلى السيدة الحرة أروى الصليحية، فوجدوا عندهم الرعاية والإكرام، وهذا مؤشر على تحسن العلاقات الصليحية النجاحية في ذلك الوقت[2]. واتفق عبيد منصور مع المفضل بن أبي البركات - الذي كان وزيراً للسيدة أروى وممثلاً لها[3]، على أن يقدموا له ربع البلاد في مقابل مساعدته لهم على استرداد زبيد وتهامة من عبد الواحد بن جياش[4]. ووجد المفضل في ذلك فرصة كبيرة لعودة النفوذ الصليحي إلى تهامة مرة أخرى، ومع عودة النفوذ، يعود دخل تهامة إلى الخزانة الصليحية، فيقوى أمرها، وأمر الدعوة الإسماعيلية بعد أن أصابها الوهن والضعف والتراجع، ومما يؤكد ذلك أن المصادر تكاد تتفق على أن المفضل كان ينوي الغدر بمنصور بن فاتك وعبيده بعد أن يتمكن منهم في زبيد[5]. ولكن شاءت الظروف أن تتغير الأمور بسرعة، فبعد أن ساعد المفضل منصور بن فاتك على استعادة زبيد في سنة (٥٠٤هـ/ ١١١٠م). وصلته الأخبار بأن جماعة من الفقهاء استولت على حصن التعكر، فخرج لا يلوي على شيء، لينقذ أقوى معاقل الصليحيين في اليمن، حيث كانوا يحتفظون فيه بذخائرهم وأموالهم[6].

استوزر منصور بن فاتك أنيساً الفاتكي، وكان عبداً حبشياً من بطن يقال له الجزل من الحبشة، وهو نفس البطن الذي ينتمي إليه بنو نجاح، وسوف نلاحظ أن كل العبيد الذين تولوا منصب الوزارة في الدولة النجاحية، وحتى سقوطها يحملون لقب الفاتكي، وقد تكون هذه نسبة إلى سيدهم فاتك بن جياش بن نجاح، أو إلى حفيده فاتك بن

---

(١) ابن الديبع: قرة العيون، ص ٣٤٩، ٣٥٠، (الجريب: تصغير جرب: من مخاليف اليمن بزبيد، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ١، ص ٣٢٨).

(٢) الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٥٤، (التَّعْكُر: بضم الكاف، وراء: قلعة حصينة مكينة باليمن من مخلاف جعفر، مطلة على ذي جبلة، ليس باليمن أحصن منها، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ١، ص ٢٦٥).

(٣) العرشي: بلوغ المرام، ص ٢٧.

(٤) اليماني: بهجة الزمن، ص ٦٥.

(٥) المصدر السابق، نفس الصفحة، ابن الديبع: قرة العيون، ص ٣٥٠، بغية المستفيد، ص ٥٥، الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٥٤.

(٦) اليماني: بهجة الزمن، ص ٥٨، ٦٥.

منصور بن فاتك بن جياش[1].

استفحل شأن أنيس في أعقاب توليه الوزارة، فقد كان جباراً غشوماً شجاعاً مهيباً، استطاع أن يقهر الخارجين على الدولة من العرب، وأن يبسط نفوذه عليهم في سائر تهامة[2]. وبلغ من تجبره أن شارك منصور بن فاتك في عوائد الملك وتقاليده، فاتخذ لنفسه مظلة للركوب، وضرب السكة باسمه[3]، وابتنى قصوراً واسعة، واتخذ فيها ساحات كبيرة وحجرات ضخمة واسعة[4]. حتى إذا كانت سنة (٥١٧هـ/ ١١٢٣م)، نما إلى علم منصور بن فاتك ـ وكان قد بلغ مبلغ الرجال ـ أن أنيساً الفاتكي يفكر في قتله، وأنه لا يتحرج من ذكر ذلك علانية، فأقام منصور بن فاتك وليمة كبيرة في قصر الإمارة، دعا إليها وجوه دولته، ومن بينهم وزيره أنيس الفاتكي، فلما صار عنده في القصر وتمكن منه قتله وتخلص منه[5]. وأصدر أوامره بمصادرة أمواله وحريمه، واشترى منصور بن فاتك من ورثة أنيس جارية تسمى علم استولدها فولدت له ولداً سماه فاتكاً، أما هي فاشتهرت في المصادر اليمنية بالحرة الصالحة علم، وكانت تحج بأهل اليمن براً وبحراً والناس في خفارتها من الأخطار والمكوس[6].

٢ ـ وزارة أبي منصور مَنُّ الله الفاتكي

تولى مَنُّ الله الوزارة في سنة (٥١٧هـ/ ١١٢٣م)، بعد مقتل أنيس الفاتكي مباشرة[7]. وكان أول ما فكر فيه هو التخلص من سيده منصور، طلباً للنفوذ والمال

---

(١) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١١٤، ١١٥، (وقد يؤيد ذلك ما رواه عمارة من أن السيدة علم أم فاتك بن منصور: «ابتاعت لولدها من الحبشة وصفاناً صغاراً، كان هذا سرور أقدمهم، وربي في حجرها» والمعروف أن سروراً هذا تقلد منصب الوزارة، وعرف في المصادر اليمنية بسرور الفاتكي، وابن الديبع يقول عن سرور: «وهو الوزير أبو محمد سرور الفاتكي نسبة إلى ولد الحرة»، انظر: عمارة: المفيد، ص ٢٢٤، ابن الديبع، بغية المستفيد، ص ٦١).

(٢) المصدر الصابق، ص ٥٧.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١١٥.

(٥) ابن الديبع: بغية المستفيد، ص ٥٧. (ذكر يحيى بن الحسين أن مقتل أنيس الفاتكي كان في سنة (٥١٩هـ)، انظر: غاية الأماني، ص ٢٨٩).

(٦) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١١٥.

(٧) عمارة: المفيد، ص ٢١٠، ٢١١.

والثروة، فدس إليه السم فقتله. ورغم أن المؤرخين لا يذكرون تاريخاً لهذا الحادث[1]. فإن الرواية التي ذكرها الوصابي تؤكد أن ذلك كان في سنة (٥١٧هـ/ ١١٢٣م)، وهي نفس السنة التي تولى مَنُّ الله الفاتكي الوزارة فيها، فتقول الرواية: «لما وزر (مَنُّ الله) كان أول ما فعل، قتل مولاه منصور بالسم تلك السنة»[2].

مضى منُّ الله بعد ذلك في سياسته الرامية إلى الاستبداد بشؤون الحكم والإدارة في الدولة النجاحية، فاختار للملك طفلاً صغيراً لا حول له ولا قوة، هو فاتك بن منصور[3]. واتجه أيضاً إلى التخلص من الشخصيات القوية من عبيد البيت الحاكم من الأحباش، فأخرج من زبيد كلاً من أحمد بن مسعود الجزلي، ومفلح الفاتكي، وكانا من ذوي النفوذ بين العسكريين في الدولة، علاوة على أنهما كانا من أصحاب الحل والعقد في مدينة زبيد[4].

وعمد بعد ذلك إلى إرضاء المفكرين والعلماء والشعراء في الدولة حتى يستجلب رضاهم عنه، فاتجه إلى فقهاء المذهب السني من الشافعية والحنفية، فأعطاهم ما أغناهم من الأراضي والرباع والمرافق[5]. كما شمل ذلك العناية أيضاً بمدارسهم[6]. أما الشعراء فقدم لهم أموالاً كثيرة، حيث هيأت قصائدهم الرأي العام لقبول تصرفات مَنُّ الله على المستوى الشعبي، حتى إن مدائح هؤلاء الشعراء كانت كثيرة جداً بدرجة ملحوظة، فأشار الفقيه محمد بن علي السهامي - مؤدب أولاد مَنُّ الله - إلى أنه جلد عشرة أجزاء كبار في مدح مَنُّ الله، من شعر الشعراء المجيدين المشاهير[7].

ومما دعم موقفه على المستوى الرسمي والشعبي أنه نجح في درء الأخطار الخارجية عن الدولة النجاحية، ففي أواخر سنة (٥١٨هـ/ ١١٢٤م)، تمكن من إلحاق

---

(١) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١١٣، ابن الديبع: قرة العيون، ص ٣٥٣.
(٢) الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٥٥.
(٣) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١١٦ .
(٤) عمارة: المفيد، ص ١١٠ .
(٥) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١١٦ .
(٦) الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٥٥، ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٦٥.
(٧) عمارة: المفيد، ص ٢١٠، ابن الديبع: قرة العيون، ص ٣٥٣.

الهزيمة بعلي بن إبراهيم المصري المعروف بابن نجيب[1]، الذي كان ممثلاً آنذاك للخلافة الفاطمية في اليمن، لمعاونة السيدة أروى الصليحية في السيطرة على الدولة الصليحية، ومحاولة بعث قوتها ونشاطها السياسي والمذهبي من جديد في اليمن[2]. وتمكن مَنُّ الله الفاتكي من قتل تسعمائة جندي من جنود ابن نجيب على باب مدينة زبيد[3]. كما نجح مَنّ الله الفاتكي في صد محاولة أخرى قام بها أسعد بن أبي الفتوح للاستيلاء على زبيد قتل فيها ألفاً من العرب[4].

وعلى الرغم من الشخصية القوية التي تمتع بها أبو منصور مَنُّ الله الفاتكي، فقد سجل المؤرخون عليه انحرافات خلقية بالغة القسوة، حيث ذكر المؤرخون عنه حبه الشديد للنساء، وتذكر رواياتهم أن سراري بني نجاح الذين بلغ عددهم أكثر من ألف سرية في بلاطهم، لم تنج واحدة منهن من اعتداء مَنُّ الله الفاتكي عليها[5]. ولم ينج منه إلا «عشر نساء من حظايا منصور بن فاتك منهن الحرة الصالحة علم - أم فاتك بن منصور - فإنها اعتزلت القصر، وسكنت خارج المدينة، وبنت بها داراً لا يتطرق الوزير إليها بعذر ولا سبب»[6].

استمر الوزير مَنُّ الله الفاتكي في هذه الانحرافات، حتى إنه حاول الاعتداء على بنت معارك بن جياش بن نجاح، وكانت مشهورة بجمالها وحسنها. وتذكر رواية الخزرجي أنها حاولت أن تفتدي نفسها منه بأربعين بكراً من جواريها «فأبى عليها، فكشفت أمرها إلى عبيد عمها فاتك بن جياش، وعبيد عمها منصور بن فاتك، فلم يغنوا في أمرها شيئاً، ولم يقدر أحد على دفعه فيما يريد»[7]. . .

---

(١) ابن الديبع: بغية المستفيد، ص ٥٨.

(٢) د. محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٩٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٨.

(٤) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ٢٩٠.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٩٠، ٢٩١، ابن الديبع: بغية المستفيد، ص ٥٨، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١١٦.

(٦) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١١٦، وانظر: ابن خلدون: العبر ج ٤، ص ٤٦٥ مع خلاف في اللفظ.

(٧) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١١٧، عمارة: المفيد، ص ٢١١.

وعلى الرغم من المبالغات الكثيرة التي ذكرها المؤرخون حول انحرافات مَنُّ الله الفاتكي، فإن الأمور ظلت على هذا الحال، حتى استدرجته الحرة أم الجيش - وهي إحدى مولدات بلاط منصور بن فاتك - واستطاعت أن تقتله بخرقة مسمومة، في الخامس من جمادى الأولى سنة (٥٢٤هـ/ ١١٣٠م)[١]..

٣ - وزارة مفلح الفاتكي

تولى وزارة بني نجاح بعد مقتل مَنُّ الله الفاتكي، زريق الفاتكي، ولكن وزارته لم تستمر طويلاً، فقد كان رجلاً نهماً أكولاً يضرب به المثل في ذلك، وكان قليل الخبرة يجهل أساليب التعامل مع العسكريين في الدولة، فكانت أوامره لا تنفذ، فضلاً عن ضعف خبرته بنواميس السلطنة، وتقاليدها، فلم يلبث في الوزارة حتى استقال منها، واستدعى لهذا المنصب أبا منصور مفلح الفاتكي[٢].

لم يلق تقليد مفلح الفاتكي للوزارة تأييداً من البيت النجاحي الحاكم، ومن القوى المساندة لهم من العبيد، الذين ظهرت من بينهم شخصيات جديدة قوية تدعم موقف فاتك بن منصور، ووالدته الملكة الحرة علم. ومن أشهر أفراد الطبقة الأولى: من هؤلاء العبيد صواب، ويمن، وريحان، وعز، وريحان الأكبر. أما الطبقة الثانية: وهي طبقة فحول العبيد، فكان منهم إقبال، وبرهان، وسرور، وباره، وكان سرور أميراً على الطبقتين لقوته ومكانته[٣].

وأصبح لهؤلاء العبيد السطوة والسلطان في الدولة، ولذلك دب الصراع بينهم وبين الوزير على السلطة، حيث فرض هؤلاء العبيد على الملك ووالدته علم سياجاً، وأصبحوا هم المتحدثين بلسان الملك. وقد أيد فاتك ووالدته علم هذا الاتجاه لدى هؤلاء العبيد، لأن ذلك، يمنحهما مزيداً من السلطات التي جردها منهم الوزراء السابقون[٤].

---

(١) المصدر السابق، ص ٢١٢، ابن الديبع: بغية المستفيد، ص ٥٨، ٥٩، ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٦٥.

(٢) عمارة: المفيد، ص ٢١٢، ٢١٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٢٠.

(٤) عمارة: المفيد، ص ٢٢٠، ٢٢١.

تطورت الأمور بين عبيد الدولة ومفلح الفاتكي، حتى أصبح هذا الوزير يبدو وكأنه أجنبي معهم لا يعلم شيئاً عن أمور الدولة[1]. وصار هؤلاء العبيد يدبرون له، ويحتالون عليه حتى أخرجوه من زبيد، فتوجه إلى حصن الكرش، ومن هناك ـ لما أحس بتآمرهم عليه ـ صار يهاجم زبيد محاولاً العودة إليها، ولكنه فشل في ذلك مراراً، وانتهى به الأمر إلى هذه الحالة، حتى مات سنة (٥٢٩هـ/ ١١٣٤ـ ١١٣٥م)[2].

بعد طرد مفلح الفاتكي من زبيد تقلد الوزارة إقبال الفاتكي، وعلى الرغم من انتماء هذا الوزير إلى طبقة فحول العبيد ـ التي تحدثنا عنها قبل ذلك ـ التي كانت تتمتع بسلطات قوية في الدولة، فإنه عمل من جانبه على التخلص من فاتك بن منصور ـ حتى يتفرغ للقضاء على الشخصيات القوية من العبيد التي تنافسه، والتي تستمد شرعية تصرفاتها في شؤون الدولة من انتمائها لفاتك ووالدته الملكة الحرة علم[3]. ولذلك احتال هذا الوزير حتى تمكن من دس السم لفاتك، وقتله في شعبان سنة (٥٣١هـ/ ١١٣٧م)[4].

ويبدو أن إقبال الفاتكي، لم يقدر القوة الحقيقية لهؤلاء العبيد، الذين بادروا إلى إقصائه عن الوزارة، وعينوا مكانه القائد سرور الفاتكي، ولم تشر المصادر إلى المصيرالذي آل إليه إقبال الفاتكي[5]. كذلك اتفق رأي كبار رجال الدولة على تولية فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش، لأن فاتك بن منصور مات ولم يعقب[6].

٤ ـ وزارة أبي محمد سرور الفاتكي ونهاية الدولة

يعتبر هذا الوزير أعظم الوزراء الذين تقلدوا هذا المنصب في المرحلة الأخيرة من مراحل التطور السياسي لدولة بني نجاح، إذ تميز عصره بامتداد نفوذه، وسلطانه الواسع

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٢٠.

(٢) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٢٢، ١٢٣، (وترى بعض المصادر أنه توفي سنة (٥٢٧هـ)، انظر: الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٥٩، اليماني: بهجة الزمن، ص ٦٩).

(٣) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٢٣.

(٤) المصدر السابق. ص ١٢٣، ١٢٤.

(٥) ابن الديبع: بغية المستفيد، ص ٦٠، ٦١، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٢٤.

(٦) المصدر السابق، ص ١١٣، (لا صحة لما ذكره الوصابي من أن اسم ملك بني نجاح الجديد هو فاتك بن محمد بن محمد بن جياش، لأنه لم يعرف لجياش ولد اسمه محمد، انظر: الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ٥٤، ٥٩).

على الدولة، كما تميز هذا الوزير عن سابقيه بحرصه الشديد على إقامة علاقات متوازنة بينه وبين أبناء البيت النجاحي الحاكم، وبصفة خاصة علاقته مع الملكة الحرة علم، وهذا ما جعله موضع ثقة كبيرة عندهم، ويبدو أن ملك بني نجاح الجديد كان صغيراً، لا يقدر على الاضطلاع بمهام الحكم لأن كل مظاهر التعامل في إدارة الدولة، كانت تتم بين الوزير سرور الفاتكي، وبين الملكة الحرة علم، فيروي عمارة: أن سروراً كان إذا قدم إلى زبيد من المهجم اتجه إلى القصر وإذا «قضى حق السلام على السلطان، مضى إلى دار مولاته الحرة، فإذا دخل عليها انفض الناس من عندها الصغير والكبير، ولم يبق عندها إلا غزال جاريتها، وهي أخت زوجته، وجاريتا مولاها منصور بن فاتك... فإذا وصل إليها (سرور) نزلت عن سريرها إلى الأرض إكراماً له وتبجيلاً لقدره، وقالت له أنت يا أبا محمد وزيرنا، بل مولانا، بل رجلنا الذي لا يحل لنا أن نخرج عن طاعتك في شيء. فيضج بالبكاء بين يديها، ويعفر خده في الأرض، إلى أن تتولى رفعه بيدها عن الأرض، ثم تستأخر النسوة الثلاث في طرف المجلس، غير بعيد بحيث يفضي إليها بما يحسن عنده من التدبير في تلك السنة، من ولاية وعزل، وإنعام وقتل»[1].

وكان سرور الفاتكي قد اتخذ لنفسه من المهجم مقراً ثانياً، يشرف منه على إدارة الدولة إلى جانب زبيد، وإذا كانت المصادر، لا تفصح عن السبب في ذلك، فلعله يرجع إلى كثرة الاضطرابات، التي كانت تثيرها تجمعات الأعراب من المشاعلة، وبني عمران، وبني زعل، والحكميين، والأمير غانم بن يحيى الحسيني صاحب المخلاف السليماني[2].

وتحدد رواية الخزرجي مدة إقامة سرور في المهجم بشهرين، هما شهرا رمضان وشوال، حيث «كان سرور يقيم في زبيد من هلال ذي القعدة إلى آخر يوم من شعبان»[3]. وقد تكون إقامة سرور في المهجم أمراً يتعلق بشؤون الجباية، وتحصيل أموال الدولة من هذه الجهات، فضلاً عن ضرورات الأمن التي أشرنا إليها.

استطاع هذا الوزير طيلة فترة وزارته، التي امتدت من سنة (٥٣١هـ/ ١١٣٧م) إلى سنة (٥٥١هـ/ ١١٥٦م)، أن يحافظ على المذهب السني قوياً راسخاً في الدولة

---

(١) عمارة: المفيد، ص ٢٢٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٦.

(٣) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٢٥، ١٢٦.

النجاحية، التي رأت نفسها ممثلة شرعية لهذا الاتجاه في بلاد اليمن[١]. فيذكر بعض المؤرخين أن سروراً كان إذا قدم إلى زبيد من المهجم - خرج فقهاء المذهب السني، من الشافعية والحنفية والمالكية للقائه، «فكان يترجل لهم ويسلم عليهم راجلاً، ولا يترجل لغيرهم»[٢]. كما يروي عمارة أنه رأى بنفسه جريدة الصدقات التي كان يدفعها سرور الفاتكي في كل سنة للفقهاء والقضاة، المتصدرين في الحديث والنحو واللغة، وعلم الكلام والفروع (وفيها لهم) اثنى عشر ألف دينار كل سنة»[٣].

ويبدو أن السنة مالية للدولة في أيام هذا الوزير، كانت تبدأ حين عودته من المهجم في شهر ذي العقدة، لأن عودته ارتبطت بتوزيع الأموال، والرواتب على موظفي الدولة ورجالاتها من العسكريين والمدنيين وغيرهم[٤]، علاوة على ذلك، فقد كانت سياسته تعتمد على استرضاء جميع القوى على اختلافها في الدولة سواء كانت سياسية أم عسكرية أم شعبية عن طريق إغداق الأموال والهبات عليهم. فيروي عمارة أن عبيد بن بحر وغيره - ويبدو أنهم من المشرفين على أموال الدولة - ذكروا له «أن الهدايا التي يدفعها (سرور) في كل سنة برسم حواشي السلطان بين الجهات والأزمة، ووصفان الخاص، عشرون ألف دينار هدية وصلة، خارجاً عن أرزاقهم المستقرة»[٥]. كما كان يحمل إلى بيت مال السلطان، لنفقته الخاصة ستون ألف دينار، وإلى الملكة الحرة علم، وحواشيها، وترائبها ومن يلوذ بها على جهة الهدية خمسة عشر ألف دينار[٦].

ولذلك شهدت الدولة النجاحية هدوءاً ملحوظاً، واستقراراً ظاهراً طيلة أيام الوزير سرور الفاتكي، ولم يقطع هذا الهدوء إلا ظهور شخصية علي بن مهدي بن محمد الحميري، الذي كان من أهل العنبرة من سواحل زبيد. يروي اليماني أنه سار على طريقة والده في الميل إلى العزلة والتمسك بالصلاح، ولذلك ذاع صيته في قرى العنبرة وواسط

---

(١) المصدر السابق، نفس الصفحات.

(٢) الوصابي: الاعتبار في ذكر التواريخ والآثار، ص ٦٢.

(٣) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٢٦، (اثنى عشر ألف، هكذا في الأصل).

(٤) عمارة: المفيد، ص ٢٢٧.

(٥) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٢٧، ٢٢٨.

القضيب، والأهواب، والمقتفي وساحل الغارة[١]. وقد دأب علي بن مهدي منذ سنة (٥٣١هـ/ ١١٣٧م)، وحتى سنة (٥٣٦هـ/ ١١٤١- ١١٤٢م)، على السفر إلى الأراضي المقدسة للحج، وهناك كان يلتقي بحجاج العراق، وعلمائها ووعاظها، حتى إنه تضلع في معارفهم وعلومهم[٢].

كان علي بن مهدي يجمع إلى هذا التقى والصلاح والعلم شخصية قوية جذابة مؤثرة، فكان «فصيحاً،أخضر اللون، طويل القامة، مخروط الجسم، بين عينيه سجاده، حسن الصوت، طيب النغمة، حلو الإيراد، غزير المحفوظات، قائماً بالوعظ والتفسير، وطريقة الصوفية»[٣]. كما يروي المؤرخون أنه كان يحدث بشيء من أحوال المستقبلات فيصدق، وكانت هذه الظاهرة الأخيرة في سلوكه من أقوى عدده وأدواته في استمالة قلوب الناس إليه[٤].

ترامت أخبار علي بن مهدي إلى مسامع الملكة الحرة علم، وعلى عادتها، وعادة وزيرها سرور في تكريم العلماء، ورجال الدين والصوفية، أصدرت علم أمراً في سنة (٥٣٦هـ/ ١١٤١- ١١٤٢م) بإعفاء علي بن مهدي، وإخوته وأصهاره، وكل من يلوذ به في طريقته الصوفية، مما عليهم من الخراج الذي يدفعونه عن نواحيهم لبني نجاح[٥]. وربما كان علي بن مهدي قد كاتب حكام زبيد، وطلب منهم تقديم المعونة إليه وإلى جماعته، مستغلاً ما عرف من معاونتهم لرجال الدين، واستغل علي بن مهدي ذلك فوعد مريديه بهذا الخير مسبقاً، فلما أجابه حكام زبيد إلى مطلبه بالإعفاء من الخراج، أظهر علي بن مهدي ذلك لأتباعه على أنه من كراماته[٦].

---

(١) اليماني: بهجة الزمن، ص ٧٠، ٧١، (العنبرة: قرية بأسفل وادي زبيد قريبة من البحر)، ابن الديبع: قرة العيون، ص ٣٦٠. واسط: باليمن، بسواحل زبيد قرب العنبرة، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ٣، ص ٢٤٢).

(٢) اليماني: بهجة الزمن، ص ٧٠، ٧١.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٠، هكذا في الأصل.

(٤) المصدر السابق، ص ٧٠، ٧١، عمارة: المفيد، ص ٢٢٠، زبارة: أئمة اليمن، ص ١٠٥.

(٥) ابن الديبع: قرة العيون، ص ٣٦٠، د. محمد أمين صالح: دولة الخوارج في اليمن، المجلة التاريخية المصرية، العدد الخامس والعشرون ١٩٧٨، ص ١٢٨.

(٦) محمد أمين صالح: دولة الخوارج في اليمن، ص ١٢٨.

أثرت هذه الإعفاءات الخراجية على حالة علي بن مهدي، وأتباعه وأقاربه، فأصبحوا خلال عامين أثرياء قد انتعشت أحوالهم حتى إنهم ركبوا الخيول[١]. وفجأة يروي المؤرخون أن قوماً من الجبال جاءوا إليه بالقضيب، فبايعوه وحالفوه على النصرة، فسار إليهم من تهامة إلى الجبال، حيث موطنهم، ومن هناك قصد بهم إلى مدينة الكدراء سنة (٥٣٨هـ/ ١١٤٣- ١١٤٤م). ويقدر هؤلاء المؤرخون الأعداد التي كانت مع علي بن مهدي في أثناء هجومه على الكدراء بأربعين ألفاً[٢]. وعلى الرغم من القوة الضخمة التي كانت مع علي بن مهدي، فإنه هزم أمام والي الكدراء إسحاق بن مرزوق السحرتي[٣] وانسحب علي بن مهدي مع حلفائه الجدد إلى مناطق الجبال حيث ظل معهم حتى سنة (٥٤١هـ/ ١١٤٦- ١١٤٧م)[٤].

وقد يتساءل البعض عن الأسباب التي تكمن وراء هذا التصرف الفجائي من علي بن مهدي، هل هو نتيجة لدفعة عنصرية قحطانية ضد حكام زبيد الأحباش؟ أم أن هذا التصرف حركة إصلاحية تدعو إلى إزالة المنكرات، واجتناب المحظورات، بما ذاع من مفاسد المجتمع في دولة بني نجاح على عهد وزراء بني نجاح العظماء[٥].

وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين يرى أن الأمر الثاني هو الأقرب إلى الاحتمال[٦]. فإن هذه الاحتمال لا يقوى على مواجهة المصادر اليمنية، لأن أياً من المؤرخين اليمنيين أو غيرهم لم يشر إلى أية انحرافات، أو مفاسد اجتماعية، انتشرت في مجتمع الدولة النجاحية، في هذه الفترة بصفة خاصة حيث أشار المؤرخون بحالة الانضباط الكامل في مجتمع الدولة النجاحية الذي كان تحت إدارة الوزير سرور الفاتكي، الذي اجتهد في تحقيق الأمن والعدل والرعاية لجميع المواطنين في الدولة.

---

(١) اليماني: بهجة الزمن، ص ٧١، الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ١٠٦.

(٢) نفس المصدرين السابقين، ونفس الصفحات، عمارة: المفيد، ص ٢٣٠، ابن الديبع: قرة العيون، ص ٣٦٠.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة، اليماني: بهجة الزمن، ص ٧١.

(٤) ابن الديبع: قرة العيون، ص ٣٦٠.

(٥) محمد أمين صالح: دولة الخوارج في اليمن، ص ١٢٨.

(٦) المرجع السابق، نفس الصفحة.

ولدينا نص طويل ورد عند معظم المؤرخين يتحدث عن حالة الاستقرار في الدولة النجاحية، وجهود الوزير سرور في هذا السبيل. يقول ابن الديبع: «كان (سرور) يخرج من بيته إلى مسجده بعد نصف الليل أو ثلثه، وكان من أعلم الناس بالمنازل وإذا قيل له كيف تخرج في هذا الوقت؟ فيقول: إنما أخرج في هذا الوقت لأجل من لا يقدر على الوصول إليّ بالنهار من أهل البيوت، وأرباب الستر، إما لفرط الحياء أو لكثرة الناس، ثم إذا صلى الصبح ركب إما إلى صالح يزوره، أو مريض يعوده، أو ميت يحضره، أو عقد نكاح يشهده، ولا يخص بذلك أحداً دون أحد غيره، بل يفعله عموماً، ومن دعاه من صغير أو كبير أجابه، ويجفو على المتظلم من الرعية، ويفحش له في القول، وهو آمن من غضبه، ومتى استدعي إلى مجلس الحكم حضر تواضعاً، ويقوم بين يدي الحاكم إجلالاً للشرع، ويقتدي به سواه، وكان يحب العلماء والفضلاء»[1].

وإنما ظهرت هذه الانحرافات والمفاسد في فترة متأخرة جداً، وبعد وفاة سرور الفاتكي، بصفة خاصة أي بعد سنة (٥٥١هـ/ ١١٥٦م)[2]. أما الأمر الأول ـ الذي يرجع حركة علي بن مهدي إلى دفعة عنصرية قحطانية ـ فهو أمر قوي الاحتمال لأن علي بن مهدي منذ بدء دعوته بحركة الوعظ الواسعة في العنبرة، وغيرها من القرى المحيطة بها، كان ينهي أصحابه ويحذرهم من «صحبة العسكرية»[3]. وقد أشار إلى هذا كل من الوصابي[4]، واليماني، الذي قال: إن علي بن مهدي «أطلق التحذير من صحبة العسكرية»[5]. والعسكرية هنا هم بنو نجاح، وممثلوهم من العبيد من الجند والقادة والأحباش، لأن جيش بني نجاح كان منهم.

ويمكن أن نضيف إلى الاحتمالين السابقين على قوتهما أو ضعفهما، احتمالاً ثالثاً لا يقل أهمية عنهما، وهذا الاحتمال يتعلق بنوعية الأفكار والمبادئ التي اعتنقها علي بن مهدي، واهتم بنشرها بين أتباعه سواء من أهل تهامة أو من أهل الجبال. وهذه الأفكار

---

(١) ابن الديبع: بغية المستفيد، ص ٦٢، وانظر: نفس النص مع خلاف في اللفظ عند عمارة: المفيد، ص ٢٢٨، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١٢٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٨.

(٣) الوصابي: الاعتبار في التواريخ والآثار، ص ١٠٥.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) اليماني: بهجة الزمن، ص ٧٠.

إذا تتبعناها وجدناها في جملتها، أفكاراً خارجية متطرفة، على الرغم من أن الخوارج في المشرق الإسلامي والمغرب كانوا قد نبذوا التطرف والعنف والتشدد، واتجهوا في مذاهبهم الخارجية الجديدة إلى تطوير مبادئهم، حتى تصبح صالحة لهم ليتعايشوا بها جنباً إلى جنب مع سائر المذاهب الإسلامية الأخرى، ولذلك ظهرت الفرق الخارجية التي تكاد تقترب في مبادئها من مبادئ أهل السنة، كفرقة الإباضية[(١)]. وكأنما حاول علي بن مهدي إيقاظ المبادئ الخارجية المتطرفة من جديد كي تستعيد نشاطها في اليمن.

فقد كان علي بن مهدي كما يروي بعض المؤرخين حنفي الفروع، خارجي الأصول، التزم بمبادئ الخوارج المتطرفة الأول الأزارقة، ففي «الأصول التكفير بالمعاصي، والقتل بها، وقتل من خالف اعتقاده من أهل القبلة واستباحة الوطء لسباياهم، واسترقاق ذراريهم، وجعل دارهم دار حرب يحكم فيه حكمه في أهل دار الحرب»[(٢)].

يضاف إلى ذلك أن أصحابه كما يروي عمارة: اعتقدوا فيه «فوق ما يعتقده الناس في الأنبياء صلوات الله عليهم»[(٣)].. كذلك قتل ابن مهدي «من شرب، وقتل من سمع الغناء، وقتل من زنا، وقتل من تأخر عن صلاة الجماعة، أو مجلسي وعظه وهما يوم الخميس، ويوم الاثنين، وقتل من تأخر منهم عن زيارة قبر أبيه (مهدي بن محمد الحميري)»[(٤)].

وكان علي بن مهدي إذا غضب على أحد من كبار أصحابه أو أعيانهم، حبس هذا المغضوب عليه نفسه في الشمس، لا يأكل، ولا يصل إليه ولد ولا زوجة، ولا يقدر أحد أن يشفع فيه حتى يرضى عنه علي بن مهدي[(٥)]. «ومن طاعتهم له (أصحابه) أن كل واحد

---

(١) د. إبراهيم العدوي: بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٠، ص ١٦٤، ١٦٥.

(٢) عمارة: المفيد، ص ٢٣٦ (هذه المبادئ تتشابه إلى حد كبير مع مبادئ الأزارقة الخارجية، انظر: د. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي) طبعة ١٩٦٦، ج ٢، ص ٢٥٥، ٢٥٦.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) عمارة: المفيد، ص ٢٣٧، وانظر: أبو شامة، الذي يذكر أن علي بن مهدي، جعل قبر أبيه كعبة، الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق: د. محمد حلمي محمد أحمد، طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٧٢، الجزء الأول ـ القسم الثاني، ص ٦٢٠.

(٥) عمارة: المفيد، ص ٢٣٦، ٢٣٧.

منهم كان يحمل ما تغزله زوجته وبناته إلى بيت المال، ويكون ابن مهدي هو الذي يكسو الواحد منهم، ويكسو أهله من عنده، وليس لأحد من العسكرية (في جيشه) فرس يملكه ولا يرتبطه في داره، ولا عدة من سلاح ولا غيرها، بل الخيل في اصطبله، والسلاح في خزانته (علي بن مهدي)، فإذا عَنَّ له أمر دفع لهم من الخيل والعدة ما يحتاجون إليه»[1].

هذه المبادئ التي حرص ابن مهدي على نشرها، وهذه المراسيم التي سنها لأصحابه، وألزمهم بها، تؤكد أن حركة علي بن مهدي كانت حركة سياسية دينية واسعة، ليس المقصود بها بني نجاح كعنصر حبشي وصل إلى سدة الحكم، وإنما المقصود بهذه الحركة المجتمع الإسلامي كله المخالف لما يرآه علي بن مهدي من مبادئ أو تعاليم. لذلك كانت مهاجمة علي بن مهدي لدولة بني نجاح تشكل أمراً حيوياً، فهي في نظره تبسط نفوذها على منطقة سهلية غنية، هو في حاجة إلى الاستيلاء عليها لدعم حركته، واتخاذ تهامة منطلقاً للإستيلاء على اليمن كله، ومنها إلى الجزيرة العربية بما فيها الأراضي المقدسة، وإلى غيرها من بلدان العالم الإسلامي.

ولذلك أحس صلاح الدين الأيوبي - الذي تولى أمر مصر، بعد أن تمكن من القضاء على الدعوة الفاطمية فيها، وأقام بدلاً منها الدعوة للخليفة العباسي السني - بخطورة حركة علي بن مهدي في اليمن، على ترتيباته لتكوين الجبهة العربية الإسلامية المتحدة، لمواجهة الخطر الصليبي، ورأى أنه لا بد من القضاء على حركة علي بن مهدي، لأن وجوده في اليمن وتصاعد حركته يضعف من شأن هذه الجبهة، ويفقدها سلامتها من اتجاه الجنوب.

وتؤكد الرسالة التي بعث بها صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة العباسي، وجهة النظر هذه، حيث قال في رسالته: «وكان اليمن ما علم من أمر ابن مهدي الضال الملحد المبدع المتمرد، وله آثار في الإسلام، وثأر طالبه النبي، عليه الصلاة والسلام، لأنه سبى الشرائف الصالحات، وباعهن بالثمن البخس، واستباح منهن كل ما لا يقر لمسلم عليه نفس، ودان ببدعة، ودعا إلى قبر أبيه وسماه كعبة، وأخذ أموال الرعايا المعصومة وأباحها، وأحل الفروج المحرمة وأباحها. فأنهضنا إليه أخانا (تورانشاه) بعسكرنا - بعد أن

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٣٧.

تكلفنا له نفقات واسعة وأسلحة رائعة - وسار فأخذناه ولله الحمد، وأنجح الله فيه القصد»[1].

على كل حال، ظل علي بن مهدي - بعد هزيمة الكدراء - ثلاث سنوات منذ سنة (٥٣٨هـ/ ١١٤٣- ١١٤٤م) حتى سنة (٥٤١هـ/ ١١٤٦- ١١٤٧م) بين أتباعه في منطقة الجبال، عاد بعدها إلى مكاتبة الملكة الحرة علم يطلب منها العفو والصفح عنه وعن أتباعه، ويطلب ذمة وأمانة له منها، ولمن يلوذ به من أتباع، ليعود إلى وطنه، وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التي واجهتها الحرة علم من رجالات دولتها، وفقهاء عصرها، فإنها أعطت علي بن مهدي هذا الأمان[2]. ومنحته وأتباعه وأهله ما كان يتمتع به من إعفاءات خراجية، فأقام «ابن مهدي يستغل أملاكه سنين عدة، وهي مطلقة الخراج، فاجتمع له من ذلك مال، وكان يقول في وعظه أيها الناس دنا الوقت، أزف الأمر، كأنكم بما أقول لكم وقد رأيتموه عياناً»[3].

ويبدو أنه كان يتابع أخبار الحرة علم في أيامها الأخيرة، ويتفوه بهذه العبارات، ليضفي على نفسه هالة من الكرامات بين أتباعه ومريديه، وما لبثت الحرة علم أن توفيت في سنة (٥٤٥هـ/ ١١٥٠- ١١٥١م)[4]. فرأى علي بن مهدي أنه أصبح في حل مما قطعه على نفسه من عهود مع الحرة علم بوفاتها، وانطلق إلى الجبال فنزل في موضع يقال له الداسر من بلاد خولان[5]. ومن هذا الموضع، ارتفع إلى حصن منيع يسمى حصن الشرف، تمتلكه إحدى بطون خولان، يقال لهم حيوان، وسماهم الأنصار، وسمى كل من صعد معه من تهامة المهاجرين[6].

---

(١) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق: د. محمد حلمي محمد أحمد، الجزء الأول - القسم الثاني، ص ٦٢٠، د. محمد عبد العال أحمد: الأيوبيون في اليمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ١٩٨٠، ص ٧٧، ٧٨، وانظر Arnold, T. W., The Caliphate, P. 85.

(٢) اليماني: بهجة الزمن، ص ٧١.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) عمارة: المفيد، ص ٢٣١، اليماني: بهجة الزمن، ص ٧١.

(٥) المصدر السابق، نفس الصفحة، (الداسر: مدينة باليمن، بينها وبين زبيد مسيرة ليلة، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ٢، ص ٥٠٩).

(٦) اليماني: بهجة الزمن، ص ٧١، ٧٢، (حصن الشرف: قال عنه البغدادي، قلعة حصينة باليمن، ووصفه=

وفي حصن الشرف ساء ظن علي بن مهدي بأصحابه، فاحتجب عنهم، وجعل على المهاجرين ابن عمه ـ الذي كان يدعى التويتي ـ نقيباً عليهم، وجعل رجلاً من خولان يسمي سبأ بن يوسف نقيباً على الأنصار، وسمى النقيبين، شيخي الإسلام، وكان لا يخاطبه غيرهما، وربما احتجب عنهما أحياناً[1].

عمد علي بن مهدي بعد ذلك إلى شن الغارات بقواته على مناطق الجبال، على المناطق والمحلات والمراكز المتوسطة فيما بين الجبال وزبيد، وكانت قواته تحرص على ألا تخوض معركة فاصلة مع قوات بني نجاح، كما كانت قوات بني نجاح تعجز عن ملاحقة قوات ابن مهدي في الجبال[2]. وحرص سرور الفاتكي خلال هذه الغارات على ألا يعطي علي بن مهدي فرصة، فكان يهتم بتقوية المراكز العسكرية القريبة من مناطق الجبال، واستبدال الجند فيهاباستمرار لتكون قوية نشيطة[3].

ولذلك لجأ علي بن مهدي في سنة (٥٤٩هـ/ ١١٥٤ـ ١١٥٥م) إلى الداعي محمد بن سبأ الزريعي في عدن، كي يشترك معه في القضاء على بني نجاح في زبيد، فرفض هذا الأخير التعاون معه[4]. ولعل مرجع ذلك إلى أن العداء التقليدي الذي كان بين الصليحيين وبني نجاح، لم يعد من القوة بحيث يقحم الداعي محمد بن سبأ نفسه في حرب لا جدوى من ورائها. كما أن الأسس المذهبية التي قامت عليها حركة علي بن مهدي، تتعارض تماماً مع الأسس المذهبية الإسماعيلية التي يعتقدها الزريعيون في عدن[5].

= عمارة بقوله: «وحصن الشرف حصن منيع بنفسه، وبكثرة خولان، ومنها أن الإنسان إذا أراد أن يصل إلى حصن الشرف، مشى في واد ضيق بين جبلين مسافة يوم كامل، وبعض يوم، فإذا وصل إلى أصل الجبل الذي فيه الحصن، احتاج إلى طلوع النفيل إلى نصف يوم ـ والنفيل كما يصفه العرشي، طريق الجبل الوعرة لكثرة الحجارة فيه ـ حتى يقطع العقبة، ومنها أن الوادي يتصل مسيله من تهامة بحراج عظيمة ـ أشجار وعشب كثير ـ إذا كمنت فيه الجيوش العظيمة الجرارة شهراً لم يعلم بها أحد، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ٢، ص ٧٩١، عمارة: المفيد: ص ٢٣١، ٢٣٢، العرشي: بلوغ المرام، ص ١٥٣).

(١) يحيى بن الحسين: غاية الأماني، ص ٣٠٤.

(٢) زبارة: أئمة اليمن، ص ١٠٥، اليماني: بهجة الزمن، ص ٧٢.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة، عمارة: المفيد، ص ٢٧٢.

(٥) محمد أمين صالح: دولة الخوارج في اليمن، ص ١٣١.

عاد علي بن مهدي أدراجه إلى حصن الشرف، باحثاً عن حل آخر، واختمرت في رأسه فكرة الاغتيال لشخصية سرور الفاتكي، التي تبدو بها دولة بني نجاح صلبة قوية لا يقدر عليها. فدبر مؤامرة، قام بتنفيذها أحد أعوانه، حيث تمكن من قتل سرور الفاتكي في مسجده، في أثناء الركعة الثالثة من صلاة عصر يوم الجمعة الثاني من صفر سنة (٥٥١هـ/ ١١٥٦م)[١].

تردت زبيد ـ بعد مقتل سرور الفاتكي ـ في تنافس شديد بين القواد والأعيان حول منصب الوزارة، وشغلتهم أحداث هذا التنافس عن إدارة الدولة، وتدبير شؤون الملك[٢]. وفي نفس الوقت كان فاتك بن محمد ـ الذي وصفه المؤرخون بأنه كان «ضعيف العزم قليل النظر في السياسة، غافلاً عن النظر في إصلاح المملكة، منهمكاً في اللهو واللعب والشراب والفساد والفسق، وتفريق الأموال في غير موضعها»[٣]. لذا أصبح هذا الملك عاجزاً عن القيام بأي عمل لمواجهة التطورات الجديدة والوقوف أمام خطر علي بن مهدي، الذي بات قريباً من زبيد.

استطاع علي بن مهدي خلال عامين أن يستجمع كل قواه، ويهبط بها من الجبال إلى الداسر على بعد أقل من نصف يوم من زبيد، وهناك كثر جمعه، فزحف إلى زبيد في جموع كثيرة[٤]. . وكانت زبيد قد بلغت درجة كبيرة من الضعف، وأنهكتها صراعات القوى السياسية فيها على السلطة، وأصبحت مهيأة أكثر من ذي قبل ـ في نظر علي بن مهدي ـ لأن يجهز عليها.

بادر علي بن مهدي بالهجوم على زبيد، وشن عليها اثنين وسبعين هجوماً، صمدت لها زبيد، ولكن حصار علي بن مهدي كان شديداً قوياً، حتى اشتد بأهل زبيد البلاء والجوع فأكلوا الميتة[٥]. . وهنا حاول أهل زبيد تحت وطأة الجوع والحصار ـ عبثاً إنقاذ

(١) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٦٥، زبارة: أئمة اليمن، ص ١٠٥، عمارة: المفيد، ص ٢٢٨، (قال ابن الديبع إن قتله كان في رجب سنة (٥٥١هـ)، انظر: قرة العيون، ص ٣٥٧).

(٢) المصدر السابق، ص ٣٥٨.

(٣) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١١٣.

(٤) اليماني: بهجة الزمن، ص ٧٢، ٧٣.

(٥) زبارة: أئمة اليمن، ص ١٠٦، اليماني: بهجة الزمن، ص ٧٢، ٧٣.

الموقف، فاستنجدوا بالشريف الزيدي الرسي أحمد بن سليمان صاحب صعده.. وعرضوا عليه أن يولوه عليهم حاكماً على زبيد، إذا عاونهم على دفع خطر علي بن مهدي عن زبيد، ولكن أحمد بن سليمان أصر على أن يقوم أهل زبيد بقتل ملكهم فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش، حتى يتأكد من خلو زبيد من المطالبين بالملك من بني نجاح[١]. وكان فاتك بن محمد قد بلغ حداً كبيراً من الاستهتار والفسق حتى «بلغ من فسقه أنه كان يجعل في بطنه بريماً كالنساء»[٢].

وثب عبيد بني نجاح على ملكهم فاتك بن محمد فقتلوه في سنة (٥٥٣هـ/ ١١٥٨م)[٣]، وفي نفس الوقت عجز الشريف أحمد بن سليمان عن معاونتهم ضد علي بن مهدي، الذي تمكن من فتح زبيد والاستيلاء عليها يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رجب سنة (٥٥٤هـ/ ١١٥٩م)[٤]. وانطوت بذلك آخر صفحات في تاريخ بني نجاح في اليمن.

---

(١) المصدر السابق، ص ٧٣، .Stooky, Op. Cit, P. 98 .

(٢) ابن الديبع: قرة العيون، ص ٣٥٩، (البريم خيطان مختلفان أحمر وأبيض تشده المرأة على وسطها).

(٣) الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١١٣، ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٤٦٥ .

(٤) المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٦٦، اليماني: بهجة الزمن، ص ٧٣، الخزرجي: العسجد المسبوك، ص ١١٣، ١١٤ Stooky, Op. Cit, p. 98 (تذكر رواية زبارة أن أحمد بن سليمان الرسي، مكث في زبيد ثمانية أيام، عاد بعدها إلى ذمار، دون أن يعاون أهل زبيد، زبارة: أئمة اليمن، ص ١٠٦).

خاتمة

أبرزت هذه الدراسة حقيقة الوضع السياسي في اليمن في بداية القرن الثالث الهجري، وبينت أن العباسيين اعتبروا اليمن منطقة ذات وضع خاص في الكيان العباسي، ومن ثم أعطوا الأسرة الزيادية صلاحيات شرعية لحكم بلاد اليمن باسمهم، على أن يظل الحكم وراثياً في هذه الأسرة. وهذه الفكرة السياسية ابتدعها الرشيد ونفذها في بلاد المغرب، وسار عليها المأمون، ونفذها هو الآخر في اليمن. وقد سعى العباسيون إلى اتباع هذه السياسة في أماكن الأطراف المتوترة في الدولة العباسية، التي تنمو فيها قوة المعارضة بشكل خطير، ففعل العباسيون ذلك على سبيل المثال في بلاد المغرب، ومنحوا أسرة الأغالبة نفس الامتيازات التي منحوها للزياديين بعد ذلك في اليمن. ونجح الأغالبة في المغرب في إقامة دولة حاجزة بين مختلف التيارات السياسية والمذهبية التي كانت في بلاد المغرب والأندلس في ذلك الوقت، والمتمثلة في المذهب الإباضي الخارجي المنتشر في المغرب الأوسط، والاتجاه العلوي لدى الأدارسة في المغرب الأقصى، والدولة الأموية المعادية للعباسيين في الأندلس، وبين الوجود العباسي في إفريقية ومصر والمشرق.

ونجح الزياديون أيضاً طيلة قرنين من الزمان في المحافظة على النفوذ العباسي، وعلى المذهب السني في اليمن. وجاء من بعدهم النجاحيون فاستمروا في نفس السياسة. وأظهرت الدراسة أنهم نجحوا في تكوين دولة حاجزة بين قوى المعارضة التي كانت مزدهرة في اليمن في ذلك الوقت ـ والمتمثلة في المذهب الزيدي والمذهب الإسماعيلي ـ وبين امتداد نشاط هذه القوى إلى بلاد الحجاز بصورة تهدد بقاء الأراضي المقدسة ضمن مناطق النفوذ العباسي. كذلك لم يعط النجاحيون للإسماعيلية الفرصة لاقتلاع المذهب السني من اليمن، كما أفشلوا كل مخططاتهم في معاونة الفاطميين لبسط نفوذهم على الأراضي المقدسة في الحجاز.

وأظهرت الدراسة جميع الحقائق المتعلقة بظهور النجاحيين على مسرح الأحداث في اليمن، وكيف ظهروا كطبقة من العبيد في قصور الزياديين، توسم فيهم الزياديون الإخلاص والقوة فاعتمدوا عليهم، وانتقلت إليهم السلطة في الفترة الأخيرة، عندما كان ملوك بني زياد صغاراً لا يقدرون على ممارسة السلطة.

وأبرزت الدراسة أن اليمن بهذه الظاهرة يشارك الأجزاء الأخرى من العالم الإسلامي، عندماوصلت الأجناس المجلوبة بطريقة أو بأخرى إلى الحكم والسيطرة والسلطة. وأصبح هذا وضعاً طبيعياً، حتى إن العباسيين منحوهم شرعية مطلقة في تمثيلهم في اليمن.

كذلك بينت الدراسة أن النجاحيين لم يتمكنوا من بسط نفوذهم على بلاد اليمن كما كانت في أيام الزياديين، وأن نفوذهم الحقيقي لم يتعد تهامة، ولكنهم في نفس الوقت كانوا قوة يخشى بأسها في اليمن، حيث حرصت مناطق الجبال والحصون عن إعلان الولاء الرسمي لبني نجاح في تهامة، دون أن يكون هناك أي مظهر من مظاهر السلطة الفعلية التي يمارسها النجاحيون على هذه المناطق.

كما أوضحت الدراسة موقف النجاحيين من ظهور علي بن محمد الصليحي داعية الإسماعيلية الذي حاول إحياء المذهب الإسماعيلي، بعد أن كادت الدعوة الإسماعيلية تتلاشى في أيام الزياديين، وظهر من الدراسة أن عدم سيطرة النجاحيين على مناطق الجبال أعطى الفرصة لنمو هذه الدعوة وازدهارها، حتى تمكن الصليحي بالحيلة من اغتيال نجاح مؤسس الدولة النجاحية بالسم.

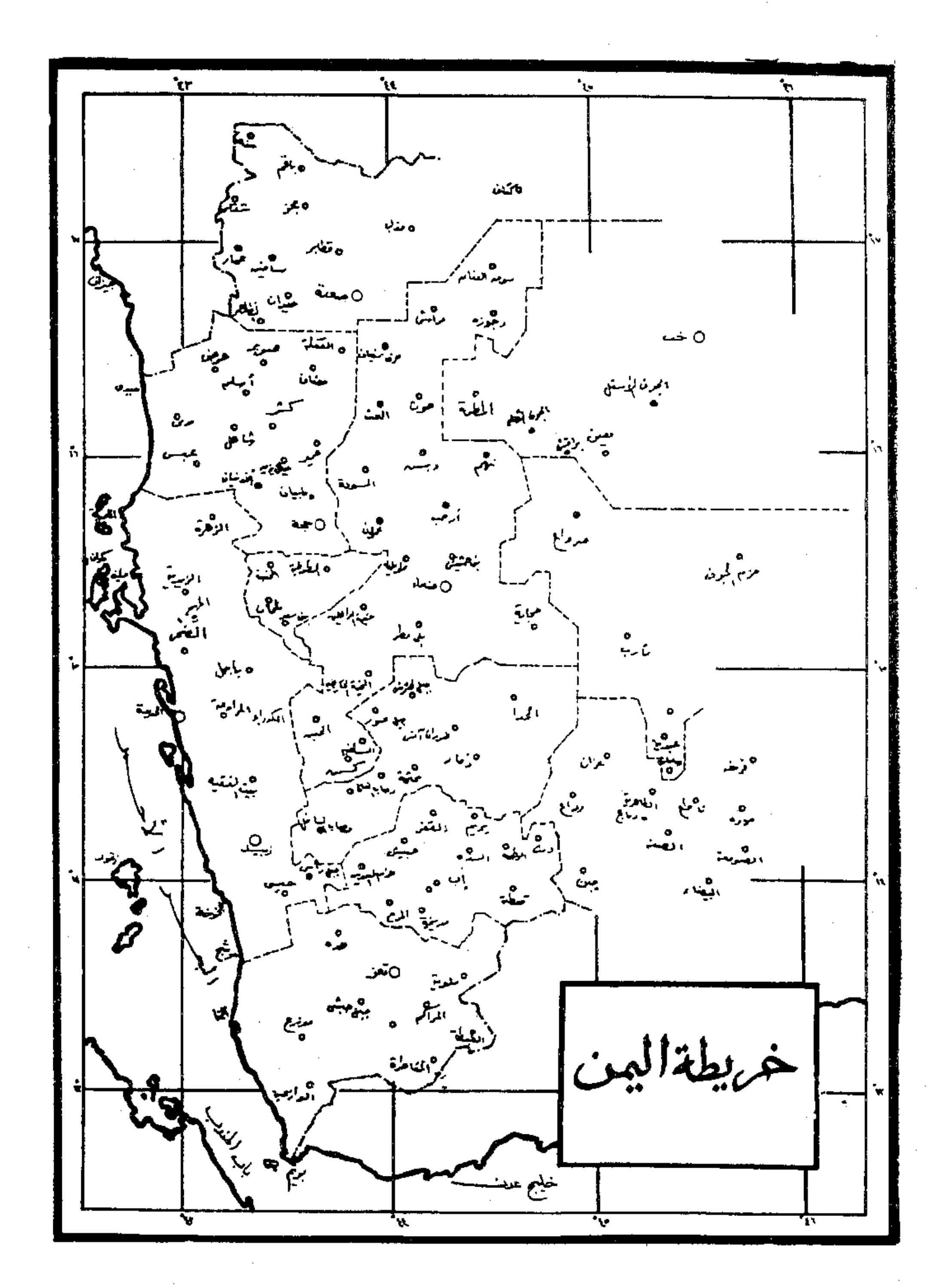
كذلك أظهرت الدراسة كثيراً من خفايا الصراع الذي احتدم بين النجاحيين والصليحيين، وأبرزت مدى العلاقة بين الصليحيين في اليمن والفاطميين في مصر، وتأثير هذه العلاقة على الوضع السياسي والعسكري بين النجاحيين والصليحيين، وأثبتت الدراسة أن العامل المذهبي لم يكن وحده هو المسؤول عن اندلاع الصراع بين الطرفين، وإنما كان هناك العامل الاقتصادي، الذي جعل الصليحيين يبذلون قصارى جهدهم للقضاء على بني نجاح، لدعم أنفسهم بما يحصلون عليه من أموال ضخمة من عائدات تهامة.

وإذا كان الصليحيون قد نجحوا إلى حد ما خلال فترات محدودة من إزالة حكم بني نجاح من زبيد وتهامة، فإن النجاحيين نجحوا أيضاً في استعادة ملكهم وقهر الصليحيين وتجميد وضعهم في مناطق الجبال، وأظهرت الدراسة أن العامل الهام وراء نجاحهم هو ذلك التأييد الشعبي النشط الذي دعم موقفهم، أو الذي تمتعوا به من قبل طوائف أهل السنة في زبيد وتهامة، والذي عاونهم كثيراً على اقتلاع الصليحيين الإسماعيلية من تهامة.

أوضحت الدراسة أن أمور الدولة بدأت في الاستقرار في عهد جياش بن نجاح، وبدأت آثار هذا الاستقرار تنعكس على الأوضاع الثقافية والاجتماعية في الدولة بدءاً من الحاكم نفسه، إلى غيره من العلماء والفقهاء والشعراء وغيرهم من العامة.

وكشفت الدراسة النقاب عن كثير من خفايا عصر نفوذ الوززاء العظماء، الذي كان أهم ملامحه وسماته سيطرة هؤلاء الوزراء على مقاليد الحكم والسلطة في الدولة، وتحرك عوامل الصراع والتنافس بينهم على مواقع السلطة، وهذا ما أضعف الدولة، وجعلها تنهار أمام قوة علي بن مهدي، الذي ظهر في العنبرة - من قرى تهامة - وتبنى أفكاراً خارجية متطرفة، أثبتت الدراسة أن هذه الأفكار كانت وراء تحركه للقضاء على بني نجاح.

ورغم هذه الظروف السياسية المتوترة، فقد كانت الحياة العامة في دولة بني نجاح في أيامها الأخيرة - خلال عصر نفوذ الوزراء - تمضي هادئة، والعلماء والفقهاء يمارسون عوائدهم العلمية، وينالون قسطاً كبيراً من رعاية الدولة، ومكانة سامية مرموقة من قادتها، حيث قدمت لهم هذه القيادات الأموال الجزيلة للإنفاق على أنفسهم وعلى مدارسهم ومشروعاتهم العلمية.


خريطة اليمن
صعدة
حجة
صنعاء
مأرب
تعز
زبيد
خليج عدن
باب المندب



ملحق رقم (١)

رسالة جياش بن نجاح إلى معلم ولده

«الأمانة ديانة تحرم فيها الخيانة، والمرء مرتهن علمه لمعاده، فإن رعى فمرعى، وإن أضاع فمجزى، اعلم أني ائتمنتك على بضعة مني، ولنوط المذهب ذهبت إلى نوط الأمانة بك، والحازم من يوصي المال قبله، وأنا أوصيك بمن أكسب المال له، فكن أيدك الله عند ظني بك.

استصفيتك، فاصف ذهنك لوصاتي، فخذه بالتعبيس والابتسام، وعلمه وقار القعود، وعدل القيام، ولا تسيمه طول المكث بين يديك، ولا ترخص له الإبطاء إن استأذنك، ورضه بالصلوات في أوقاتها، ليمرن على أداء مفترضاتها، وعلى إسباغ الطهارة من ابتدائها إلى انتهائها، وإذا أراد الكتابة فسو قلمه، وصور له وضع الخط تمثال التصوير في مواضعه، وعلمه الفرق بين الواوات، والقافات، وعلمه المختلفات، ليسلم له قبول الصنعة من الآفات، ولا تقبل من دواته إلا الإصلاح، ومن أقلامه غير العقد الصحاح.

وعلمه كتاب الله فإنه الحبل المتين، ولا ترخص له في نسيانه، فإنه الخسران المبين، وعلمه قراءة أبي عمرو، فإنها أشهر القراءات في البدو والحضر، واختر له مذهب الشافعي محمد بن إدريس، رحمه الله، فإذا بلغ المأمول، جزيتك الحسنى بمشيئة الله، والله يبلغنا وإياك، ويسعد عقبانا بعقباك، والسلام الجزيل على الموجز الجليل ورحمة الله وبركاته»[١].

(١) ابن الديبع: قرة العيون، هامش ص ٣٤٦.

المصادر والمراجع

١ ـ إبراهيم العدوي: (دكتور)
بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٠.

٢ ـ ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني (٦٣٠هـ)
الكامل في التاريخ، طبعة بيروت ١٩٦٥ـ الجزء الخامس ـ والجزء التاسع.

٣ ـ أحمد حسين شرف: تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن
مطبعة الكيلاني ـ القاهرة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

٤ ـ أحمد شلبي: (دكتور)
موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
الجزء الثاني ـ النهضة المصرية، ١٩٦٦.

٥ ـ البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، (ت: ٧٤٩هـ)
مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ـ
طبعة: دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٤.

٦ ـ الجعدي: عمر بن علي بن سمرة ـ طبقات فقهاء اليمن
تحقيق: فؤاد سيد. دار الكتب العلمية ـ بيروت. الطبعة الثانية ـ ١٩٨١.

٧ ـ الجندي: البهاء
أخبار القرامطة باليمن ـ ملحق بكتاب ـ تاريخ اليمن لعمارة
تحقيق: د. حسن سليمان محمود ـ مكتبة مصر ـ القاهرة١٩٥٧.

٨ ـ حسين بن فيض الله: الهمداني
الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ـ

دار المختار - دمشق - طبعة ١٩٥٥.

٩ - **الحمادي اليماني: محمد بن مالك بن أبي الفضائل -**
كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة
نشر: عزت العطار - مطبعة الأنوار ١٣٥٧هـ - ١٩٣٩م.

١٠ - **الخزرجي:** أبو الحسن علي بن الحسن الخزرجي (ت: ٨١٢هـ).
العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك - نسخة مصورة عن المخطوط الأصلي للمرة الثانية
طبعة وزارة الإعلام والثقافة اليمنية (١٤٠١هـ - ١٩٨١) دار الفكري - دمشق.

١١ - **ابن خلدون:** عبد الرحمٰن. (ت: ٨٠٨هـ). العبر وديوان المبتدأ والخبر
طبعة دار الكتاب اللبناني - ١٩٦٨- المجلد الأول - المجلد الرابع
المختصر المنقول من كتاب العبر
ملحق بكتاب - تاريخ اليمن لعمارة
تحقيق: د. حسن سليمان محمود - مكتبة مصر - القاهرة ١٩٥٧..

١٢ - **ابن الديبع:** أبو الضيا عبد الرحمٰن بن علي الديبع الشيباني الزبيدي (ت: ٩٤٣هـ) - قرة العيون بأخبار اليمن الميمون
تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي
المكتبة السلفية - القاهرة ١٩٧١
بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد
تحقيق: عبد الله الحبشي
مركز الدراسات اليمنية - صنعاء ١٩٧٩.

١٣ - **زبارة:** محمد بن محمد زبارة الحسني الصنعاني - أئمة اليمن
مطبعة النصر الناصرية - تعز
الطبعة الأولى - ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.

١٤ - **الزركلي:** خير الدين

الأعلام، قاموس تراجم. الطبعة الثالثة ـ الجزء الثاني والثامن.

١٥ ـ أبو شامة: شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمٰن بن إسماعيل
لروضتين في أخبار الدولتين.
تحقيق: د. محمد حلمي محمد أحمد
طبعة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٢
الجزء الأول ـ القسم الثاني.

١٦ ـ صالح حامد العلوي: تاريخ حضرموت
مكتبة الإرشاد ـ جدة ١٣٦٦هـ.

١٧ ـ عبد العزيز المقالح: (دكتور)..
اليمن الإسلامي
دار العودة ـ بيروت ١٩٨٢ عبد الرؤوف.

١٨ ـ عبد المنعم ماجد:: (دكتور)
الإمام المستنصر بالله الفاطمي
طبعة الأنجلو المصرية ١٩٦١
: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها
طبعة دار المعارف ١٩٧٧
: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر
الجزء الثاني ـ طبعة الأنجلو المصرية
الطبعة الثالثة ١٩٧٨.

حسين بن أحمد: بلوغ المرام في شرح مسك الختام
تحقيق: الأب انستاس ماري الكرملي.

١٩ ـ عصام الدين عبد الرؤوف:
(دكتور)
اليمن في ظل الإسلام
دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٩٨٢.

٢٠ ـ عمارة: نجم الدين بن أبي الحسن علي الحكمي اليمني، (ت: ٥٦٩هـ)
تاريخ اليمن
تحقيق: د. حسن سليمان محمود
نشر: مكتبة مصر ـ القاهرة ١٩٥٧
المفيد في أخبار صنعاء وزبيد
تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي
الطبعة الثانية ـ ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

٢١ ـ أبو الفدا: عماد الدين إسماعيل
المختصر في أخبار البشر
طبعة دار المعرفة ـ بيروت الجزء الثاني.

٢٢ ـ ابن المجاور: جمال الدين أبو الفتوح يوسف بن يعقوب
صفة بلاد اليمن
تحقيق: أوسكر لوفغربين
طبعة ليدن ـ ١٩٥١.

٢٣ ـ محمد أمين صالح: (دكتور): . .
دولة الخوارج في اليمن
المجلة التاريخية المصرية ـ العدد
الخامس والعشرون ١٩٧٨.

٢٤ ـ محمد جمال الدين سرور:
(دكتور). .
سياسة الفاطميين الخارجية
دار الفكر العربي ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

٢٥ ـ محمد عبد العال: (دكتور)
الأيوبيون في اليمن
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠.

٢٦ ـ محمد عبد الله ماضي: (دكتور)

دولة اليمن الزيدية
المجلة التاريخية المصرية ـ العدد الأول ١٩٥٠.

٢٧ ـ أبو مخرمة: أبو محمد عبد اللّه الطيب بن عبد اللّه بن أحمد
تاريخ ثغر عدن
طبعة ليدن ـ ١٩٣٦.

٢٨ ـ المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي
اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا
تحقيق: د. محمد حلمي محمد أحمد
طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
الجزء الأول ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م
الجزء الثاني ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٢٩ ـ الهمداني: الحسن بن أحمد بن يعقوب
صفة جزيرة العرب
تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي
دار اليمامة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

٣٠ ـ الوصابي: وجيه الدين الحبيشي، (ت: ٧٨٢هـ)
الاعتبار في التواريخ والآثار
تحقيق: عبد الله محمد الحبشي
مركز الدراسات والبحوث اليمنية ـ صنعاء
الطبعة الأولى ـ ١٩٧٩م.

٣١ ـ ويستنفلد: جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها
ترجمة: د. عبد المنعم ماجد، وعبد المحسن رمضان
الأنجلو المصرية ـ ١٩٨٠.

٣٢ ـ ياقوت: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت: ٦٢٦هـ)
معجم البلدان
طبعة دار صادر ـ بيروت.

٣٣ ـ **يحيى بن الحسين:** ابن القاسم بن محمد بن علي، (ت: ١١٠٠هـ)
غاية الأماني في أخبار القطر اليماني
تحقيق: د. سعيد عبد الفتاح عاشور
دار الكاتب العربي ـ القاهرة
١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

٣٤ ـ **اليماني:** تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد (ت: ٧٤٣هـ)
بهجة الزمن في تاريخ اليمن
تحقيق: مصطفى حجازي
دار العودة ـ بيروت ـ ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م.

المراجع الأجنبية

1 - **Arnold, T.W.,** The Caliphate, oxford, (1924).
2 - **O, Leary,** Ashort History Of The Fatimide Khalifate, (1923).
3 - **Stooky, W.,** YEMEN, The Politics Of Yemen Arab Ripublic, Westview press, Boulder, Colorado, (1978).